

مقتل العباس (عليه السلام)

تأليف: السيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم

تحقيق: سماحة الشيخ محمد الحسنون

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة التّحقيق:

بعد سقوط النّظام البعثي في العراق، سعى مركز الأبحاث العقائديّة - الذي أنشئ بمباركة ودعم سماحة المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلميّة آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني دام ظلّه الوارف، وبإشراف الأخ الكريم سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد جواد الشهرستاني - إلى إعادة الروح في مكتبات العتبات المقدّسة في العراق، والتي قضى عليها وأبادهها النّظام البعثي الجائر.

فكان أولها مكتبة الروضة الحيدريّة في النّجف الأشرف، ومكتبة الروضة الحسينيّة، ومكتبة الروضة العبّاسيّة في كربلاء المقدّسة؛ إذ قام المركز بتجهيز هذه المكتبات بكلّ ما تحتاج إليها من كُتب وأجهزة كومبيوتر، ومقاعد ومناضد، وقفصات لحفظ الكتب، وسجّاد وغيره. ولم يكتفِ المركز بذلك، بل ظلّ طيلة هذه السّنوات يدعم هذه المكتبات بما تحتاجه، وحسب الإمكانيات المتوفّرة لديه.

ومن أجل دعم الحركة العلميّة في هذه المكتبات قام المركز بإحياء مجموعة من الكتب وطبعها بالتعاون مع المسؤولين فيها، منها هذا الكتاب المائل بين أيدينا، والذي قمنا بتحقيقه وطبعه في فترة قصيرة جدّاً؛ ليحمل الرقم الأوّل من إصدارات مكتبة الروضة

العباسية، ويُوزَّع في افتتاح هذه المكتبة المباركة في أوائل شعبان سنة ١٤٢٧ هـ.
ونحاول في هذه المقدمة البسيطة إلقاء ضوء على حياة المؤلف - السيد المقرّم - وكتابه
هذا.

المؤلف:

هو السيد عبد الرزاق بن محمد بن عباس بن حسن بن قاسم بن حسّون المقرّم الموسوي
الدغاري النجفي. أصل أسرته من مدينة الحسكة، وقد هاجر جدّه الأعلى قاسم بن حسّون
إلى مدينة النجف الأشرف.

وُلد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م، وترعرع في أحضان جدّه
الذي تولّى تربيته وتعليمه، وما إن بلغ سنّ الرشد حتّى شرع في دراسة علوم آل محمّد
ﷺ في مدينة باب علمه النجف الأشرف، وحضر عند كبار علماء عصره، مثل:

العلامة الشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢ هـ).

الميرزا حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ).

الشيخ محمّد حسين الأصفهاني (ت ١٣٦١ هـ).

الشيخ ضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١ هـ).

السيد أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥ هـ).

السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ).

وذكر الشيخ محمد حسين حرز الدين، حفيد الشيخ محمد حرز الدين (ت ١٣٦٥ هـ) في تعليقه على كتاب جدّه (معارف الرجال): إنّ السيّد المقرّم كان من المجازين في الرواية من الشيخ آقا بُرّك الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ)^(١).

كان رحمته يعقد مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام في داره، ويقرأ التعزية بنفسه، ويحضر مجلسه هذا كبار العلماء والفضلاء، وفي مُقدّماتهم المرجع الديني السيّد أبو القاسم الخوئي رحمته.

ذكره الشيخ محمد هادي الأميني (ت ١٤٢١ هـ) قائلاً: عالمٌ متّبع، ومُجتهدٌ محقّق، مُتضلّعٌ في الفقه المقارن والتاريخ الإسلامي، مؤلّفٌ مُكثّرٌ له كتب^(٢). ومدحه وأطراه السيّد محمد الغروي، إذ قال: عالمٌ كاملٌ، ومجتهدٌ متّبع، مؤرّخٌ محقّق،... كان على جانب كبير من الورع والتقوى، والتفاني في حبّ أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، والتمسك بجبل مودّتهم، خشناً في ذات الله، لا تأخذه فيه لومة لائم، بعيداً عن التكلّف والتصنّع والرياء. وكانت له خزائنه كُتُب قيّمة، كما كانت داره ندوة الأفاضل والعلماء، وجمع الخطباء والمؤمنين. يتجنّب التدخّل في قضايا خارجة عن نطاق عقيدته ودينه، ولم تستهوه الحياة وزخارفها. كان يقرأ مقتل الإمام السبّط الشهيد عليه السلام كلّ يوم عاشوراء في حسينية التّجفّيين في كربلاء المقدّسة، منذ طلوع الشمس إلى الظهر، مع البكاء والعويل^(٣).

(١) معارف الرجال ٢ / ١٨٨ (الهامش).

(٢) معجم رجال الفكر والأدب / ١٢٣١.

(٣) مع علماء التّجفّ الأشرف ٢ / ٢٣١.

وقد عُرف السيّد المقرّم بكثرة تأليفه القيّمة، والتي أكثرها في حياة أهل البيت عليهم السلام؛ منها ما هو مطبوع، ومنها لازال خطيّاً لم يرَ النور لحدّ الآن، نذكرها مُرتّبة حسب الحروف الألفبائية:

- (١) الإمام زين العابدين عليه السلام، طُبع في النّجف الأشرف سنة ١٣٧٤ هـ.
- (٢) الإمام الجواد عليه السلام، طُبع سنة ١٣٧١ هـ.
- (٣) الإمام الرضا عليه السلام، طُبع بدون تاريخ.
- (٤) أرجوزة (الأنوار القدسيّة) في النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.
- (٥) تعليقة في الفقه المقارن على المحاضرات في الفقه الجعفري.
- (٦) تنزيه المختار التقفي، طُبع سنة ١٣٥٦ هـ.
- (٧) ثامن سُؤال، في حوادث هدم القبور بالبقيع وأحوال الوهابيّة.
- (٨) الحسن المُجتبى عليه السلام.
- (٩) زيد الشهيد، طُبع سنة ١٣٧١ هـ.
- (١٠) زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام.
- (١١) سرّ الإيمان في الشهادة الثالثة في الأذان، طُبع سنة ١٣٧٤ هـ.
- (١٢) السيّدة سكينه بنت الإمام الحسين عليه السلام، طُبع سنة ١٣٧٨ هـ.
- (١٣) الشهيد مسلم بن عقيل، طُبع سنة ١٣٦٩ هـ.
- (١٤) الصديقه الزهراء عليها السلام، طُبع في النّجف سنة ١٣٧٠ هـ.

- (١٥) عاشوراء في الإسلام.
- (١٦) العباس [ابن علي ؑ].
- (١٧) علي الأكبر ابن الإمام الحسين ؑ، طبع سنة ١٣٦٧ هـ.
- (١٨) عمّار بن ياسر.
- (١٩) قداسة ميثم التمار.
- (٢٠) قمر بني هاشم، طبع سنة ١٣٦٩ هـ.
- (٢١) الكشكول في ما جرى على آل الرسول ﷺ.
- (٢٢) الكنى والألقاب، مخطوط.
- (٢٣) ليلة عاشوراء عند الحسين ؑ.
- (٢٤) مقتل الحسين ؑ وحديث كربلاء، وهو أشهر كتبه، طبع عدّة مرات، وتُرجم إلى اللغة الإنكليزية.
- (٢٥) المقداد الكندي.
- (٢٦) نقد التأريخ.
- (٢٧) يوم الأربعين، طبع سنة ١٣٧٧ هـ.
- وقد تُوفي السيّد المُتَمَرِّم في مدينة النَّجف الأشرف في السّابع عشر من محرم الحرام سنة ١٣٩١ هـ الموافق ١٩٧١ م، بعد عمر قضاه في خدمة الدّين الإسلامي الحنيف ومذهب أهل البيت ؑ، فرحمه الله تعالى وأسكنه مع الأئمّة الطاهرين ؑ.

هذا الكتاب:

حينما أعلمنا مسؤول مكتبة الروضة الحسينية والروضة

العباسية الأخ العزيز سماحة حجّة الإسلام الشيخ علي الفتلاوي، بقرب افتتاح مكتبة الروضة العباسية، بعد تهيئة مستلزماتها، فكّرت بطبع كتابٍ عن العباس عليه السلام يكون باكورة أعمال هذه المكتبة المباركة.

وقد استشرث الكثير من الفضلاء وخطباء المنبر الحسيني في هذا الموضوع، فأكثرهم أشاروا عليّ بطبع هذا الكتاب بعد تحقيقه وضبط نصّه، وفعلاً شرعنا بتحقيقه وإخراجه في فترة قصيرة.

وقد واجهنا في تحقيقه بعض المصاعب؛ لأنّ المؤلّف لم ينقل نصوصه من نفس المصادر، بل اعتمد على محفوظاته؛ لذلك شاهدنا اختلافاً بين نصوص الكتاب ومصادره، فحاولنا قدر الإمكان تصحيحها وجعلها مطابقة للمصادر، إضافة لذلك: فإنّا شاهدنا أنّ هذا الكتاب طُبِعَ عدّة مرّات وبأسماء متعدّدة، هي: العباس عليه السلام، العباس بن علي عليه السلام، العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، حياة العباس بن علي عليه السلام، قمر بني هاشم عليه السلام. وبعد التتبّع ظهر لنا أنّ الأسماء الأربعة الأولى كلّها مسمّيات لكتاب واحد، وضعها الناشر لها لعدم بيان المؤلّف اسم كتابه هذا، لا في أوّله ولا في آخره.

أمّا الكتاب الأخير (قمر بني هاشم) فهو كتاب آخر، أي: أنّ للسيد المقرّم كتابين عن العباس عليه السلام، ألّف أوّلاً كتاب (قمر بني هاشم)، ثمّ ألّف كتابه الآخر (العباس عليه السلام)، إذ أضاف في كتابه الأخير بعض الفصول لم تكن موجودة في كتابه الأوّل، وغير بعض

عناوينه؛ لذلك فالكتاب الأخير أكبر من الأول، وبينهما عموم وخصوص مطلق.
وقد ذكر المتتبع آقا بُرك الطهراني هذين الكتابين مشيراً إلى عدد صفحاتهما، فقال:
(حياة العباس بن علي)، طُبع في ٢٤٠ صفحة^(١).
(قمر بني هاشم)، طُبع في ١٧٦ صفحة^(٢).
وقد وقفنا على الطبعة الأولى للكتاب الأول (قمر بني هاشم) الذي قامت بطبعه سنة
١٣٦٩ هـ المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف، وطبعته في قم أيضاً سنة ١٤١٤ هـ
بالتصوير على الطبعة الأولى.
أمّا الكتاب الثاني فقد طُبع عدّة طبعات، شاهدنا منها طبعة دار الأضواء في بيروت
باسم (العباس بن علي)، وطبعة مكتبة الشريف الرضي في قم المقدّسة، وهي بدون تأريخ،
وباسم (العباس عليه السلام)، وهذه الطبعة هي التي اعتمدنا عليها في تحقيق ونشر هذا الكتاب.
فقد قمنا بتصحيح الكتاب قدر المستطاع، واستخراج ما يحتاج إلى تخرّيج من: آيات
قرآنيّة كريّمة، وأحاديث شريفة، وأقوال العلماء المختلفة، كلّ ذلك من المصادر الرئيسيّة لها،
المتوقّرة لدينا.

(١) الذريعة ٧: ١٢١ / ٦٤١.

(٢) الذريعة ١٧: ١٦٧ / ٨٨٣.

شكر وتقدير:

ختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لكلّ الإخوة والأخوات الذين ساهموا في إخراج هذا الكتاب بحلته القشبية هذه؛ ونخصّ بالذكر الأخ العزيز المحقّق الأستاذ الشيخ لؤي المنصوري، الذي

أخذ على عاتقه عملية الاستخراجات كاملة، والعمّ الأستاذ الفاضل عبد الحسين الحسون، وزوجته الفاضلة أمّ علاء الحسون، اللذان قاما بمقابلة الكتاب وتصحيح أخطائه المطبعية، والأخ محمّد الجبوري، والأخ نجاح خازن، والأخت سرور الموسوي، الذين قاموا بصفّ حروف هذا الكتاب في فترة وجيزة جدّاً، فلله درهم جميعاً وعليه أجرهم.

سيّدي ومولاي يا أبا الفضل، يا حامي الحمى، ويا باب الحوائج، ويا ساقى العطاشى، إنّنا قمنا بإحياء هذا الكتاب المتعلّق بك؛ رجاءً منّا أنّ تحمينا وأهلنا من كلّ مكروه، وتقضي حوائجنا، وتسقينا وتشفع لنا يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون.

اللهمّ، اجعله في ميزان أعمالنا إنّك أنت الرحمن الرحيم، والصلاة والسّلام على نبيّنا ومقتدانا محمّد وآله الطيبين الطاهرين، آمين ربّ العالمين.

محمّد الحسون

يوم مولد الصديقة الزهراء عليها السلام ١٤٢٧ هـ.

site.aqaed.com/Mohammad

muhammad@aqaed.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لك اللهم، وصلاة على خاتم أنبيائك وخلفائه المعصومين، ورضى بقضائك وتقديرك بأوليائك الذين تحمّلوا المشاقّ في إحياء شرعك الأقدس، فقابلوا الأخطار بكلّ طلاقة وبشاشة حتّى كرعوا حياض المَنون، وانتَهلت من دمائهم الزاكية بيض الصفاح، وأمسوا بجوارك متلّعين بالبرود القانية....

فسلاماً على أرواحهم الطاهرة، وأشلائهم المقطّعة في سبيل مرضاتك يا ربّ العالمين.

المقدمة:

إنّ للنسب مكانةً كبرى في شتىّ التواحي، فليس من المستنكر دخله في تهذيب الأخلاق، فإنّ الإنسان مهما كان مولعاً بالشهوات مستهتراً ماجناً، إذا عرف أنّ له سلفاً مجيداً، وأنّ من ينتمي إليهم أناس مبخّلون - كما هو الشأن في جلّ البشر، إنّ لم نقل كلّهم - لا يروقه أن يرتكب ما يشوّه سمعتهم، وإتّما يكون جلّ مسعاه أنّ يكون خلقاً صالحاً لهم، يجدد ذكرياتهم، ويخلّد ذكرهم الجميل بالتلقّع بمكارم الأخلاق.

ولقد جعل الله تعالى أبناء آدم عليه السلام شعوباً وقبائل ليتعارفوا^(١)، فتشتبك الأواصر، وتتواصل الأرحام، ويحمى الحوار بالتساند والمؤازرة، ويعرفهم من عداهم كتلة واحدة، فيهاب جانبهم ولا تخفر ذمتهم، فيسود بذلك السلام والوئام؛ ومن هنا نشاهد المردة من قوم شعيب قالوا له لما عتوا عن أمره: **(وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ)**^(٢).

فإذن يكون في مشتبك الأواصر مناخ العزّ ومأوى الهيبة، كما

(١) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَتْقَاكُمْ) . سورة الحجرات: ١٣ .

(٢) سورة هود: ٩١ .

قال أمير المؤمنين لابنه الحسن عليه السلام: « وأكرم عشيرتك؛ فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول. ولا يستغني الرجل عن عشيرته وإن كان ذا مال؛ فإنه يحتاج إلى دفاعهم عنه بأيديهم وألستهم، وهم أعظم الناس حيطه من ورائه، وألمهم لشعته، وأعظمهم عليه إن نزلت به نازلة أو حلت به مصيبة. ومن يقبض يده عن عشيرته، فإنما يقبض عنهم يداً واحدة، وتقبض عنه أيدٍ كثيرة»^(١).

ولقد جاء في الشريعة المقدسة أحكام منوطة بمعرفة الأنساب خاصة أو عامة، كالموارث والأخماس، وصلة الأرحام ودية قتل الخطأ... إلى غيرها من فوائد النسب التي جعلته في الغارب والسنام من بين العلوم الفاضلة، وأكسبته الأهمية الكبرى. وجعلت منصفة النسابة في المحلّ الأسمى عند الديني والاجتماعي والأخلاقي^(٢). وهو أحد العلماء الذين لكلّ منهم اختصاص في فنّ من الفنون يرجع إليه في فنّه ويُستفتى، كما يراجع

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده ٣ / ٥٧، من وصية له لابنه الحسن عليه السلام.

(٢) ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه دخل المسجد، فإذا جماعة قد طافوا برجل، فقال صلى الله عليه وآله: « ما هذا؟ ».

فقيل: علامة. قال صلى الله عليه وآله: « وما العلامة؟ ».

فقالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: « ذاك علم لا يضُرُّ من جهله، ولا ينفع من علمه ».

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: « إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل ».

انظر: الكافي ١ / ٣٢، ح، وصول الأخبار إلى أصول الأخبار ٣٧ / ٣٧، الفصول المهمة في أصول الأئمة

للعاملي / ٦٧٩.

غيره من العلماء فيما اختصّ به من الفنون.

ولقد كان عقيل بن أبي طالب عليه السلام - على شرف أصله وقداسته منبته ومجده الهاشمي الأثيل - نصابة عصره، يعرف أنساب العرب وقبائلها، ويميّز بين منابت المجد والخطر، ومناخ السّوأة والحزبية، وينوّه بوسع علمه بما تتحلّى به الفصائل والعمائر من المآثر، وما ترتديه البطون والأفخاذ من شية العار.

فكان يُخشى ويُرجى من هاتين التّاحيتين، ويراجع للوقوف على لوازم الكفاية عند المصاهرة؛ تحزناً للحصول على الدّعة في العشرة بين الزوجين، وكرائم الأخلاق المكتسبة من إرضاع الحرائر الكريمات، وعروق الأحوال الأكارم. والشريعة المُطهّرة تقول في نصّها على ذلك: « اختاروا لنطفكم؛ فإنّ الخال أحد الضّجيعين »^(١). كما حدّرت عن خلافه: « إياكم وخضراء الدّمن ». وفسّره صاحب الشريعة بأنّها: « المرأة الحسناء في منبت السّوء »^(٢).

فكان عقيل - كما وصفه الصفدي - أحد الذين يتحاكّم إليهم، ويوقّف عند قولهم في علم التّسب؛ لكونه العليم به وبآيام العرب. وكانت تُبسط له طنفسه تُطرح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله يُصَلّي عليها، ويجتمع إليه في معرفة الأنساب وآيام العرب وأخبارهم مع ما له من السّرعة في الجواب، والمراجعة في القول^(٣).

(١) الكافي ٥ / ٣٣٢، باب اختيار الزوجة، ح ٢.

(٢) الكافي ٥ / ٣٣٢، باب اختيار الزوجة، ح ٤.

(٣) نصّ عبارة الصفدي عن ابن عقيل هكذا: وكان عقيل أنسب قريش وأعلمهم بأيامهم، ولكنّه كان يعدّ مساوئهم، وكانت له طنفسه تُطرح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله يُصَلّي عليها، ويجتمع إليه في علم التّسب وآيام العرب، وكان أسرع التّاس جواباً، وأحضرهم مراجعة في القول، وأبلغهم في ذلك.

وكان الذين يُتحاكّم إليهم ويوقّف عند قولهم في علم التّسب أربعة: عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل الزهري، وأبا جهم بن حذيفة العدوي، وخويطب بن عبد العزّي العامري. وعقيل أكثرهم ذكراً لمثالب قريش.

راجع عبارة الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٠ / ٦٣، وأسد الغابة ٣ / ٤٢٣، والاستيعاب ٣ / ١٧٨.

ومن هنا قال له أمير المؤمنين عليه السلام: « انظرُ لي امرأةً قد ولدتها الفُحولةُ من العرب لأتزوجها؛ فتلد لي غلاماً فارساً ». فقال له: تزوج بأُمّ البنين الكلابية؛ فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها^(١).

هكذا جاء الحديث، ولكن لا يفوت القارئ إننا نعتقد في حملة أعباء الإمامة، شمول علمهم كُلِّ ما ذرأ الله سبحانه وبرأ، وما جاءت به الأمم من فضائل ومخازٍ، وأوصاف وعادات في كُلِّ حال. وللبرهنة على هذه الدعوى مجال في غير هذا المختصر. إذاً، فأين يقع علم عقيل وغير عقيل من واسع علم أمير المؤمنين عليه السلام، المتدفق بأحوال قبائل العرب، وبمعرفة الشجعان منهم حتى يحتاج إلى نظر عقيل؟! وهل يخفى علم ذلك على مَنْ كان يعلم الذكر والأنثى من النمل كما في حديث أبي ذر الغفاري: دخلت أنا وأمير المؤمنين عليه السلام وادياً فيه نمل كثير، فقلت: سبحان الله محصيه! فقال عليه السلام: « لا تقل ذلك، وقل: سبحان الله باريه! فوالله، إنني لأحصيه وأعرف الذكر منه والأنثى^(٢) ».

(١) عمدة الطالب لابن عنبه / ٣٥٧.

(٢) مدينة المعاجز ٢ / ١٦٠.

ويقول عليه السلام: « إنَّ شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يُخلق آدم... لا يشدُّ منها شادُّ ولا يدخل فيها داخل، وإني لأعرفهم حين ما أنظر إليهم... ولأعرفُ عدوِّي من صديقي »^(١).
« وإنَّهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم، وعشائهم وأنسابهم »^(٢).
فمَن كان هذا علمه لا يحتاج إلى تعرّف القبائل والبطون من عقيل، مهما بلغ من العلم والمعرفة إلى دُرى عالية.

نعم:

وَكَمْ سائلٍ عن أمرِهِ وهوَ عالمٌ

فإِنَّه جرى صلوات اللّٰه عليه مجرى العادة في أمثاله، وكم لهم من ضرائب في أعمالهم عليه السلام لحكمٍ ومصالحٍ لعلنا نُدرك بعضها، والبعض الآخر منها مطويٌّ لديهم مع أمثالها من غوامض أسرارهم.

فهذا الرسول الأعظم صلّى اللّٰه عليه وآله، وهو المُسدّد بالفيض الأقدس والإرادة الإلهية، المستغني عن الاستعانة بأيّ رأيٍّ، يمشي وراء العادة فيشاور أصحابه إذا أراد المضيّ في أمر، ولعلّ التكتة فيه - مضافاً إلى ذلك - تعريف خطأ الاستبداد وإن بلغ الرجل أعلى مراتب العقل، فكانت الصحابة تُبصر من أشعة حِكْمِهِ فوائد الاستشارة

(١) مدينة المعاجز ٢ / ١٩٥. والنص كالتالي: « إنَّ شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يُخلق اللّٰه آدمَ بألْفِي عام، لا يشدُّ منها شادُّ، ولا يدخل فيها داخل، وإني لأعرفهم حينما أنظر إليهم؛ لأنَّ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله لما تفلَّ في عينيّ وكنْتُ أرمُد، قال: اللهمّ، اذهب عنه الحرَّ والبرد، وأبصر صديقه من عدوّه. فلم يُصْبني رمْدٌ ولا حرٌّ ولا بردٌ، وإني لأعرفُ صديقي من عدوّي ». (٢) الاختصاص / ٢١٧.

كالاستخارة، وتمضي على قوله ﷺ: « من أعجب برأيه ضلّ، ومن استغنى بعقله زلّ »^(١)، و
« لا يندم من استشار، ولا خاب من استخار »^(٢).

ولما خرج ﷺ من المدينة طالباً غير أبي سفيان، بلغه في (ذفران)^(٣) أن قريشاً خرجت
على كل صعب وذلول، شاور أصحابه، فقال ﷺ: « ما تقولون؟ العير أحب إليكم أم التفير؟ »
«.

فقال بعضهم: العير. وقال (رجلان): يا رسول الله، إنهما قريش وخیلاؤها، ما دلت منذ
عزّت، وما آمنت منذ كفرت. فسأه كلامهما، وتغيّر وجهه، فقام المقداد بن الأسود
الكندي، وقال: امض يا رسول الله لما أمرك به الله ونحن معك. فوالله، لا نقول لك ما
قالت بنو إسرائيل لموسى بن عمران: (فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)^(٤).
ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دام منا عيرٌ تطرف؛ تُقاتل عن
يمينك وعن يسارك ومن خلفك. فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغمام (بلاد
الخبشة)، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فضحك رسول الله ﷺ، وأشرق وجهه وسر
بكلامه^(٥).

(١) في تفسير القرطبي ٤ / ٢٥١ ورد هكذا: « ما ندم من استشار، ولا خاب من استخار ». وأما في
مصادرنا فوردت هكذا: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « ما حاز من استخار، ولا ندم من استشار ». وسائل
الشيعة ٨ / ٢٦٥ ح ٨، الأمالي للطوسي / ١٣٦، كشف الغمّة ٣ / ١٧٣.

(٢) فتح السعادة ٧ / ٢٧٥، الفائدة السادسة.

(٣) قال في لسان العرب ١ / ١٥٧: ذفران: موضع عند بدر.

(٤) سورة المائدة / ٢٤.

(٥) أسد الغابة ٤ / ٤١٠، تاريخ الطبري ٢ / ١٤٠، تاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ٥٢، والوارد في آخر

الرواية: « فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له... ».

ولما نزل في بدر بأقرب ماء هناك، قال له الحباب بن المنذر: أرايت يا رسول الله هذا المنزل؟ منزلاً أنزلك الله به أم هو الرأي والمكيدة والحرب؟
فقال: « هو الرأي والحرب ».

فأشار عليه بأن ينهض ويأتي أدنى منزل من القوم فينزل على الماء، ثم يعمل حوضاً يملأه ماءً يشرب منه المسلمون، ولا يشرب منه أعداؤهم. فأخذ برأيه وارتحل حتى أتى الماء ونزل عليه^(١).

ولما قصده الأحزاب أراد أن يُصالح عيينة بن حصين، والحارث بن عوف على ثلث أثمار المدينة؛ ليرجعا بمنّ معهما من غطفان، فشاور في ذلك سعد بن معاذ، وسعد بن عباد، وسعد بن فزارة، فأشاروا عليه ألا يُعطيهم شيئاً، فعمل بمشورتهم، وكان الفتح له^(٢). كُلَّ ذلك إيذاناً وتنبهاً بما هو اللازم من الترتيب والأخذ بحقائق الأمور.

وسار الأئمة من آله على هذا النهج، فكان الإمام الرضا عليه السلام يذكر أباه موسى بن جعفر عليهما السلام ويقول: « كان عقله لا يُوازن به العقول، وربما شاوَرَ بعضَ عباده فيُشير عليه من الضيعة والبستان فيعمل به، فقليل له: أتشاوَرُ مثل هذا؟! فقال عليه السلام: زُبما فُتِحَ على لسانه »^(٣).
ولما كتب إليه عليُّ بن يقطين بما عزم عليه موسى الهادي من

(١) أسد الغابة ١ / ٣٦٥، تاريخ الطبري ٢ / ١٤٤، تاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ٥٣، الثقات لابن حبان ١ / ١٦٢، إمتاع الأسماع للمقريزي ٩ / ٢٤٣.
(٢) تاريخ الإسلام ٣ / ٣٤٨، إمتاع الأسماع للمقريزي ١ / ٢٣٩.
(٣) المحاسن للبرقي ٢ / ٦٠٢ بلفظ: « وربما شاوَر الأَسودَ مِنْ سُوْدانِهِ ».

الفتك به، وأنه سمعه يقول: قتلني الله إن لم أقتل موسى بن جعفر، فلمّا ورد الكتاب عليه، شاور أهل بيته وشيعته وأطلعهم على الكتاب، وقال لهم: « ما تُشيرون عليّ؟ ». قالوا: نشير عليك - أصلحك الله - أن تُباعد شخصك من هذا الجبار. فلم يتباعد عن مشورتهم، ولكنّه أوقفهم على غامض أسرار الله من هلاك الطاغي، فكان كما قال^(١).

وكان الأئمة عليهم السلام - وهم العالمون بما كان وما يكون - يتخذون الوسائل العادية لدفع الأضرار عنهم إذا علموا تأخر القضاء؛ من مراجعة الطبيب، أو الشخوص نحو المهيمن جلّ شأنه، أو الشكوى إلى جدّهم النبيّ صلّى الله عليه وآله. ولما سُقي الإمام الحسن عليه السلام العسل المسموم وأعتلّ، تداوى بالحليب فعوفي، وحين عادت إليه العلة أخذ يسيراً من تربة النبيّ صلّى الله عليه وآله ومزجها بالماء فشربه وعوفي^(٢).

وقال الإمام الهادي عليه السلام لأبي هاشم الجعفري حين مرض بسامراء: « ابعثوا رجلاً إلى (الحائر) يدعو الله لي بالشفاء من العلة ». فقال علي بن بلال: ما يصنع بالحير، أليس هو الحير^(٣)؟! فلم يدر أبو هاشم ما يُجيبه حتّى دخل على الهادي عليه السلام وحكى له قوله. فقال عليه السلام: « ألا قلتَ له: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يطوفُ بالبيت ويُقبَلُ الحجر، وحرمةُ النبيّ والمؤمن أعظمُ من حرمة البيت. وأمره

(١) بحار الأنوار ٤٨ / ١٥١.

(٢) الكامل للبهائي / ٤٥٣.

(٣) هكذا وردت مفردة (الحير) في الأصل، ولعلّها (الحائر) كما في بعض المصادر. (موقع معهد

الإمامين الحسينيين)

الله تعالى أن يقف بعرفات، وإنما هي مواطن يُحبّ الله أن يُذكر فيها، وأنا أحبّ أن يُدعى لي حيث يُحبّ الله أن يُدعى فيها»^(١).

والغرض من هذا كلّهُ، التعريف بأنّه لم يجب في التكوينات إلّا جري الأمور على مجاريها العادية وأسبابها الطبيعية، وأنّه لا غناء عنها لأيّ أحد، وأنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وإنّ أمكنهم إعمال ما أقدروهم عليه الله سبحانه من التصرفات حسبما يُريدون، لكنّهم في جميع أدوارهم مُقتدى الأئمة، ومُسيّروهم إلى ما يُراد منهم من أمر الدّين والدّنيا، فعلى نهجهم يسير النَّاس، وبأفعالهم يتأسّى البشر، وبإرشادهم تُرفع حُجُب الأوهام. وعلى هذا الأساس مشى أمير المؤمنين عليه السلام في اختيار الزوجة الصالحة.

(١) الكافي ٤ / ٥٦٧، ٥٦٨، ح ٣، كامل الزيارات / ٤٥٩، ح [٦٩٧] ١، وسائل الشيعة ١٤ / ٥٣٨ ح (١٩٧٧٥) ٣، ونصّ الرواية كالتالي: « عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أبي هاشم الجعفري قال: بعث إليّ أبو الحسن عليه السلام في مرضه، وإلى محمّد بن حمزة، فسبقني إليه محمّد بن حمزة وأخبرني محمّد: مازال يقول: « ابعثوا إلى الحير، ابعثوا إلى الحير ». فقلت لمحمّد: ألا قلت له أنا أذهب إلى الحير. ثمّ دخلت عليه، وقلت له: جعلت فداك! أنا أذهب إلى الحير؟ فقال: « انظروا في ذلك ». ثمّ قال لي: « إنّ محمّداً ليس له سرٌّ من زيد بن علي، وأنا أكره أن يسمع ذلك ».

قال: فذكرت ذلك لعلّي بن بلال، فقال: ما كان يصنع [ب] الحير وهو الحير. فقدمت العسكر، فدخلت عليه، فقال لي: « اجلس ». حين أردت القيام، فلما رأيته أنس بي، ذكرت له قول علي بن بلال، فقال لي: « ألا قلت له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوف بالبيت ويُقبّل الحجر، وحرمة النبيّ والمؤمن أعظم من حرمة البيت. وأمره الله عزّ وجل أن يقف بعرفة، وإنما هي مواطن يُحبّ الله أن يُذكر فيها، فأنا أحبّ أن يُدعى [الله] لي حيث يُحبّ الله أن يُدعى فيها... ».

على أنّ التأمل في كلامه يُفيدنا عدم الاستشارة من أخيه؛ فإنّه قال لعقيل: « انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولُ من العرب ». فهو **عليّ** في مقام الطلب من أخيه أنّ يخطب امرأةً تصلح له، لا أنّه في مقام الاستشارة والاستطلاع منه؛ لكونه عالماً بأنساب العرب، وعارفاً ببيوتات الشرف والمنعة والفروسيّة.

سلسلة الآباء:

هو العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

إلى هنا يقف الباحث عن الإتيان بباقي الآباء الأكارم إلى آدم عليه السلام، بعد ما يقرأ قول النبي صلى الله عليه وآله: « إذا بلغ نسبي إلى عدنان فامسكوا »^(١). وكأته نظر إلى غرابة تلكم الأسماء وتعاصيها على نطق العامة، فكان التصحيف إليها أسرع شيء، فيعود وهنا في ساحة جلالتهم، وخفة في مقدارهم، وقد ولدوا الرسول الأعظم والوصي المتقدم صلى الله عليهم أجمعين.

وكيف كان فالمهم الذي يجب الالتفات به هو كون كل واحد من هؤلاء الأنجاب غير مُدَنَّس بشيء من رجس الجاهلية، ولا موصوماً بعبادة وثن، وهو الذي يرتضيه علماء الحق؛ لكونهم صديقين بين أنبياء وأوصياء.

وقد نزههم الله تعالى في خطابه لنبيه الأقدس صلى الله عليه وآله: (وَتَقَلَّبَكَ فِي

(١) مناقب آل أبي طالب ١ / ١٣٤، كشف العمة ١ / ١٥.

السَّاجِدِينَ^(١) . فَإِنَّهُ أَثْبَتَ لَهُمْ جَمِيعاً - بِلَفْظِ الْجَمْعِ الْمُحَلَّى بِاللَّامِ - السَّجُودَ الْحَقَّ الَّذِي يَرْضِيهِ لَهُمْ. وَإِنَّ مَا يُوَثِّرُ عَنْهُمْ مِنْ أَشْيَاءَ مُسْتَعْرَبَةٍ لِأَنَّ يَكُونُ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْمَشْرُوعَةِ لَهُمْ، أَوْ يَكُونُ لَهُ مَعْنَى تُظْهِرُهُ الدَّرَايَةُ وَالتَّنْقِيبُ.

وليس آزر - الذي كان ينحت الأصنام وكاهن نمrod - أبا إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢)، الذي نزل من ظهره؛ لأنَّ أباه اسمه تارخ، وآزد:

(١) سورة الشعراء / ٢١٩ .

(٢) اختلفوا في أنَّ الذي قيل له: (عرق الثرى) إبراهيم أم إسماعيل، فالذي عليه السهيلي في الروض الأنف ١ / ٨، إنَّه إبراهيم، وعلمه: بأنَّ الثرى لا تأكله النار، وإبراهيم لا تأكله النار. ويظهر من الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما تخطى النار، وقال: «أنا ابنُ أعراق الثرى، أنا ابنُ إبراهيم خليل الرحمن»، الإشارة إليه.

الكافي ١ / ٤٧٣، نوادر المعجزات لابن جرير / ١٥٤ .

ونصَّ عليه في البحار ٣٥ / ٤١ في باب نسب أبي طالب، قال: وإبراهيم (عرق الثرى). وفي ١٠٤ / ٤٤ عند قول الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنا وهو، أين ابنُ أعراق الثرى...» .

قال: رأيت في بعض الكتب أنَّ عرق الثرى إبراهيم؛ لكثرة ولده في البادية. ولعلَّ عبد الله بن أيوب الخريبي الشاعر في مراثية الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يُشير إليه، كما في البحار ٤٩ / ٣٢٥ في باب مراثيه:

يَابْنَ الذَّبِيحِ وَيَابْنَ أَعْرَاقِ الثَّرَى طَابَتْ أَرْوَمَتَهُ وَطَابَ عُرْوَتُهَا

ولكن في نصِّ الطبري ٢ / ٢٨، والبداية والنهاية ٢ / ٢٤٥، والبحار ١٥ / ١٠٥، عن أم سلمة: إنَّ عرق الثرى إسماعيل.

وقد جاء ذكر الثرى في شعر امرئ القيس والفرزدق، ولم يُعلم منه المراد. قال امرؤ القيس على ما في أمالي المرتضى ١ / ١١٩:

فَبَعْضَ اللَّوْمِ عَاذَلْتِي فَإِيَّتِي سَتَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَإِنْتِسَابِي

إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَّتْ عُرُوقِي وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي

وقال الفرزدق كما في كامل ابن الأثير ٣ / ٤٦٩:

أَنَا ابْنُ الْجِبَالِ الشُّمِّ فِي عَدَدِ الْحَصَى وَعِرْقُ الثَّرَى عِرْقِي فَمَنْ ذَا يُجَابِسُهُ

وفي أخبار الزمان / ٨٠، عدنان ابن عرق الثرى، وأيضاً تجده في: أسد الغابة لابن الأثير ١ / ٣٧٩، حياة الإمام الحسن للقرشي / ١٣٠ .

إمّا أن يكون عمّه، كما يرتئيه جماعة من المؤرّخين، وإطلاق الأب على العمّ شائع على الجاز، وجاء به الكتاب المجيد: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ)^(١). فأطلق على إسماعيل لفظ الأب، ولم يكن أبا يعقوب وإمّا هو عمّه، كما أطلق على إبراهيم لفظ الأب وهو جدّه.

وإمّا أن يكون آزر جدّ إبراهيم لأمه كما يراه المنقّبون، والجدّ للأُمّ أبٌ في الحقيقة، ويؤيّد أنّه غير أبيه قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ)^(٢). فميّزه باسمه، ولو أراد أباه الذي نزل من ظهره لاستغنى بإضافة الأبوة عن التسمية بآزر.

وصرّح الرسول ﷺ بطهارة آبائه عن رجس الجاهليّة وسفاح الكفر، فقال: « لما أراد الله أن يخلقنا، صوّرنا عمود نور في صلب آدم، فكان ذلك النور يلمع في جبينه، ثمّ انتقل إلى وصيّيه شيث. وفيما أوصاه به: ألا يضع هذا النور إلا في أرحام المطهّرات من النساء، ولم تنزل هذه الوصيّة معمولاً بها يتناقلها كابر عن كابر، فولدنا الأخيار من الرجال والخيرات المطهّرات المهذّبات من النساء حتى

(١) سورة البقرة / ١٣٣.

(٢) سورة الأنعام / ٧٤.

انتهينا إلى صُلب عبد المُطلب، فجعله نصفين؛ نصفاً في عبد الله فصار إلى آمنة، ونصفاً في أبي طالب فصار إلى فاطمة بنتِ أسد.»

أما (عدنان) فقد أوضح في خطبه عن ظهور النبي ﷺ وأنه من ذريته وأوصى باتّباعه. وكان ابنه (معد) صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل ممّن حاد عن التوحيد، ولم يُجارب أحداً إلاّ رجح عليه بالتصّر والظفر، ولكونه على دين التوحيد ودين إبراهيم الخليل، أمر الله أرميا أن يحمله معه على البراق كيلاً تُصبيه نعمة بختنصر، وقال سبحانه لأرميا: «إني سأخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرُّسل». فحمله إلى أرض الشام إلى أن هدأت الفتن بموت بختنصر^(١).

وكان السبب في التسمية بـ (نزار): إنّ أباه لما نظر إلى نور التبوّة يشعّ من جبهته سرّه ذلك، فأطعم الناس لأجله، وقال: إنه نزرّ في حقّه^(٢). وورد النهي عن سبّ ربيعة ومضر؛ لأتّهما مؤمنان. ومن كلام مضر: من يزرع شرّاً يحصد ندامةً. و (إلياس بن مضر) كبير قومهم وسيّد عشيرته، وكان لا يُقضى أمرٌ دونه، وهو أول من هدى البُدن إلى البيت الحرام، وأول من ظفر بمقام إبراهيم لما غرق البيت في زمن نوح، وكان مؤمناً موخّداً وردّ النهي عن سبّه^(٣).

وقد أدرك مدرّكة بن إلياس كلّ عرّ وفخر كان لأبائه، وكان فيه

(١) السيرة الحلبية ١ / ٢٠.

(٢) الروض الأنف ١ / ٨.

(٣) الروض الأنف ١ / ٨.

نور النبي محمد ﷺ .

و (كنانة) شيخٌ عظيمُ القدر، حَسَنَ المنظر، كانت العرب تحجّ إليه لعلمه وفضله، وكان يقول: قد آن خروج نبيٍّ من مكّة يُدعى أحمد، يدعو إلى الله، وإلى البرِّ والإحسان ومكارم الأخلاق، فاتبعوه تزدادوا شرفاً وعزّاً إلى عزّكم، ولا تُكذّبوا ما جاء به فهو الحقّ. ومما يؤثّر عنه: رُبّ صورةٍ تخالف المُخبِرة قد غرّت بجمالها، واختُبر قبْحُ فعالها، فاحذر الصور واطلب الخير. وكان يأنف أن يأكل وحده.

وولده (النَّضر) (قریش عند الفقهاء) فلا يُقال لأولاد من فوقه: قرشي؛ وإنما أولاده مثل مالك وفهر، فمن ولده النَّضر فهو قرشي، ومن لم يُلده فليس بقرشي^(١).

وأما (فهر)، فقد حارب حسان بن عبد كلال حين جاء من اليمن في حمير؛ لأخذ أحجار الكعبة ليسي بها بيتاً باليمن يزوره النَّاس، فانتصر فهرٌ وأسر حسان وانحزمت حمير، وبقي حسان في الأسر ثلاث سنين، ثم فدى نفسه بمال كثير وخرج، فمات بين مكّة واليمن، فهابت العرب فهراً وأعظموه وعلا أمره، خصوصاً مع ما يشاهدون في جبهته من نور النَّبوّة.

ويؤثّر عنه قوله لولده غالب: قليلٌ ما في يدك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك. وكان مُوحّداً^(٢).

ولم يزل كعب بن لؤي يذكر النبي ﷺ، ويُعلِّم قریشاً أنه من ولده، ويأمرهم باتّباعه ويقول: اسمعوا وعُوا، وتعلّموا تعلّموا، وتفهموا

(١) السيرة الحلبية ١ / ٦١ .

(٢) السيرة الحلبية ١ / ٢٦ .

تَفَهَمُوا. لَيْلٌ دَاجٌ وَهَازٌ سَاجٌ، وَالْأَرْضُ مَهَادٌ وَالْجِبَالُ أَوْتَادٌ، وَالْأَوَّلُونَ كَالْآخِرِينَ، كُلُّ ذَلِكَ إِلَى بَلَاءٍ، فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ، وَأَصْلِحُوا أحوَالَكُمْ، فَهَلْ رَأَيْتُمْ مَنْ هَلَكَ رَجَعُ، أَوْ مَيِّتاً نُشِرَ؟ الدَّارُ أَمَامَكُمْ، وَالظَّنُّ خِلَافٌ مَا تَقُولُونَ، زَيَّنُوا حَرَمَكُمْ وَعَظَّمُوهُ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تَفَارِقُوهُ، فَسَيَأْتِي لَه نَبأٌ عَظِيمٌ، وَسَيُخْرِجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ، ثُمَّ قَالَ:

نَهَارٌ وَلَيْلٌ وَاخْتِلَافٌ حَوَادِثٍ سَوَاءٌ عَلَيْنَا حَلُوهَا وَمَرِيرُهَا
يُؤْوِبَانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْوِيَا وَبِالنَّعْمِ الضَّائِفِي عَلَيْنَا سَتُورُهَا
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقاً خَبِيرُهَا
ثُمَّ قَالَ:

يَا لَيْتَنِي شَاهِدُ فَحَوَاءَ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةُ تَبْغِي الْحَقَّ خُذْلَانًا^(١)
وَلِجَلَالَتِهِ وَشَرْفِهِ فِي قَوْمِهِ؛ أَرْتَحُوا بِمَوْتِهِ، ثُمَّ أَرْتَحُوا بِعَامِ الْفِيلِ، ثُمَّ بِمَوْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمِيَ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ لِاجْتِمَاعِ قُرَيْشٍ فِيهِ، وَكَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْعَرُوبَةِ. وَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ أَمْضَاهُ^(٢).

و (كلاب بن مرّة) الجدُّ الثالثُ لآمنة أمِّ النَّبِيِّ، والرَّابِعُ لأبيهِ عبد الله، كان معروفاً بالشَّجَاعَةِ، وَنُورِ النَّبِيِّ ﷺ لائِحٌ فِي جِبْهَتِهِ.
وَلَا تَسَلْ عَنْ سَيِّدِ الْحَرَمِ (قَصِي)، فَلَقَدْ جَمَعَ قَوْمُهُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَأَسْكَنَهُمْ أَرْضَ مَكَّةَ، وَأَمْرَهُمْ بِالْبِنَاءِ حَوْلَ الْبَيْتِ لِتَهَابِهِمُ الْعَرَبَ، فَبَنَوْا حَوْلَ جَوَانِبِهِ الْأَرْبَعَةَ، وَجَعَلُوا لَهُمْ أَبْوَاباً تَخْصُهُمْ؛ فَبَابُ بَنِي شَيْبَةَ، وَبَابُ بَنِي جَمْحٍ، وَبَابُ بَنِي مَخْزُومٍ، وَبَابُ بَنِي سَهْمٍ،

(١) السِّيرَةُ الْحَلِيبِيَّةُ ١ / ٢٥، السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ١ / ١٦٧.

(٢) السِّيرَةُ الْحَلِيبِيَّةُ ٣ / ١٦٩.

وتركوا قدر الطّواف بالبيت. وبنى قصي دار الندوة للمشاورة والتّفاهم فيما يعرض عليهم من المهّمّات، وتيمّنت قريش برأيه؛ وتُمتي مجعاً.

وعند مجيء الحاجّ، قال لقريش: هذا أوأنّ الحجّ، وقد سمعت العرب بما صنعتكم وهم لكم مُعظّمون، ولا أعلم مكرمةً عند العرب أعظم من الطعام، فليخرج كلُّ إنسانٍ منكم من ماله خرجاً. ففعلوا وجمع مالاً كثيراً، ولما جاء الحاجُّ نحر لهم على كلّ طريقٍ من طرق مكّة جزوراً، غير ما نحره بمكّة، وأوقد النار بالمزدلفة ليراها النّاس^(١)، وصنع للناس طعاماً أيام منى، وجرى عليه الحال حتّى جاء الإسلام، فالطعام الذي يصنعه السّلطان أيام منى كلّ عامٍ من آثار قصي^(٢).

ومن هنا خضعت خزاعة لقصي، وسلّمت له أمر الحرم وسدانة البيت الحرام بعد أن كانت عند حليل، وعند قصي ابنته، وهي أمّ أولاده. تولّى قصي سدانة البيت؛ إمّا بوصاية من حليل - عند الموت - إليه، أو أنّها كانت عند ابنته زوج قصي بالوراثة، فقام زوجها بتدبير شؤون البيت لعجز المرأة عن القيام بهذه الخدمة، أو أنّ أبا غبشان الخزاعي كان وصي حليل على هذه السّدانة، فعاوضه عليها قصي بأنواب وأذواد من الإبل.

هذا هو الصحيح المأثور في ولاية قصي سدانة البيت، ويتّفق

(١) السّيرة الحليّة ١ / ٢١.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ١٨٥.

مع العقل الحاكم بنزاهة جدّ الرسول الأقدس خاتم الأنبياء ﷺ عمّا تأباه شريعة إبراهيم الخليل عليه السلام من المعاوضة بالخمير المحرّم في جميع الأديان.

أيجوز لجدّ الرسول ﷺ أن يجعل للخمير قيمة - وثمنها سحتاً - وهو المانع عنها، المحذّر قومه منها؟! فإنه قال لولده وقومه: اجتنبوا الخمر؛ فإنّها لا تُصلح الأبدان، وتُفسد الأذهان. فكيف يعاوض بها؟! بل لا يتحيّل إلى مطلوبه بالخمير، وهو القائل: من استحسن قبيحاً نزل إلى قبحه، ومن أكرم لئيماً أشركه في لؤمه، ومن لم تُصلحه الكرامة أصلحه الهوان، ومن طلب فوق قدره استحقّ الحرمان، والحسود هو العدو الخفي^(١).

وقد جمع أطراف المجد والشرف (عبد مناف) ابن قصي؛ ولبهائه وجمال منظره قيل له: (قمر البطحاء). وكان سمحاً جواداً لا يعدم أحداً من ماله حتّى في أيام أبيه، فقيل له: (الفياض). ويُسمّى منافاً؛ لأنّه أناف على الناس وعلا أمره حتّى ضربت له الركبان من أطراف الأرض^(٢)، وكان اسمه عبد، ثمّ أضيف إلى مناف، فقيل له: عبد مناف. وهذا هو الصحيح المأثور.

وأما ما أثبتته ابن دحلان في السيرة النبويّة من أنّ أمّه أخدمته صنماً اسمه مناف، بعيد عن الصواب؛ إذ لا شكّ في نزاهة آباء النبي ﷺ وأمّهاته في جميع أدوار حياتهم من الخضوع للأصنام؛ كرامة لحبيبه وصفّيّه الرسول الأعظم ﷺ، فليس بصحيح ما يُقال: من أنّ في آباء النبي ﷺ وأمّهاته من يعبد الصنم، أو يخضع له؛ لشهادة ما تقدّم من

(١) السيرة الحليّة ١ / ٢١.

(٢) إثبات الوصية / ٧٥.

الأحاديث عليه، وإليه أشار البوصيري:

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكُونَ مُحْتَجًا رُ لَكَ الْأُمَهَاتُ وَالْآبَاءُ^(١)

على أنه لم يكن من الأصنام اسمه (مناف)، وإنما الموجود (مناة) بالثناء المثناة من فوق؛ ومن هنا كان يقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام: ٣٢: لا أدري أين كان هذا الصنم؟ ولمن كان؟ ومن نصبه؟^(٢).

ومنه نعرف الغلط في قول البرقي والزبير: أن أمه أخدمته مناة (بالثناء المثناة من فوق) فسُمِّي عبد مناة، ولكن رأي قصي يوافق عبد مناة بن كنانة فحوّله عبد مناف. وكان بيت عبد مناف أشرف بيوتات قريش^(٣)، ولسيادته كان عنده قوس إسماعيل ولواء نزار.

ومن وصيته ما وُجد مكتوباً في بعض الأحجار: أوصي قريشاً بتقوى الله جلّ جلاله، وصلة الرحم^(٤).

وجرى ابنه هاشم على سيرته حتى فاق قريشاً وسائر العرب، وأذعنوا له، وكان يُطعم الحاج كما كان يصنع أبوه. وأصاب قريشاً سنة مجديّة، فخرج هاشم إلى الشام واشترى الدقيق والكعك، فهشم الخبز ونحر الجزر، وأطعم الناس حتى أشبعهم، وكانت مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء، وكان يحمل ابن السبيل، ويؤمن الخائف، وإذا أهلّ هلال ذي الحجة قام في صبيحته وأسند

(١) السيرة الحلبية ١ / ٧١.

(٢) معجم البلدان للحموي ٥ / ٢٠٣ والعبارة التي فيه: ولا أدري أين كان؟ ولا من كان نصبه؟

(٣) سبل الهدى والرشاد ١ / ٢٧٢.

(٤) السياسة الشرعية لابن تيمية ١ / ٥٧.

ظهره إلى الكعبة من تلقاء باهما وخطب الناس، فقال:

يا معشر قريش، إنكم سادة العرب؛ أحسنها وجوهاً، وأعظمها أحلاماً، وأوسطها نسباً، وإنكم جيران بيت الله، أكرمكم الله بولايته، وخصّكم بجواره دون بني إسماعيل، وإنه يأتيكم زوّار الله يُعظّمون بيته فهم أضيافه، وحقّ من أكرم أضياف الله أنتم، فأكرموا ضيفه وزوّاره؛ فإنهم يأتونه غبراً من كلّ بلد على ضوامر كالقداح.

فوربّ هذه البنيّة، لو كان لي مالٌ يحتمل ذلك لكفّيتموه، وأنا مُخرّجٌ من طيب مالي وحلالي ما لم يُقطع فيه رحمٌ، ولم يُؤخذ بظلمٍ، ولم يدخل فيه حرام، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل. وأسألکم بحرمة هذا البيت، أن لا يخرج رجل منكم من ماله - لكرامة زوّار بيت الله وتقويتهم - إلاّ طيباً؛ لم يقطع فيه رحم، ولم يُؤخذ غصباً.

فكانوا يجتهدون في ذلك، ويخرجون من أموالهم ويضعونه في دار التّدوة^(١).

وكان هاشم يطعم الحاجّ بمكّة ومنى وعرفة وجمع^(٢)، وهو أوّل من سنّ لقريش الرحلتين؛ رحلة إلى اليمن ورحلة إلى الشام، وأخذ لهم من ملوك الروم وغسّان ما يعتصمون به^(٣)؛ وذلك إنّ تجّار قريش لم تعد تجارهم نفس مكّة وضواحيها، وإنّما تقدّم عليهم الأعاجم بالسّلع فيشترونها حتّى رحل هاشم إلى الشام

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ / ٢١١، السيرة الحلبية ١ / ٩، سبل الهدى والرشاد ١ / ٢٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ / ٢١١، تاريخ الطبري ٢ / ١٢.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ١٢، الكامل في التاريخ ٢ / ١٦.

ونزل على قيصر، فأعجبه حُسْنُ خلقه وجمال هيئته وكرمه المنهمر، فلم يحجبه، وأذن له بالقدوم عليه بالتجارة، وكتب أماناً بينهم، فارتقت منزلة هاشم بين الناس، فكان يسافر في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام.

وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام، وجعل له معهم ربحاً، وساق لهم إبلاً مع إبله، وكفاهم مؤونة الأسفار على أن يكفوه مؤونة الأعداء في طريقه ومنصرفه، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين، فكان المقيم راجحاً، والمُسافر محفوظاً، فأخصبت قريش بذلك، وأتاه الخير من البلاد العالية والسافلة ببركة هاشم، وهذا هو الإيلاف المذكور في القرآن المجيد^(١).

وكان يقول في خطبته: أيُّها الناس، نحن آل إبراهيم وذُرِّيَّة إسماعيل، وبنو النَّضر بن كنانة، وبنو قصي بن كلاب، وأرباب مكة وسكَّان الحرم؛ لنا ذروة الحسب ومعدن المجد، ولكلٌّ في كلِّ حلفٍ يجب عليه نصرته وإجابة دعوته، إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم.

يا بني قصي، أنتم كغصني شجرة أيهما كُسر أوحش صاحبه، والسيف لا يُصان إلاّ بغمده، ورامي العشيرة يُصيبه سهمه، ومن أمحك اللجاج أخرجته إلى البغي.

أيُّها الناس، الحلم شرفٌ، والصبرُ ظفرٌ، والمعروفُ كنزٌ، والجودُ سُودٌ، والجهلُ سَفَةٌ، والأيامُ دُولٌ، والدَّهرُ غيرٌ. والمرءُ منسوبٌ إلى فعله ومأخوذ بعمله، فاصطنعوا المعروفَ تكسبوا الحمد، ودعوا الفضولَ تُحائبكم السفهاءَ، وأكرموا الجليسَ يعمر

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ / ٢١٠.

ناديكم، وحاموا الخليط يُرغب في جواركم، وأنصفوا من أنفسكم يُوثق بكم. وعليكم بكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإيّاكم والأخلاق الدنيّة فإنها تضع الشرف وتهدم المجد، وإنّ نهنهة الجاهل أهون من جريرته، ورأس العشيرة يحمل أثقالها، ومقام الحليم عضة لمن انتفع به^(١).

ولنور التّبوة الحالّ في جبهته؛ كان وجهه يضيء في الليلة الظلماء، ولم يمرّ بحجرٍ ولا شجر إلا ناداه: أبشر يا هاشم، سيظهر من ذريّتك أكرم خلق الله محمّد خاتم النبيّين ﷺ .

وأوصاه أبوه عبد مناف بما أوصاه به أبوه قصي: أن لا يضع نور التّبوة إلا في الأرحام الطاهرات من النساء، وأخذ عليه العهد بذلك، فقبل.

وقد تقدّم أنّها موروثه من آدم ﷺ؛ ومن هنا رغب الأشراف من الأكاسرة والقيصرة في مصاهرة هاشم وهو يأبى، حتّى إذا رأى في المنام قائلاً يقول: عليك بسلمى بنت عمرو بن لبيد بن حداد بن زيد بن عامر بن غنم بن مازن من بني التّجار؛ فإنها طاهرة مطهّرة الأذيال، ليس لها مشبه من النساء، فادفع المهر الجزيل؛ فإنك تُرزق منها ولداً يكون منه النبيّ ﷺ .

فمشى هاشم وأخوه المطّلب وبنو عمّه إلى المدينة ومعهم لواء نزار، وعليهم أفرح الثّياب والدروع، ولما اجتمع القوم خطب المطّلب بن عبد مناف، فقال: نحن وفدُ بيت الله الحرام، والمشاعر العظام، وإلينا سعت الأقدام، وأنتم تعلمون شرفنا وشؤددنا، وما خصّنا به الله من النّور السّاطع والضياء

(١) جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ١ / ٧٣، نقلاً عن آباء الأنبياء كلّهم مؤمنون، مركز المصطفى.

اللامع، ونحن بنو لؤي بن غالب، قد انتقل هذا النور إلى عبد مناف، ثم إلى أخينا هاشم، وهو معنا من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد ساقه الله إليكم، وأقدمه عليكم، فنحن لكرمتكم خاطبون، وفيكم راغبون.

فأجابه عمرو - أبو سلمى - بالقبول والإنعام، وساقوا المهر كما أرادوا. ولما تزوج منها هاشم ودخل بها، وحملت بعد المطلب انتقل إليها النور، وما زالت تسمع البشائر بولادة خير البشر فأفزعها ذلك، إلا أن هاشماً عرفها أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١). فلما ولدت عبد المطلب كان يُدعى (شبية الحمد) لكثرة حمد الناس له؛ لكونه مفزع قريش في النوائب، وملجأهم في الأمور، فكان شريف قومه وسيدهم كمالاً ورفعةً، غير مدافع عن ذلك، وهو من حُلَماء قريش وحُكَمائها.

وقد سنّ أشياء أمضاها له الإسلام؛ حرّم نساء الآباء على الأبناء، ووجد كنزاً أخرج خمسه وتصدّق به، وسنّ في القتل مئة من الإبل، ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسنة سبعة أشواط، وقطع يد السارق، وحرّم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عريان، ولا يُستقسم بالأزلام، ولا يُؤكل ما دُبِح على النَّصَب ^(٢).

ومما يؤثر عنه: الظلوم لن يخرج من الدنيا حتى يُنتقم منه، وإن وراء هذه الدار دار يُجرى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وإذا لم تصب الظلوم في الدنيا عقوبةً فهي مُعدّة له في

(١) بحار الأنوار ١٥ / ٤٠.

(٢) الخصال / ٣١٣، الدرّ التّظيم / ٧٩٨.

الآخرة^(١).

وقيل له: الفيّاض؛ لكثرة جوده ونائله، حتّى إنّ مائدته يأكل منها الراكب، ثمّ تُرفع إلى جبل أبي قُبَيْس لتأكل منها الطير والوحوش^(٢).

ولعزّه المنيع وشرفه الباذخ؛ كان يُفرش له بإزاء الكعبة ولم يُفرش لأيّ أحد غيره، ولا يُجالسه على بساط الأئمة إلاّ نبيّ العظمة^(٣)، وإذا أراد أحد أعمامه أن يُنحّيه صاح به عبد المطلب، وقال: إنّ له لشأناً ومُلْكاً عظيماً^(٤).

ولا غرو في ذلك بعد أن كان وصيّاً من الأوصياء، وقارئاً للكتب السماوية، ولقد أخبر أبو طالب رسول الله ﷺ فقال: كان أبي يقرأ الكتب جميعاً، وقال: إنّ من صُلبي نبياً، لوددت أنّي أدركت ذلك الزمان فأمنت به، فَمَنْ أدركه من وُلدي فليؤمن به^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله، ما عبدَ أبي ولا جدّي عبدُ المطلب، ولا عبدُ مناف ولا هاشم صنماً، وإنّما كانوا يعبدون الله، ويُصلّون إلى البيت على دين إبراهيم مُتمسكين به»^(٦).

وكان أبو طالب سيّد البطحاء شبيهاً بأبيه شبيبة الحمد، عالماً بما جاء به الأنبياء عليهم السلام، وأخبرت به أممهم من حوادث وملاحم؛ لأنّه

(١) الغدير ٧ / ٣٥٣، عقيدة أبي طالب للرفاعي / ٧٢.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ٦.

(٣) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) بحار الأنوار ٣٥ / ١٤٧.

(٦) كمال الدين وتمام النعمة / ١٧٥، بحار الأنوار ١٥ / ١٤٤ وغيرهما من المصادر.

وصي من الأوصياء، وأمير علي وصايا الأنبياء حتى سلمها إلى النبي ﷺ^(١).
قال درست بن منصور: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: أكان رسول الله
ﷺ محجوجاً بأبي طالب؟ قال: « لا، ولكن كان مُستودع الوصايا فدفعها إلى النبي ﷺ ». «
قلت: دفعها إليه على أنه محجوج به؟ قال عليه السلام: « لو كان محجوجاً به ما دفعها إليه ». قلت:
فما كان حال أبي طالب؟ قال: « أقر بالنبي وبما جاء به حتى مات »^(٢).
وقال المجلسي: أجمعت الشيعة على أن أبا طالب لم يعبد صنماً قط، وأنه كان من
أوصياء إبراهيم الخليل عليه السلام^(٣). وحكى الطبرسي إجماع أهل البيت عليه السلام على ذلك، ووافقه
ابن بطريق في كتاب المستدرك.
وقال الصدوق: كان عبد المطلب وأبو طالب من أعرف العلماء وأعلمهم بشأن النبي
ﷺ، وكانا يكتمان ذلك عن الجهال والكفرة^(٤).
ومما يشهد على أنه كان على دين التوحيد وملة إبراهيم، أن قريشاً لما أبصرت العجائب
ليلة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام، خصوصاً لما أتوا بالآلهة إلى جبل أبي قبيس ليسكن بهم ما
شاهدوه، ارتجّ الجبل

(١) بحار الأنوار ٣٥ / ٧٤.

(٢) الكافي ١ / ٤٤٥، ح ١٨.

(٣) بحار الأنوار ٣٥ / ١٣٨، والعبارة فيها تقدّم وتأخير.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة / ١٧١، الخرائج والجرائح ٣ / ١٠٧٤، وفي آخر الحديث: عن الجهال، وأهل

الكفر والضلال.

وتساقطت الأصنام، ففزعوا إلى أبي طالب؛ لأنّه مفرع اللاحىء وعصمة المستجير، وسألوه عن ذلك، فرفع يديه مبتهلاً إلى المولى جلّ شأنه، قائلاً: إلهي، أسألك بالمحمدية المحمودة، والعلوية العالية، والفاطمية البيضاء إلاّ تفضّلت على تهامة بالرأفة والرحمة. فسكن ما حلّ بهم، وعرفت قريش هذه الأسماء قبل ظهورها؛ فكانت العرب تكتب هذه الأسماء وتدعو بها عند المهّمات، وهي لا تعرف حقيقتها^(١).

ومن هنا اعتمد عليه عبد المطلب في كفالة الرسول ﷺ وخصّه به دون بنيه، وقال:
وَصَيْتٌ مَنْ كَنَيْتُهُ بِطَالِبٍ عَبْدٌ مَنَافٍ وَهُوَ ذُو تَجَارِبِ
بَابِنِ الْحَبِيبِ أَكْرَمِ الْأَقَارِبِ بَابِنِ الَّذِي قَدْ غَابَ غَيْرَ آيِبِ
فقال أبو طالب:

لا تُوصني بلازم وواجبٍ إني سمعتُ أعجبَ العجائبِ
مِنْ كُلِّ حَيْرٍ عَالِمٍ وَكَاتِبِ بَانَ مُحَمَّدٍ لِلَّهِ قَوْلُ الرَّاهِبِ^(٢)
فقال عبد المطلب: انظر يا أبا طالب، أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه، ولم يذق شفقة أمه، انظر أن يكون من جسدك بمنزلة كبذك؛ فإني قد تركت بني كُلهم وخصصتك به؛ لأنك من أم أبيه. واعلم فإن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك؛ فإنه والله، سيسودكم ويملك ما لا يملك أحد من آبائي، هل قبلت وصيتي؟
قال: نعم، قد قبلت، والله على ذلك شاهد.

(١) روضة الواعظين / ٧٨، مناقب آل أبي طالب ٢ / ٢٢، الدرّ النظيم / ٢٣١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ / ٣٤، بحار الأنوار ٣٥ / ٨٥، الدرّ النظيم / ٢١١.

فقال عبد المطلب: مدّ يدك. فمدّ يده فضرب بيده على يد أبي طالب، ثم قال عبد المطلب: الآن خُفف عليّ الموت. ولم يزل يُقبّله ويقول: أشهدُ أنّي لم أرَ أحداً في وُلدي أطيّبَ ريحاً منك، ولا أحسنَ وجهاً^(١).

وفرّج أبو طالب بهذه الحظوة من أبيه العطوف، وراح يدّخر لنفسه السعادة الخالدة بكفالة نبيّ الرحمة، فقام بأمره، وحمّاه في صغره بماله وجاهه من اليهود والعرب وقريش، وكان يؤثّر على أهله ونفسه، وكيف لا يؤثّر وهو يشاهد من ابن أخيه - ولمّا يبلغ التاسعة من عمره - هيكل القدس بملاً الدست هيبّةً ورجاحة، أكثر ضحكه الابتسام، ويأنس بالوحدة أكثر من الاجتماع.

وإذا وضع له الطعام والشراب لا يتناول منه شيئاً إلّا قال: « بسم الله الأحد ». وإذا فرغ من الطعام حمد الله وأثنى عليه، وإنّ رصده في نومه شاهد التور يسطع من رأسه إلى عنان السماء^(٢).

وكان يوماً معه بزدي الجحاز، فعطش أبو طالب ولم يجد الماء، فجاء النبي ﷺ إلى صحرة هناك وركلها برجله، فنبع من تحتها الماء العذب^(٣). وزاد على ذلك، توفر الطعام القليل في بيته حتّى أنّه يكفي الجمع الكثير إذا تناول النبي ﷺ منه شيئاً^(٤). وهذا وحده كافٍ في الإذعان بأنّ أبا طالب كان على يقين من نبوة ابن أخيه محمد ﷺ.

(١) كمال الدين وتمام النعمة / ١٧٢، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ١٥ / ١٤٣.

(٢) انظر: مناقب آل أبي طالب ١ / ٣٦ - ٣٧، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ١٥ / ٢٣٥.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ١٩١.

(٤) المصدر نفسه ١ / ١٨٩.

أضف إلى ذلك قوله في خطبته لما أراد أن يزوجه من خديجة: وهو والله، بعد هذا له نبأ عظيم، وخطبٌ جليل^(٤). وفي وصيته لقريش: إني أوصيكم بمحمدٍ خيراً؛ فإنه الأُميُّ في قريش، والصدِّيقُ في العرب، وهو الجامع لكلِّ ما أوصاكم به، وقد جاء بأمرٍ قبَّله الجنان^(٥).
ولما جاء العباس بن عبد المطلب يخبره بتألب قريش على معاداة الرسول ﷺ، قال له: إنَّ أبي أخبرني أنَّ الرسولَ على حقِّ، ولا يضرُّه ما عليه قريش من معاداة له، وإنَّ أبي كان يقرأ الكتب جميعاً، وقال: إنَّ من صُلي نبياً، لوددت أنِّي أدركته فأمنت به، فمن أدركه فليؤمِّن به^(٦).

واستشهاده بكلمة أبيه القارئ للكتب، مع أنَّه كان يقرؤها مثله، يدلُّنا على تفنُّنه في تنسيق القياس وإقامة البرهان على صحة النبوة، وأنَّ الواجب اعتناق شريعته الحقَّة؛ أمَّا هو نفسه، فعلى يقين من أنَّ رسالة ابن أخيه ﷺ خاتمة الرُّسل، وهو أفضل من تقدِّمه قبل أن يشرق نور النبوة على وجه البسيطة،

(١) السيرة الحليَّة ١ / ٢٢٦، إمتاع الأسماع للمقريزي ٦ / ٢٩، تفسير البحر المحيط ٣ / ١١٠.

(٢) السيرة الحليَّة ٢ / ٤٩، الغدير ٧ / ٣٦٦، وقد ذكر المصادر المؤرَّدة للحديث.

(٣) الفتوح لابن أعمش الكوفي ٢ / ٥٥٧، الغدير ٧ / ٣٤٨، وقد ذكر المصادر المؤرَّدة للحديث، ثمَّ قال، قال الأُميُّ: أترى أنَّ أبا طالب يروي ذلك عن أبيه مُطمئنناً به، وينشط رسول الله ﷺ هذا التنشيط لأوَّل يومه، ويأمره بإرشاد أمره والإشادة بذكر الله، وهو مُحبَّب بأنَّه هو ذلك النَّبي الموعود بلسان أبيه والكتب السالفة، ويتكهن بخضوع العرب له؛ أتراه سلام الله عليه يأتي بهذه كلها ثمَّ لا يؤمن به؟! إنَّ هذا إلاَّ اختلاق.

ولم تُجهل لديه صفات النبي المبعوث ﷺ .

وعلى هذا الأساس؛ أخبر بعض أهل العلم من الأخبار حينما أسرّ إليه بأن ابن أخيه محمد ﷺ الروح الطيبة، والتي المُطَهَّر على لسان التوراة والإنجيل، فاستكتمه أبو طالب الحديث كي لا يفشوا الخبر، ثم قال له: إنَّ أبي أخبرني أنَّه النبي المبعوث، وأمر أن أستر ذلك؛ لئلا يغرى به الأعداء.

ولو لم يكن مُعتقداً صدق الدعوة، لما قال لأخيه حمزة لما أظهر الإسلام:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمدٍ وكُنْ مُظهراً للدين وفقت صابراً
وحط من أتى بالدين من عند ربه بصدقٍ وحق لا تكُنْ حمزاً كافراً
فقد سرّني إذ قلت إنك مؤمنٌ فكُنْ لرسول الله في الله ناصراً
ونادٍ قريشاً بالذي قد أتته جهاراً وقُل ما كان أحمدُ ساحراً^(١)

وقال راداً على قريش:

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتاب^(٢)

(١) مناقب آل أبي طالب ١ / ٥٦، كنز الفوائد للكراچكي / ٧٩، الغدير ٧ / ٣٥٧، شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد ١٤ / ٧٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ / ٥٧، كنز الفوائد للكراچكي / ٧٩، البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ١٠٨،

السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٣٥.

وقال:

وأَمَسَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِينَا مُصَدِّقًا عَلَى سَخَطٍ مِنْ قَوْمِنَا غَيْرِ مُعْتَبِرٍ^(١)

وقال:

أَمِينٌ مُحِبٌّ فِي الْعِبَادِ مُسَوِّمٌ بِخَاتِمِ رَبِّ قَاهِرٍ لِلْخَوَاتِمِ
يَرَى النَّاسَ بُرْهَانًا عَلَيْهِ وَهَيْبَةً وَمَا جَاهِلٌ فِي فِعْلِهِ مِثْلُ عَالِمِ
نَبِيِّ أَتَاهُ الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ فَمَنْ قَالَ لَا يَقْرَعُ بِهَا سِنَّ نَادِمٍ^(٢)
وَمَا خَاطَبَ بِهِ النَّجَاشِي:

تَعَلَّمْ خِيَارَ النَّاسِ أَنْ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ كَمُوسَى وَالْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمِ^(١)
أَتَى بِالهُدَى مِثْلَ الَّذِي أَتَى بِهِ فَكُلُّ بِأَمْرِ اللَّهِ يَهْدِي وَيَعْصِمُ^(٢)
وَإِنِّكُمْ تَتْلَوْنَ فِي كِتَابِكُمْ بِصَدَقِ حَدِيثٍ لَا حَدِيثِ الْمُتَرْجِمِ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدًّا وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ لَيْسَ بِمُظْلِمِ

وقال:

أَذْهَبَ بُنْيَ فَمَا عَلَيْكَ عَضَاضَةٌ أَذْهَبَ وَقَرَّ بِذَلِكَ مِنْكَ عُيُونُ
وَاللَّهِ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي التَّرَابِ دَفِينًا
وَدَعَوْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينًا

(١) مناقب آل أبي طالب ١ / ٥٨، سيرة ابن إسحاق / ١٤٥، الدرر التظيم للعالمي / ٢١٦.

(٢) كنز الفوائد للكراچكي / ٧٩، شرح نخب البلاغة لابن أبي الحديد / ١٤ / ٧٣.

(١) ورد المصراع الثاني من البيت في مصدره الأساس بهذا النحو: وزيرٌ لموسى والمسيح بن مريم. وما أثبتناه

فهو من ديوان أبي طالب / ١٣٩، وهو الصحيح والأوفق مما ذكر. (موقع معهد الإمامين الحسينين)

(٢) في البيت إقواءً بـ. (موقع معهد الإمامين الحسينين)

وذكرت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية ديناً^(١)
وبعد هذه المصارحة، هل يخالج أحداً الربُّ في إيمان أبي طالب؟
وهل يجوز على من يقول: «... إنا وجدنا محمداً نبياً كموسى...» إلا الاعتراف بنبوته
والإقرار برسالته كالأنبياء المتقدمين؟
وهل يكون إقرار بالنبوة أبلغ من قوله: « وأمسى ابن عبد الله فينا مُصدّقاً...؟ » وهل فرق
بين أن يقول المسلم: أشهد أن لا إله إلا الله، وبين أن يقول:
وإن كان أحمد قد جاءهم بصدقٍ ولم يُتهم بالكذب؟^(٢)
أو يعترف الرجل بأنَّ محمداً ﷺ كموسى وعيسى عليهما السلام جاء بالهدى والرشاد مثل ما
أتيا به، ثمَّ يُحكم عليه بالكفر؟
وهل هناك جملة يعبر بها عن الإسلام أصرح من قول المسلم:
وذكرت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية ديناً؟
كلّا، ولو لم يعرف أبو طالب من ابن أخيه الصدق فيما أخبر به لما قال له بمحضر
قريش؛ ليربهم من فضله وهو به خيرٌ وجنائه طامنٌ: « يابن أخي، الله أرسلك »؟

(١) مناقب آل أبي طالب ١ / ٣٠١، بحار الأنوار ٣٥ / ٨٧، الغدير ٧ / ٣٣٤، فتح الباري ٧ / ١٤٨،
تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ١ / ٤٣٥، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري ٢ / ١٢،
تفسير الثعلبي ٤ / ١٤١، تفسير البغوي ٢ / ٩١، زاد المسير لابن القيم ٢ / ١٧، تاريخ الإسلام للذهبي ١ /
١٥٠، البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ٥٦، السيرة الحلبية ١ / ٤٦٢، وغيرها من المصادر الكثيرة التي نقلت هذا
الشعر بتمامه أو بعض المقاطع منه.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ / ٦٢، سيرة ابن إسحاق ١٤٤ / ١٤٤.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « نعم ».

قال: إنَّ للأنبياء معجزةً وخرقَ عادةٍ، فأرنا آيةً؟

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يا عمُّ، ادعُ تلك الشجرةَ وقُلْ لها، يقول لك محمدٌ بنُ عبد الله: أقبلي باذن الله ». فدعاها أبو طالب، فأقبلت حتى سجدت بين يديه، ثم أمرها بالانصراف فانصرفت، فقال أبو طالب: أشهدُ أنك صادق. ثمَّ قال لابنه علي عَلِيٌّ: يا بُنَيَّ الزمه ^(١).

وقال يوماً لعليّ عَلِيٌّ: ما هذا الذي أنت عليه؟

قال: « يا أبة، آمنتُ باللهِ ورسوله، وصدقتُ بما جاء به، ودخلتُ معه واتبعته ». فقال أبو طالب: أما أنت لا يدعك إلا إلى خير فالزمه ^(٢).

وهل يجد الباحث بعد هذا كُلُّه ملتحداً عن الجرم بأنَّ شيخ الأبطح كان مُعتنقاً للدين الحنيف، ويكافح طواغيت قريش حتى بالائتمام مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاته وإنَّ أهمله فريق من المؤرِّخين؛ رعايةً لما هم عليه من حُبِّ الوقية في أبي طالب ورميه بالقذائف؛ حنقاً على ولده (الإمام) الذي لم يتسنَّ لهم أي غميرة فيه، فتحاملوا على أمه وأبيه إيذاءً له، وإكثاراً لنظائر من يرومون إكباره وإجلاله ممن سبق منهم الكفر، وحيث لم يسعهم الحطُّ من كرامة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الوصي عَلِيٌّ عمدوا إلى أبويهما الكريمين، فعزوا إليهما الطّامات، وربما ستروا ما يُؤثر عنهما من الفضائل إيثاراً لما يروقههم اثباته!!

(١) بحار الأنوار ٣٥ / ١١٥، الغدير ٧ / ٣٩٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ / ٣٠١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ / ٢٠٠، تفسير الثعلبي ٥ /

٨٥، تاريخ الطبري ٢ / ٥٨، السيرة الحلبية ١ / ٤٣٦، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ٢ / ٣٠١.

ويشهد لذلك ما ذكره بعض الكتّاب عند ذكرى أسرى بدر، فقال: وكان من الأسرى
عمُّ النَّبيِّ، وعقيل ابن عمِّه (أخو علي) ^(١)!

فإنّه لو كان غرضه تعريف المأسور، لكان في تعريف عقيل بأنّه ابن عمِّ النَّبيِّ
كفاية، كما اكتفى في تعريف العباس بأنّه عمُّ النَّبيِّ ﷺ، ولم يحتج أن يكتب بين
قوسين (أخو علي)! وأنت تعرف المراد من ذكر هذه الكلمة بين قوسين، وإلى أيّ شيء يرمز
بها الكاتب، ولكن فاته الغرض، وهيئات الذي أراد ففشل!

ثمّ جاء فريق آخر من المؤرّخين يحسبون حصر المصادر في ذوي الأغراض المستهدفة، وأنّ
ما جاؤوا به حقائق راهنة، فاقتصر على مروياتهم ممّا دبّ ودرج، وفيها الخرافات وما أوحته
إليهم الأهواء والتّوايما السيّئة؛ ومن هنا أهملت حقائق ورويت أباطيل، فعزّوا إلى أبي طالب
قوله: إنّي لا أحبّ أن تعلوني أستي ^(٢)!

(١) تاريخ الأئمة العربية / ٨٤، مطبعة الحكومة - بغداد / ١٩٣٩ م.

(٢) مُسند أحمد ١ / ٩٩، مجمع الزوائد للهيتمي ٩ / ١٠٢، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى باختصار، والبرّار
والطبراني في الأوسط، وإسناده حسن. مُسند أبي داود الطيالسي / ٢٦، السيرة الحليّة ١ / ٤٣٦.
والجدير بالذّكر أنّ الحديث ورد عن طريق يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن حبة العرني، عن علي،
وعليه فالكلام يقع في مقامين:

الأول: في سند الحديث، والثاني: في متن الحديث؛ أمّا سند الحديث فلا يحتاج إلى كثير مؤونة؛ لأنّ يحيى بن
سلمة بن كهيل ضعيف، قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤ / ٣٨١ / ٩٥٢٧: يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه،
قال أبو حاتم وغيره: منكر الحديث. =

ثُمَّ رَوَا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَا هَذَا الدِّينُ؟
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: « دِينُ اللَّهِ وَدِينُ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَدِينُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ إِلَى الْعِبَادِ،
وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ دَعَوْتَهُ إِلَى الْهُدَى، وَأَحَقُّ مَنْ أَجَابَنِي ». »

= وقال النسائي: متروك. وقال عباس عن يحيى: ليس بشيء، لا يُكتب حديثه.
وقال محمد بن إبراهيم بن أبي العنس: أخبرني يحيى بن سلمة، قال: كان سفيان الثوري يحيى إلى أبي وهو
غلامٌ عليه أقبية يسمع منه، فكان أبي يُعَيِّرُنِي بِهِ، ويقول: انظر إلى هذا الغلام يحيى من بني ثور رغبة في الحديث،
وأنت هاهنا لا ترغب فيه! وارجع إلى غيره تجد ترجمته كما ذكرت.
وأما النَّاحِيَةُ الثانية المتعلقة بممن الحديث، فنقول: إنَّ صاحب السِّيرَةِ الحليَّةِ ١ / ٤٣٦ قال بعد أن ذكر
الحديث: وهذا - كما لا يخفى - ينبغي أن يكون صدرَ منه قبل ما تقدّم من قوله لابنه جعفر: صلِّ جناح ابن
عمِّك وصلِّ على يساره، لما رأى النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي وَعَلِيٌّ عَلَى يَمِينِهِ.
فاذاً لا بُدَّ من تَحْطِي هذا الأمر وإثبات أن هذا القول صدر بعد ما أوصى جعفر بالصلاة مع النَّبِيِّ
ﷺ، وأتى له إثبات ذلك، مع ما عرفته من حال السند؟!
أضف إلى ذلك أنه قال: وذكر أنّ أبا طالب قال لعليّ: أي بُني، ما هذا الذي أنت عليه؟ فقال: « يا أبت،
أمنتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَصَدَّقْتُ مَا جَاءَ بِهِ، وَدَخَلْتُ مَعَهُ وَاتَّبَعْتُهُ ». فقال: أما أنّه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه.
وعليه فيكون الحديث المتقدّم باطلاً؛ لأنّ المعروف خلافه.
يُضَافُ إلى ذلك تناقض آخر، إذ ذكروا أنّ أبا طالب مات مُشْرِكاً، لا لأجل هذه المقولة: إني لا أحبُّ أن
تعلوني أستي؛ بل لأجل ما ذكروا من قول أبي طالب: إني لأعلم أنّ ما يقوله ابنُ أخي لحقٌّ، ولولا أنّي أخاف أنّ
تُعَيِّرُنِي نِسَاءُ قَرِيْشٍ لَاتَّبَعْتَهُ. فيكون عدم الاتِّباع لأجل هذا لا إلى ما تقدّم.
فاذاً الحديث ضعيف سنداً، ومن الجهة الأخرى فيه مشاكل مقنية تأبي قبوله أو التصديق به، فيكون من
مُخْتَلَفَاتِ العثمانيين.

فقال أبو طالب: إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي. والله، لا يخلص إليك من قريش شيءٌ تكرهه ما حييت^(١).

فحسبوا من هذا الكلام أن أبا طالب ممن يعبد الأوثان، كيف! وهو على التوحيد أدلّ. وجوابه: هذا من أنفس التورية وأبلغ المحاورة؛ فإن مراده من قوله لرسول الله ﷺ عقيب قوله ﷺ: «أنت أحقُّ من دعوته». إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي؛ الاعتراف بإيمانه، وأنه باقٍ على الملة البيضاء، وحنيفية إبراهيم الخليل عليه السلام الذي هو دين الحق والهدى، وهو دينه ودين آبائه، ثم زاد أبو طالب في تطمين النبي ﷺ بالمدافعة عنه مهما كان باقياً في الدنيا.

نعم، من لا خبرة له بأساليب الكلام وخواصّ التورية يحسب أن أبا طالب أراد بقوله: إني لا أفارق ديني... الخضوع للأصنام، فصقّ طرباً واختال مرحاً. وجاء الآخر يعتذر عنه: بأنه كان يراعي بقوله هذا، الموافقة لقريش؛ ليتمكن من كلائمة النبي ﷺ وتمشية دعوته. نحن لا نُنكر أن شيخ الأبطح كان يلاحظ شيئاً من ذلك، ويروقه مداراة القوم في ما يمسّ بكرامة الرسول ﷺ للحصول على غايته الثمينة، لكننا لا نوافقهم في كلِّ ما يقولون: من انسلاله عن الدّين الحنيف انسلالاً باتّاءً؛ فإنّه خلاف الثابت من سيرته حتّى عند رواة تلكم المخزيات، ومهملي الحقائق النَّاصعة حذراً عمّا لا يُلائم خطّتهم، فلقد كان يُراغم أولئك الطواغيت بما هو أعظم من التّظاهر بالإيمان، والالتزام بالصلاة مع النبي ﷺ.

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٥٨، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٨.

وإنَّ شعْرَه الطافح بذكر التَّبوَّة والتصديق بها سرت به الركبان، وكذلك أعماله النَّاجعة
حول دعوة الرسالة:

ولولاً أبو طالبٍ وابنيه لما مثَّل الدِّينَ شَخْصاً فِقَامَا
فَذاك بِمِغَّةِ آوى وحامَا وهذا يثيرُ بِجَسَنِ الحِمَامَا
تَكَفَّلَ عَبْدُ مُنافٍ بأمرٍ وأودَى فكَانَ عَلَيَّ تَمَامَا
فللهِ ذا فَاتِحٍ لِلهُدَى وللهِ ذا للمَعَالِي خِتَامَا
وما ضَرَّ بِجَدِّ أَبِي طَالِبٍ عَدُوٌّ لَعَا أَوْ جَهُولٌ تَعَامَى^(١)

(١) شرح نخب البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ / ٨٤، قال ابن أبي الحديد المعتزلي: وصنّف بعض الطالبين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب وبعثه إليّ، وسألني أن أكتب عليه بخطّي نظماً أو نثراً، أشهد فيه بصحة ذلك وبوثاقه الأدلة عليه، فتحرّجتُ أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً؛ لما عندي من التوقّف فيه، ولم استحز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب؛ فيأتي أعلمُ أنّه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، وأعلمُ أنّ حقّه واجبٌ على كلّ مسلم في الدُّنيا إلى أن تقوم الساعة، فكتبت على ظاهر المجلد: ولولاً أبو طالبٍ وابنيه ...

على أنا نقول: إنّ الأدلة على إيمانه كثيرة، بينما الأدلة المنقولة عن عدم إيمانه، فيها ما هو مرفوض؛ لأنّ في أسانيدنا من كان يُبغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كحديث الضحضاح من النار؛ فإنّه رواية المغيرة بن شعبة، وهو معلوم البغض والعداوة لأهل البيت عليهم السلام ولعلي عليه السلام بالخصوص؛ حيث كان يسبّه على المنابر، ويُقيم الخطباء على سبّه، فمثل هذا الشخص لا تحلّ عنه الرواية مطلقاً فضلاً عن روايته عن حال أهل البيت عليهم السلام.

والمخالصة: إنّ أبا طالب مؤمنٌ باللّه ورسوله لعدّة أدلة لا مطعن لها، ولا تحتاج إلى تأويل، وهي كالتالي:
١ - الأشعار الكثيرة التي أطلقها أبو طالب في حقّ الرسول ﷺ، والذي فيها التصريح بإيمانه وتصديقه برسالة الرسول ﷺ.

٢ - إنّ فاطمة بنت أسد - زوجة أبي طالب - من المسلمات الأوّليات، وقد بقيت على نكاح أبي طالب إلى أن مات، ولم يُفَرِّقها الرسول ﷺ. ولا أمر بتفريقهما.
٣ - بعض الأحاديث المنقولة عن أبي طالب والتي تدلّ على إسلامه.

=

وأما أمير المؤمنين (عليه السلام) فيخرس البليغ عن أن يأتي على صفاته، ويقف الكاتب مُتردداً، وما عساه أن يقول في من قال فيه أبوه أبو طالب، لما فرغت قريش إليه ليلة ولادة أمير المؤمنين ﷺ إذ أبصروا عجائب لم يروها، ولم يسمعوها بما:

« أيها الناس، سيظهر في هذه الليلة وليٌّ من أولياء الله، يُكَمَّل فيه خصال الخير، ويُتَمَّ به الوصيِّين، وهو إمام المتقين وناصر الدِّين، وقامع المشركين وغيظ المنافقين، وزين العابدين ووصيِّ رسول ربِّ العالمين؛ إمامٌ هدى، ونجمٌ علاً ومُصباحٌ دجى، ومبيد الشرك والشبهات، وهو نفس اليقين ». »

٤ - محبة الرسول ﷺ لأبي طالب معلومة مشهورة، فهذا يدل على إيمانه؛ لأنَّ الله تعالى أمر ببغض المشركين والتَّبري منهم، فلو كان مشركاً لأبغضه.

السنن الكبرى للبيهقي ٩ / ١٣١، مجمع الزوائد للهيتمي ٦ / ١٥٠ و ١٥١، وقال عقيبه: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، و ٩ / ١٢٠ و ١٢٣ و ١٢٤ و ٣٧١، مُسند أبي داود الطيالسي / ٣٢٠، المُصنَّف للصنعاني ١١ / ٢٢٨، ح ٢٠٣٩٥، المُصنَّف لابن أبي شيبة الكوفي ٧ / ٤٩٦، ح ١٥ و ٥٠٠، ح ٣٣ و ٣٥ و ٣٧ و ٥٠٤، ح ٥٦ و ٨ / ٥٢٠، ح ٢ و ٧ و ٥٢٢، ح ١٠ و ٢٢، مُسند ابن راهويه ١ / ٢٥٣، ح ٢١٩، مُسند سعد بن أبي وقاص / ٥١، ح ١٩، كتاب السنة لابن عاصم / ٥٩٤، ح ١٣٧٩ و ١٣٨٠، السنن الكبرى للنسائي ٥ / ٤٦، ح ٨١٤٩ و ٨١٥١ و ١٠٨، ح ٨٣٩٩ و ٨٤٠٠ و ٨٤٠١ و ٨٤٠٢ و ٨٤٠٣ و ٨٤٠٤ و ٨٤٠٥ و ٨٤٠٦ و ٨٤٠٧ و ٨٤٠٨ و ٨٤٠٩ و ٨٤١٣، ح ٨٤٣٩ و ٨٤٥٠، ح ٨٥١١، ح ١٧٢ و ٨٥٨٧ و ١٧٨، ح ٨٦٠١ و ١٧٩، ح ٨٦٠٢ و ١٨٠، ح ٨٦٠٣، خصائص أمير المؤمنين للنسائي / ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٨٢ و ١١٦، صحيح ابن حبان ١٥ / ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨٢، المعجم الأوسط للطبراني ١ / ٢٣٩، ح ٦ و ٥٩، المعجم الصغير للطبراني ٢ / ١١، المعجم الكبير للطبراني ٦ / ١٢٧ و ٧ / ١٣ و ١٧ و ٣٥ و ٧٧، الاستيعاب لابن عبد البر ٢ / ٧٨٧ و ٣ / ١٠٩٩، الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر / ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠، رياض الصالحين للنووي / ١٠٨ و ١٤٥.

ولم يزل يُكزّر هذا القول، وهو يتخلّل سكك مكة وأسواقها حتّى أصبح^(١).
 ويقول رسول الله ﷺ: «ضربة عليّ عمرو بن ود تعدل عبادة الثقلين»^(٢). وقال يوم
 خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يُحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتّى يفتح». فأعطاه لعليّ ع، وكان الفتح على يده^(٣).
 وبعد هذا فلنقف عن الإتيان بما أودع الله فيه من نفسيات وغرائز، شكرها له الإسلام.
 نعم، يجب أن نلفت القارئ إلى شيء أكثر البحث فيه رواة الحديث، وهو: الإسلام حال
 الصغر، وتردّدت الكلمة في الجوامع، وتضاربت فيها الأقوال، ولا يهمنّا إطالة القول فيها:

(١) روضة الواعظين للنيسابوري / ٧٨، بحار الأنوار ٣٥ / ١٠٢.

(٢) ورد بهذا اللفظ في عوالي اللآلئ لابن جمهور الإحسائي ٤ / ٨٦، وورد بلفظ: «ضربة عليّ يوم
 الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة». وفي المستدرک على الصحيحين للحاكم ٣ / ٣٢، شواهد
 التنزيل للحاكم الحسكاني ٢ / ١٤، تاريخ بغداد للبغدادي ١٣ / ١٩، تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ٥٠ /
 ٣٣٣.

وكلا الحديثين معناهما واحد؛ لأنّ الأفضلية في الأعمال تعني المعادلة إن لم تكن أكثر، والأمة شاملة للثقلين
 مع الأنس والجنّ.

(٣) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في: مُسند أحمد ١ / ١٨٥ و ٣٣١ و ٢ / ٣٨٤ و ٤ / ٥٢ و ٥ / ٣٣٣
 و ٣٥٨، صحيح البخاري ٤ / ١٢ و ٢٠ و ٢٠٧ و ٥ / ٧٦، كتاب المغازي - باب غزوة خيبر، كتاب الجهاد
 والسير - باب دعاء النبي ﷺ، صحيح مسلم ٥ / ١٩٥، كتاب الجهاد والسير - باب غزوة خيبر، و ٧ /
 ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢، كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل عليّ ع، سنن ابن ماجه ١ / ٤٤، ح ١١٧،
 سنن الترمذي ٥ / ٣٠٢ ح ٣٨٠٨، فضائل الصحابة للنسائي ١٥ / ١٦، المستدرک على الصحيحين للحاكم
 ٣ / ٣٨ و ١٠٩ و ١٣٢ و ٤٣٧.

١ - فَإِنَّا لَا نَقُولُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَوَّلُ مَنْ آمَنَ، وَإِنْ كَانَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَافَقَ الرَّسُولَ ﷺ عَلَى مَبْدَأِ الْإِسْلَامِ لَمَّا صَدَعَ بِالْأَمْرِ، وَلَكِنَّا نَقُولُ: مَتَى (كَفَرَ) عَلِيٌّ حَتَّى يُؤْمِنَ؟! وَإِنَّمَا كَانَ هُوَ وَصَاحِبُ الدَّعْوَةِ الْإِلَهِيَّةِ عَارِفِينَ بِالذِّينِ وَتَعَالِيمِهِ، مُعْتَنِقِينَ لَهُ مِنْذُ كِيَانِهِمَا فِي عَالَمِ الْأَنْوَارِ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ الْعَالَمَ مَبْدَأُ الْفَيْضِ الْأَقْدَسِ، وَوُجُودُهُمَا الْخَارِجِي مَجْرَاهُ، فَمُحَمَّدٌ نَبِيٌّ وَعَلِيٌّ وَصِيٌّ، وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

٢ - عَلَى أَنَّ نَبِيَّ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الْعَارِفُ بِأَحْكَامِهِ، وَالَّذِي خَطَّطَ لَنَا التَّكَالِيفَ قَبْلَ إِسْلَامِ ابْنِ عَمَّةٍ، وَأَنْجَزَ لَهُ جَمِيعَ مَا وَعَدَهُ بِهِ؛ مِنْ الْإِخْوَةِ وَالْوَصَايَةِ وَالْخِلَافَةِ يَوْمَ أَجَابَ دَعْوَتَهُ، وَأَزَرَهُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ وَقَدْ أَحْجَمَ عَنْهُ عِنْدَمَا نَزَلَتْ آيَةُ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)^(١).

وَهَلْ تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمئِذٍ يَجِدُ فِي شَرِيعَتِهِ عَدَمَ

(١) سورة الشعراء / ٢١٤، وحديثُ الإنذار ورد في مصادر مُتعدِّدة، وبأسانيد لا بأس بها، فورد بلفظ: « إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوهُ ». في: شرح نَجْمِ الْبَلَاغَةِ لابن أبي الحديد ١٣ / ٢١١، شواهد التنزيل للحسكاني ١ / ٤٨٦، تفسير البغوي ٣ / ٤٠٠، تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ٤٢ / ٤٩، مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في عليّ لابن مردويه الأصفهاني / ٢٩٠، تاريخ الطبري ٢ / ٦٣، وقد حذفه في تفسيره، فقال في جامع البيان ١٩ / ١٤٩: « فَأَيُّكُمْ يُؤَاوِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَكَذَا وَكَذَا!! » وكذلك فعل ابن كثير في البداية والنهاية ٣ / ٥٣، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ٦٣. ولفظ: « فَأَيُّكُمْ يُسَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي... » في: مُسْنَدُ أَحْمَدَ ١ / ١٥٩، مجمع الزوائد للهيتمي ٨ / ٣٠٢ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، السنن الكبرى للنسائي ٥ / ١٢٦، خصائص أمير المؤمنين للنسائي / ٨٦، تفسير ابن كثير ٣ / ٣٦٣، الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ١٨٧، تهذيب الكمال المزي / ٩ / ١٤٧، إمتاع الأسماع للمقريزي ٥ / ١٧٨.

الجدوى بإسلام مثل علي عليه السلام لصغره، إلا أنه حابه؟ كلاً وحاشا...!
وإنما قابله بكلّ ترحيب، وحوّله ما لا يخوّل أحداً صحة إسلامه عنده، بحيث كان علي
أساس رصين، فاتّخذ رداءً كمن اعتنق الدّين عن قلبٍ شاعرٍ ولبّ راجحٍ وعقليةٍ ناضجة؛
يغتنم بذلك محاماته، ومرضاة أبيه في المستقبل.

وإذا أكبرنا النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله عن كلّ مدهانة ومصانعة، فلا نجد مسرحاً في المقام لأيّ
مقال، إلا أن نقول: إنّ إسلام علي عليه السلام كان عن بصيرة وثبات مقبول عند الله ورسوله،
وكان ممدوحاً منهما عليه.

كما تمدّح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام غير مرّة، وهو أعرف الأئمة بتعاليم الدّين بعد النبيّ
الكريم صلى الله عليه وآله، فقال: « أنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذبٌ مفترٍ؛ صلّيتُ مع رسول الله
قبل الناس بسبع سنين »^(١).

(١) سنن ابن ماجه ١ / ٤٤، وقال محقق السنن الشيخ محمد عبد الباقي في الزوائد: إسناده صحيح، رواه
الحاكم في المستدرک عن المنهال، وقال: صحيح على شرط الشيخين، المستدرک للحاكم ٣ / ١١٢، المصنّف
لابن أبي شيبة ٧ / ٤٩٨، كتاب السنّة لابن أبي عاصم / ٥٨٤، السنن الكبرى للنسائي، خصائص أمير المؤمنين
للنسائي / ٤٦، تفسير الثعلبي / ٥ / ٨٥.

ومن يقول: بأن عليّاً أسلم صغير. نردّ عليه، فنقول: قد روي كما في صحيح مسلم ١ / ١٣٣، وفتح الباري
١٠ / ٣٥٤: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لما نزلت عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ). دعا رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً، وقال: «
يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار... يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة،
أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئاً... ». مع أنّ فاطمة سلام الله عليها كانت صغيرة؛
إذ هذه الآية في بدء الدعوة العلنية، وفاطمة سلام الله عليها لا يتجاوز عمرها ثمان سنين، ومع ذلك دعاها النبيّ
صلى الله عليه وآله إلى الإسلام وهي لم تُكَلِّف بعد، وتصحيح دعوتها باعتبار كونها مميّزة تفهم فلذلك خاطبها، فكذلك عليّ
بن أبي طالب عليه السلام فأسلم وهو يعرف ما يقول؛ فلذلك يصحّ إسلامه ويكون أول المسلمين، وإلا إن رُفض
ذلك، فيلزم سقوط رواية الصحاح حول فاطمة سلام الله عليها؛ إذ كيف يقبل مخاطبتها ودعوتها إلى الإسلام وهي
صغيرة، ولا يقبل إسلام عليّ بن أبي طالب لكونه صغيراً؟! فإنّ ذلك قسمة ضيزى.
ومن هذا تندفع جميع الإشكالات الموجودة على صغر إسلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقال له رسول الله ﷺ: « أنت أول المؤمنين إيماناً وإسلاماً »^(١).
كما مدحته الصحابة بذلك - وهم أبصر من غيرهم - يوم كانوا يغتفون من مستقى
العلم ومنبع الدين.
وعلى هذا الأساس تظافر الثناء عليه من العلماء والمؤلفين، والشعراء وسائر طبقات الأمة
بأنه أول من أسلم، لكن هناك ضالع في سيره حسب شيئاً فخانتته هاجسته وهوى إلى
مدحرة الباطل، فقال: إنَّ علياً أسلم وهو صغير؛ يُريد بذلك الخطَّ من مقامه وليس هناك.
٣ - ولو تنازلنا عن جميع ذلك، فمن أين عَلِمنا أنَّ اشتراط البلوغ في التكليف كان
مشروعاً في أول البعثة؟ فلعله كبقية الأحكام التدريجية نزل به الوحي فيما بعد، ولقد حكى
الخفاجي في شرح الشفا ٣ / ١٢٥، في باب دعاء النبي ﷺ على صبيٍّ، عن البرهان الحلبي
والسبكي: إنَّ اشتراط الأحكام بالبلوغ إنما كان بعد واقعة أحد. وعن غيرهما: إنَّه بعد المحجرة.
وفي السيرة الحلبية ١ / ٣٠٤: إنَّ الصبيان يومئذ مكلفون، وإنَّما رُفِعَ القلمُ عن الصبيِّ عام
خيبر. وعن البيهقي: إنَّ

(١) الأمالي للشيخ الصدوق / ٢٥.

الأحكام إنما تعلقت بالبلوغ في عام الخندق أو الحديبية، وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز^{(١)(٢)}.

٤ - على أنا معاشر الإمامية نعتقد في أئمة الدين، بأنهم حاملون أعباء الحجّة، متحلّون بحليّ الفضائل كلّها منذ الولادة، كما بُعث عيسى في المهديّ نبياً، وأوتي الحكم يحيى صبياً، غير أنّهم بين مأمور بالكلام، أو مأمور بالسكوت حتى يأتي أوأته، فلهم أحكام خاصّة غير أحكام الرعيّة، ومن أقلّها قبول إجابة الدعوة ونحوها.

(١) هامش مصباح الفقهة للسيد الخوئي ٢ / ٥١١.

(٢) السيرة الحليّة ١ / ٤٣٥ وقال عقيب هذا الكلام: وقد ذكروا أنّ الزبير بن العوّام أسلم وهو ابن ثمان سنين، وقيل: ابن خمس عشرة سنة، وقيل: ابن اثني عشرة سنة، وقيل: ابن ست عشرة سنة. ومما يدلّ للأول، ما جاء عن بعضهم: كان عليّ، والزبير وطلحة، وسعد بن أبي وقاص وُلدوا في عام واحد. ومما يدلّ أيضاً، ما جاء في كلام بعض آخر: أسلم عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوّام وهما ابنا ثمان سنين، وإجماعهم على أنّ عليّاً لم يكن يبلغ الحلم يرّد القول بأنّ عمره كان إذ ذاك عشر سنين؛ أي: بناءً على أنّ سنّ إمكان الاحتلام تسع سنين كما تقول به أئمّتنا عليهم السلام.

ثمّ قال، أقول، قال بعض متأخري أصحابنا: وإنما صحّت عبادة الصبيّ المميّر ولم يصح إسلامه؛ لأنّ عبادته نفل، والإسلام لا يُتغلّب به، وعلى هذا مع ما تقدّم يشكل ما في الإمتاع.

وأما عليّ بن أبي طالب، فلم يكن مشركاً بالله أبداً؛ لأنّه كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في كفالته كأحد أولاده؛ يتبعه في جميع أموره، فلم يحتج أن يدعي الإسلام، فيقال: أسلم.

ثمّ رأيت في الحديث ما يدلّ لما في الإمتاع، وهو: ثلاثة ما كفروا بالله قط: مؤمن آل ياسين، وعليّ بن أبي طالب، وآسية امرأة فرعون.

والذي في العرائس، روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: « سبّاق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبیب التجار صاحب ياسين، وعليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، وهو أفضلهم... ».

فإذا لا مساغ لأيّ أحد البحث في المسألة.

هذه هي السلسلة الذهبية التي تحلّى بها أبو الفضل عليه السلام، وهي (آبأؤه الأكارم)، وقد اتّحد مع كلّ حلقة منها الجوهر الفرد لإثارة الفضائل، فما منهم إلّا من أخذ بعضادتي الشرف، وملك أزقة المجد والخطر، قد ضمّ إلى طيب المجتهد عظمة الزعامة، وإلى طهارة العنصر نزاهة الإيمان، فلا ترى أيّاً منهم إلّا منارَ هدىً وبحرَ ندى، ومثالَ ثقيّ وداعية إلى التوحيد وإلى بسالة وبطولة، وإباء وشمم.

وهم الذين عرّقوا في سيّدنا العباس عليه السلام هذه الفضائل كلّها، وإن كان القلم يقف عند انتهاء السلسلة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلا يدري البراع ما يخطّ من صفات الجلال والجمال، وأنّه كيف عرّقها في ولده المحبوب (قمر الهاشميين).

الأعمام:

هلمّ معي أيّها القارئ لنقرأ صحيفة بيضاء مختصرة من حياة أعمام أبي الفضل عليه السلام، الذين هم أغصان تلك الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء؛ فإنّ للعمومة عرقاً يضرب في نفسيات المولود من فضائل وفواضل، وقد جاء في الحديث: «الولد، كما يُشبهه أحواله يُشبهه أعمامه»^(١).

(١) ورد في كمال الدّين وتمام النّعمة للصدوق / ٣١٤، حدّثنا أبي ومحمّد بن الحسن عليهما السلام، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله... عن أبي جعفر الثاني محمد بن علي عليه السلام، قال: «أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم، ومعه الحسن بن علي عليه السلام، وسلمان الفارسي عليه السلام، وأمير المؤمنين عليه السلام مُتَكَي على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس، فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام، فرد عليه السلام فجلس، ثمّ قال:

يا أمير المؤمنين، أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرتني بهنّ علمتُ أنّ القوم ركبوا من أمرك ما أقضي عليهم أنّهم ليسوا بأمّونين في دنياهم ولا في آخرتهم، وإنّ تكُن الأخرى علمتُ أنّك وهم شرّع سواء. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عمّا بدا لك. فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام، أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يُشبه ولده الأعمام والأحوال؟

فالتفت أمير المؤمنين إلى أبي محمد الحسن، فقال: يا أبا محمد، أجيبه. فقال: أمّا ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه؛ فإنّ روحه مُتعلّقة بالريح، والريح مُتعلّقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة، فإنّ أذن الله عزّ وجل برّد تلك الروح إلى صاحبها، جذبت تلك الروح بالريح، وجذبت تلك الريح للهواء، فرجعت الروح فأسكنت في بدن صاحبها...

وأما ما ذكرت من أمر المولود الذي يشبه أعمامه وأحواله؛ فإنّ الرجل إذا أتى أهله فجامعها بقلبٍ ساكنٍ، وعروقٍ هادئةٍ، وبدنٍ غيرٍ مُضطربٍ، فأسكنت تلك الروح النّطفة في جوف الرحم، خرج الولد يُشبهه أباه وأمه، وإنّ هو أتاه بقلبٍ غيرٍ ساكنٍ، وعروقٍ غيرٍ هادئةٍ، وبدنٍ مُضطربٍ، اضطربت تلك النّطفة فوقعت في حال اضطرابها على بعض العروق، فإنّ وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه، وإنّ وقعت على عرق من عروق الأحوال أشبه الرجل أحواله.»

وقبل الإتيان على ما حباهم به المولى من الآلاء، نستعرض اليسير من حياة عمّ الرسول ﷺ، الذي لم يزل يفتخر به في مواطن شتى، ألا وهو الحمزة بن عبد المطلب. وما أدراك ما حمزة، وما هو! وهل تعلم ماذا عنى نبيّ العظمة من وصفه بـ «أسد الله وأسد رسوله»^(١)؟ وهل أنه أراد الشدّة والبسالة فحسب؟ لا؛ لأنه ﷺ أفصح من نطق بالضاد، وكلامه فوق كلام البلغاء، فلو كان يُريد خصوص الشجاعة لكان حقّ التعبير أن يأتي بلفظ (الأسد) مُجَرِّداً عن الإضافة إلى الله سبحانه وإلى رسوله، كما هو المُطَّرَد في التشبيه به نظماً ونثراً.

وحيث أضافه الرسول ﷺ إلى ذات الجلالة والرسالة فلا بدّ أن يكون لغاية هناك أخرى، وليست هي إلاّ إفادة إنّ ما فيه من كبر وإقدام، وبطش وتنمّر مخصوص في نصرّة كلمة الله العُليا، ودعوة

(١) الكافي للكليني ١ / ٢٢٤، ح ٢، كامل الزيارات لابن قولويه / ٦٢، الأماي للشيخ الصدوق / ٥٤٧، المُستدرک للحاكم ٢ / ١١٩ و ٣ / ١٩٨، مجمع الزوائد للهيتمي ٩ / ٢٦٨، وقال: ورجاله إلى قائله رجال الصحيح. فتح الباري ٧ / ٢٨٦، بلفظ: إنّ حمزة مكتوب في السماء، أسد الله وأسد رسوله. وغيرها من المصادر الكثيرة.

الرسول ﷺ ، وهذا أرى من غيره وأرقى، فكان سلام الله عليه من عمد الدّين، وأعلام الهداية؛ ولذلك وجب عليه الاعتراف بفضله، وبما حباه المولى سبحانه من التّزاهة التي لا ينالها أحد من الشهداء، وكان ذلك من مكّمّلات الإيمان، ومتمّمات العقائد الحقّة.

يشهد له ما في كتاب (الطرف) للسيد ابن طاووس: إنّ رسول الله ﷺ قال لحمزة في الليلة التي أصيب في يومها: «إنك ستغيب غيبةً بعيدةً، فما تقول لو سألك الله عن شرائع الإسلام، وشروط الإيمان؟». فبكى حمزة، وقال: أرشدني وفهمني. فقال النبي ﷺ: «تشهد لله بالوحدانية، ولمحمد بالرسالة، ولعليّ بالولاية، وأنّ الأئمة من ذريّة الحسين، وأنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأنّ جعفر الطيّار مع الملائكة في الجنّة ابن أخيك، وأنّ محمداً وآله خير البرية». قال حمزة: آمنت وصدّقت. ثمّ قال رسول الله ﷺ: «وتشهد بأنك سيّد الشهداء، وأسد الله وأسد رسوله».

فلما سمع ذلك حمزة أدهش وسقط لوجهه، ثمّ قبل عيني رسول الله ﷺ، وقال: أشهدك على ذلك، وأشهد الله وكفى بالله شهيداً^(١).

(١) بحار الأنوار ٦٥ / ٣٩٥.

وإنّ التأمل في الحديث يُفيدنا منزلة كبرى لحمزة من الدّين والإيمان لا تحدّ، وإلاّ فما الفائدة في هذه البيعة والاعتراف بعد ما صدر منه بمكّة من الشهادة لله بالوحدانية ورسوله بالنبوّة؟ ولكنه ﷺ أراد لهذه الذات الطاهرة التي حلّقت بصاحبها إلى ذروة اليقين، التحلّي بأفضل صفات الكمال، وهو التسليم لأمر المؤمنين ﷺ بالولاية العامّة، ولأبنائه المعصومين ﷺ بالخلافة عن جدّهم الأمين ﷺ .

وهناك مرتبة أخرى لا يبلغ مداها أحد، وهي اعتراف حمزة وشهادته بأنّه سيّد الشهداء، وأنّه أسد الله وأسد رسوله، وأنّ ابن أخيه الطيّار مع الملائكة في الجنّة، وهذه خاصّة لم يكفّف بها العباد فوق ما عرفوه من منازل أهل البيت المعصومين ﷺ، وإتّما هي من مراتب السّلوك والكشف واليقين.

وإذا نظرنا إلى إكبار الأئمّة ﷺ لمقامه - وهم أعرف بنفسيات الرجال، حتّى أنّهم احتجّوا على خصومهم بعمومته وشهادته دون الدّين، كما احتجّوا بنسبتهم إلى الرسول الأقدس ﷺ، مع أنّ هناك رجالاً بذلوا أنفسهم دون مرضاة الله تعالى - استفدنا درجة عالية تُقرّب من درجاتهم ﷺ. فهذا أمير المؤمنين ﷺ يقول: « إنّ قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولكلّ فضل، حتّى إذا استشهد شهيدنا، قيل: سيّد الشهداء. وخصّه رسول الله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه »^(١).

(١) الاحتجاج ٣ / ٢٥٩، بحار الأنوار ٢٢ / ٢٧٢ و ٢٣ / ٥٨ و ٧٨ / ٣٤٨، نهج السعادة للمحمودي ٤ / ١٩٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ / ١٨١، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب ٣٧٢ / ٣، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٣ / ٤٤٦.

وفي يوم الشورى احتجّ عليهم به، فقال: «أنشدكم الله، هل فيكم أحدٌ له مثل عمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله؟»^(١). وقال الإمام المحتجّ عليه السلام في بعض خطبه: «وكان ممّن استجاب لرسول الله عمّه حمزة، وابن عمّه جعفر، فقتلا شهيدين في قتلى كثيرة معهما من أصحاب رسول الله، فجعل حمزة سيّد الشهداء»^(٢). وقال سيّد الشهداء أبو عبد الله عليه السلام يوم الطّفّ: «أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟!»^(٣).

إلى غير ذلك ممّا جاء عنهم في الإشادة بذكره، حتّى إنّ رسول الله ﷺ لم يزل يُكرّر الهمّات بفضلته، ويُعرّف المهاجرين والأنصار بما امتاز به أسد الله وأسد رسوله من بينهم؛ كي لا يقول قائل، ولا يتردّد مُسلمٌ عن الإذعان بما حبا الله تعالى سيّد الشهداء من الكرامة، فيقول ﷺ:

« يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد

-
- (١) الخصال للشيخ الصدوق / ٥٥٥، الأمالي للشيخ الطوسي / ٥٥٤، بحار الأنوار ٢٢ / ٢٨٠، المناقب للخوارزمي / ٣١٤، الدرّ النّظيم / ٣٣، كتاب الولاية لابن عقدة / ١٦٣، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس / ٤١٢، تاريخ مدينة دمشق لابن عسّاكر ٤٢ / ٤٣٤، ميزان الاعتدال للذهبي ١ / ٤٤٢، لسان الميزان لابن حجر ٢ / ١٥٧، وغيرها من المصادر.
- (٢) الأمالي للشيخ الطوسي / ٥٦٣، حلية الأبرار للبحراني ٢ / ٧٤، بحار الأنوار ١٠ / ١٤١ و ٢٢ / ٢٨٣، كتاب الولاية لابن عقدة / ١٨٥.
- (٣) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ / ٩٧، مثير الأحران للحلّي / ٣٧، تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٢، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤ / ٦٢، الدرّ النّظيم / ٥٥٢.

المُطَلَّب، أنا محمّد رسول الله، ألا إني خُلقتُ من طينةٍ مرحومةٍ في أربعة من أهل بيتي: أنا وعلي، وحمزة وجعفر»^(١).

والغرض من هذا ليس إلاّ التعريف بخصوص فضل عمّه وابن عمّه؛ فلذلك لم يتعرّض لخلق الأئمة عليهم السلام، بل ولا شيعتهم المخلوقين من فاضل طينتهم - كما في صحيح الآثار - ، وإنما ذكر نفسه ووصيّيه لكونهما من أصول الإسلام والإيمان. كما أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يوم فتح البصرة، لما صرّح بفضل سبعة من ولد عبد المُطَلَّب، قال: « لا ينكُرُ فضلهم إلاّ كافرٌ، ولا يجحدُهُ إلاّ جاحدٌ، وهم: النبي محمّد ووصيّيه، والسَّبطان، والمهدي، وسيّد الشهداء حمزة، والطيار في الجنان جعفر»^(٢). لم يقصد

(١) الأماي للشيخ الصدوق / ٢٧٥، التوحيد للشيخ الصدوق / ٢٠٤، الأماي للشيخ الطوسي / ٤١٠، بحار الأنوار / ١١ و ٣٨٠ / ٢٢ و ٣٧٤، غاية المرام للبحراني / ٥ / ١١٧.
(٢) الكافي / ١ / ٤٥٠، ح ٣٤٤، عنه بحار الأنوار / ٢٢ / ٢٨٢، ح ٤١٠.

والمؤلّف نقل مضمون الرواية ونصّ الرواية كالتالي: عن أصبغ بن نباتة الحنظلي، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام يوم افتتح البصرة، وركب بغلة رسول الله ﷺ، ثمّ قال: « أيّها الناس، ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم الله؟ ». فقام إليه أبو أيوب الأنصاري، فقال: بلى يا أمير المؤمنين حدّثنا؛ فإنّك كنت تشهد ونغيب. فقال: « إنّ خير الخلق يوم يجمعهم الله تعالى سبعة من ولد عبد المُطَلَّب، لا ينكُرُ فضلهم إلاّ كافرٌ، ولا يجحدُ به إلاّ جاحدٌ ».

فقام عمّار بن ياسر رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، سمّتهم لنا لعرفهم. فقال: « خيرُ الخلق يوم يجمعهم الله الرُّسل، وإنّ أفضلَ الرُّسل محمّد ﷺ، وإنّ أفضلَ كلّ أمة بعد نبيّها وصيُّ نبيّها حتّى يدركه نبيٌّ، ألا وإنّ أفضلَ الأولياء وصيُّ محمّد ﷺ، ألا وإنّ أفضلَ الخلق بعد الرُّسل الشهداء، ألا وإنّ أفضلَ الشهداء حمزة بن عبد المُطَلَّب وجعفر بن أبي طالب، له جناحان يطير بهما في الجنّة، لم يُحل أحدٌ من هذه الأئمة جناحان غيره؛ شيءٌ أكرم الله به محمّد ﷺ وشرفه، والسَّبطان الحسن والحسين، والمهدي عليه السلام، يجعله الله من شاء من أهل البيت ». ثمّ تلا هذه الآية: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رِزْقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا) . سورة النساء / ٦٩ .

بذلك إلا التنويه بفضل عمّه وأخيه، فقرن شهادتهما بمنْ نُحْض في سبيل الدّعوة الإلهيّة وهم أركان الإسلام والإيمان. ولو لم تكن لسيد الشهداء حمزة وابن أخيه الطيّار كلُّ فضيلة سوى شهادتهما للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة؛ لكفى أن لا يتطلّب الإنسان غيرهما.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: « إذا كان يوم القيامة وجمع الله تبارك وتعالى الخلاق، كان نوح (صلى الله عليه) أوّل من يُدعى به، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمّد بن عبد الله ﷺ .

قال: فيخرج نوح (صلى الله عليه) ويتخطّى الناس حتّى يأتي إلى محمّد ﷺ ، وهو على كتيب المسك، ومعه عليّ عليه السلام ، وهو قول الله عزّ وجل: (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا)^(١). فيقول نوح لمحمّد ﷺ : يا محمّد، إنّ الله تبارك وتعالى سألتني: هل بلغت؟ فقلت: نعم. فقال: من يشهد لك؟ قلت: محمّد. فيقول: يا جعفر، يا حمزة، اذها واشهدا أنّه قد بلغ . فقال أبو عبد الله عليه السلام: « فحمزة وجعفر هما الشّاهدان للأنبياء ﷺ بما بلغوا .»

(١) سورة الملك / ٢٧ .

فقال الراوي: جُعِلت فداك! فعليُّ عليه السلام أين هو؟ فقال: « هو أعظم منزلة من ذلك »^(١). وهذه الشهادة لا بدّ أن تكون حقيقية، بمعنى أنّها تكون عن وقوفٍ بمعالم دين نوح عليه السلام، وأديان الأنبياء الذين هما الشاهدان لهم بنصّ الحديث، وإحاطة شهوديّة بها وبمعارفها، وبمواقعها وبوضعها في الموضوع المقرّر له، وإلاّ لما صحّت الشهادة. وهذا المعنى هو المتبادر إلى الذهن من الشهادة عند إطلاقها، فهي ليست شهادة علميّة، بمعنى حصول العلم لهما من عصمة الأنبياء بأنّهم وضعوا ودائع نبوّاتهم في مواضعها، ولو كان ذلك كافياً لما طُلبوا بمن يشهد لهم؛ فإنّ جاعل العصمة فيهم - جلّ شأنه - أعرف بأمانتهم، لكنّه لضرب من الحكمة أراد سبحانه وتعالى أن يجري الأمر على أصول الحكم يوم فصل القضاء. ثمّ إنّ هذه الشهادة ليست فرعيّة، بمعنى أنّهما يشهدان عن شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإنّ المطلوب في المحاكم هي الشهادة الوجدانيّة فحسب. فإذا تقرّر ذلك، فحسب حمزة وجعفر من العلم المتدقّق خبرتهما بنواميس الأديان كلّها، والنواميس الإلهيّة جمعاء، أو وقوفهما بحقّ اليقين، أو بالمعاينة في عالم الأنوار، أو المشاهدة في عالم الأظلمة والذكر لها في عالم الشهود والوجود. ومن المستحيل بعد تلك الإحاطة أن يكونا جاهلين بشيء من نواميس الإسلام.

(١) الكافي للكليبي ٨ / ٢٦٧، ح ٣٩٢، وعنه بحار الأنوار للمجلسي ٧ / ٢٨٣، ح ٤.

طالب:

إنَّ الثابت عند المُحقِّقين إسلام طالب بن أبي طالب من أوَّل الدعوة؛ فإنَّ المتأمل إذا نظر بعين البصيرة إلى أبي طالب، وقد ضمَّ أولاده أجمع والنبيَّ ﷺ معهم، لا يفارقونه في جميع الأحوال مع ما يشاهدونه منه ﷺ من الآيات الباهرات؛ لا يرتاب في صدق الدعوى، وقد أفصح عنه شعره^(١):

إذا قيلَ مَنْ خَيْرُ هذا الوَريِّ قَبِيلاً وأَكْرَمَهُم أَسْرَهُ
أَنفَ بَعِيدِ مُنَافٍ أبُ وَقَضَلَهُ هَاشِمُ العُورَهُ
لقد حَلَّ مَجْدُ بَنِي هَاشِمِ مَكَانَ النَّعَائِمِ والتَّشْرَهُ
وَخَيْرُ بَنِي هَاشِمِ أَحْمَدُ رَسولُ الإِلهِ عَلَي فَتْرَهُ
وإنَّ في حديث جابر الأنصاري ما يُفيد منزلة أرقى من مجرد الإسلام؛ يقول قلت لرسول الله ﷺ: أكثر الناس يقولون: إنَّ أبا طالب مات كافراً.

(١) إيمان أبي طالب للشيخ المفيد / ٣٥، بحار الأنوار / ٣٥ / ١٦٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد / ١٤ /

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يا جابر، ربك أعلم بالغيب؛ إنه لما كانت الليلة التي أُسْرِيَّ بِي فيها إلى السماء انتهيت إلى العرش، فرأيت أربعة أنوار، فقلتُ: إلهي، ما هذه الأنوار؟ فقال: يا مُحَمَّد، هذا عبد المُطَلَّب، وهذا أبو طالب، وهذا أبوك عبد الله، وهذا أخوك طالب. فقلتُ: إلهي وسَيِّدي، فيم نالوا هذه الدرجة؟ قال: بكتمانهم الإيمان، والصبر على ذلك حتَّى ماتوا ^(١) .

وروى الكليني في روضة الكافي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَام : « كان طالب مسلماً قبل بدر، وإنَّما أخرجته قريش كرهاً، فنزل رجأوزهم يرتجزون، ونزل طالب يرتجز:

يا ربِّ إمَّا يَغْرُونُ بِطالِبٍ في مَقْنَبٍ من هذه المقانبِ
في مَقْنَبِ المُحارِبِ المُغالِبِ يَجْعَلُهُ المَسْلُوبَ غيرُ السَّالِبِ ^(٢)

وروى مُحَمَّد بن المثنى الحضرمي: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقي

(١) روضة الواعظين / ٨١، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ / ١٦، ح ١٢، الدرر التّظيم للعالمي / ٢٣٤ .
(٢) روضة الكافي للكليني ٨ / ٣٧٥، عمدة الطالب لابن عنبه / ٣٠، وعن الكافي في بحار الأنوار ١٩ / ٢٩٤، ح ٣٨، المُجدي في أنساب الطالبين للعلوي / ٣١٨، تاريخ الطبري ٢ / ١٤٤، الكامل في التاريخ ٢ / ١٢١، الوافي بالوفيات ١٦ / ٢٢٢، البداية والنهاية ٣ / ٣٢٥، السيرة النبوية لابن هشام الحميري ٢ / ٤٥١، السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٤٠٠ .

أبا رافع مولى العباس بن عبد المطلب يوم بدر فسأله عن قومه، فأخبره أنّ قريشاً أخرجوهم مكرهين^(١). ويشهد له ما رواه ابن جرير: أنّ رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «إني لأعرف رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً منهم فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله؛ إنّما خرج مُستكرهاً»^(٢).

وقد اختلف في موت طالب؛ فقيل: إنّهُ لما خرج إلى بدر فُقد ولم يُعرف خبره. وقيل: أقحمه فرسُهُ في البحر فغرق. وليس من البعيد أنّ قريشاً قتلته حينما عرفت منه الإسلام، وعرفت مصارحته بالتفاؤل بمغلوبيتهم، وكان حاله كحال سعد بن عبادَةَ لما رماه الجنّ

(١) الأصول الستة عشر من الأصول الأوّلية / ٢٥٩، وفي مجمع الزوائد للهيتمي ٧ / ١٠: عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: كان ناسٌ من أهل مكة قد أسلموا، وكانوا مُستخفين بالإسلام، فلما خرج المشركون إلى بدر أخرجوهم مكرهين.

قلت: أخرج البخاري بعضه، رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن شريك، وهو ثقة. أقول: وفي إخفاء الأسماء عادة قديمة عند القوم، ولهم تضلّع كبير فيها يعرفها من سَرَ كلماتهم، ولاحظ أقوالهم. ولله مع ما يُسمون بـ (أهل السنّة والحديث) شؤون لا تخفى.

(٢) بحار الأنوار ١٩ / ٣٠٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ / ١٨٣، تفسير القرطبي ٨ / ٤٩، تفسير ابن كثير ٢ / ٣٤٠، الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ / ١٠، تاريخ الطبري ٢ / ١٥١، الكامل في التاريخ ٢ / ١٢٨، تاريخ الإسلام ٢ / ٥٨ و ١٢٠، البداية والنهاية ٣ / ٣٤٨، السيرة النبوية لابن هشام الحميري ٢ / ٤٥٨، السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٤٣٦، سبل الهدى والرشاد للصلحي الشامي ٤ / ٤٩، السيرة الحليّة للحلي ٢ / ٤١٣.

(لو صدقت الأوهام)^(١).

(١) لم يُعرف حال طالب بن أبي طالب بشيء، غير ذكر له: مَنْ خرج مُكرهاً من بني هاشم إلى معركة بدر. وأما حاله بعدها فهو مجهولٌ عند المُحدّثين والمؤرّخين.

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى ١ / ١٢١: كان اسم أبي طالب عبد مناف، وكان له من الولد طالب بن أبي طالب، وكان المشركون أخرجوه وسائر بني هاشم إلى بدر كرهاً... فلما انهزموا لم يُوجد في الأسرى، ولا في القتلى، ولا رجع إلى مكّة، ولا يُدرى ما حلّ به، وليس له عقب. ومثله في تاريخ الطبري ٢ / ١٤٣، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ١٢١.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ / ٨١٧: وذكروا أنّ ثلاثة نفر ذهبوا على وجوههم فهاموا، ولم يُوجد ولم يُسمع لهم بأثر؛ طالب بن أبي طالب. ومثله في أسد الغابة ٣ / ١١٢، وغيرها من المصادر الكثيرة التي اتفقت على جهالة حال طالب بعد معركة بدر، وهذا شيء غريب مُلفتٌ للنظر؛ خصوصاً وأنّ المؤرّخين ركّزوا على بني هاشم وذكر أخبارهم وسيرهم!

ثمّ إنّ المؤلّف شبّهه - على بُعد - بسعد بن عباد الأنصاري المعروف في وقعة السقيفة، وموقفه من أبي بكر وعمر من معارضته وعدم مبايعته لهما، وهذا الصحابي اختلف في موته.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ / ٥٩٩: ولم يختلفوا أنّه وُجد ميتاً في مغتسله، وقد اخضرّ جسده ولم يشعروا بموته حتّى سمعوا قائلاً - ولا يرون أحداً -:

قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخَلْقِ رَمِينًا بِسَبْهِهِمْ
رَجَّ سَعْدَ بْنَ عَبَّادَةَ فَلَمَّ يُخْطِ فَوَادَّةَ

ويقال: إنّ الجنّ قتلته.

قال السيّد الأمين في أعيان الشيعة ٧ / ٢٢٥، وقيل: إنّ الذي رماه المغيرة بن شعبه، وقيل: شخصاً غيره رماه كلّ واحد بسهم، وأُشيع أنّ الجنّ رمته، وقالت البيتين. ويُحكى عن بعض الأنصار، أنّه قال:

وما ذنب سعدٍ أتتهُ بال قائماً
يقولون سعدٌ شقّت الجنُّ بطنه

وفي الاستيعاب: لم يختلفوا أنّه وُجد ميتاً في مغتسله، وقد اخضرّ جسده ولم يشعروا بموته حتّى سمعوا قائلاً يقول - ولا يرون أحد -: نحن قتلنا... البيتين، ويُقال: إنّ الجنّ قتلته. وباليث شعري، وما ذنبه إلى الجنّ حتّى تقتله الجنّ؟! ويُنقل عن محمّد بن جرير الطبري - وكأنّه الشيعي -، وفي مؤلّفه عن أبي علقمة، قلت لابن عبادة، وقد مال الناس إلى بيعة أبي بكر: ألا تدخل فيما دخل فيه المسلمون؟ قال: إليك عني، فوالله، لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « إذا أنا متُّ تضلّ الأهواء، ويرجع الناس على أعقابهم، فالحقُّ يومئذٍ مع عليّ، وكتابُ الله بيده ». لا يُبايع أحداً غيره. فقلت له: هل سمع هذا الخبر أحدٌ غيرك من رسول الله ﷺ؟ فقال: أناسٌ في قلوبهم أحقادٌ وضغائنٌ. قلت: بل نازعتك نفسك أنّ يكون هذا الأمر لك دون الناس. فحلف أنّه لم يهّم بها ولم يُردها، وأنهم لو بايعوا عليّاً لكان أول من بايعه.

عقيل:

كان عقيل بن أبي طالب أحد أغصان الشجرة الطيبة، ومَن رضي عنهم الرسول ﷺ؛ فإنَّ النَّظرة الصحيحة في التاريخ تفيدنا اعتناقه الإسلام أوَّل الدعوة، وكان هذا مجلبة للحبِّ النَّبوي؛ حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء من: رسوخ الإيمان في جوانحه، وعمل الخيرات بجوارحه، ولزوم الطاعة في أعماله، واقتفاء الصدق في أقواله، فقول النَّبيِّ ﷺ له: «إني أحبُّك حُبَّين: حُبًّا لك، وحُبًّا لحبِّ أبي طالب لك»^(١). إنَّما هو لأجل هاتيك المآثر، وليس من المعقول كون حُبِّه لغاية شهويَّة، أو لشيء من عرض الدنيا.

(١) ورد هذا الحديث بألفاظه المختلفة في المصادر التالية: بحار الأنوار ٣٥ / ١٥٧ و ٤٢ / ١١٥، المُستدرك للحاكم ٣ / ٥٧٦، مجمع الزوائد ٩ / ٢٧٣، المعجم الكبير للطبراني ١٧ / ١٩١، الاستيعاب ٣ / ١٠٧٨، الطبقات الكبرى ٤ / ٤٤، معرفة الثقات للعجلي ١ / ٣٨٣، تاريخ مدينة دمشق ٢٠ / ٥٥ و ٤١ / ١٨، أسد الغاية ٣ / ٤٢٢، سير أعلام النبلاء ١ / ٢١٩، تاريخ الإسلام للذهبي ٤ / ٨٤، الوافي بالوفيات ٢٠ / ٦٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ / ٢٥ و ١٤ / ٧٠، السيرة الحلبية ١ / ٤٣٢.

قال المؤلِّف: ولكنَّه في المجالس - مجلس ٢٧ - روى عن ابن عباس: أنَّ عليًّا ؓ قال لرسول الله ﷺ: «أحب عقيلاً؟». قال ﷺ: «أي والله، إنِّي لأحبه حُبَّين: حُبًّا لرسول الله، وحُبًّا لحبِّ أبي طالب له، وإنَّ ولدَهُ لمقتولٍ في محبةٍ ولدك، فتدمع عليه عيونُ المؤمنين، وتُصَلِّي عليه الملائكة المقربون». ثمَّ بكى رسول الله ﷺ حتَّى جرت دموعه على صدره، وقال: «إلى الله أشكو ما تلقى عترتي بعدي». وهو في الأمالي للشيخ الصدوق / ١٩١ ح ٣/٢٠١، وعنه بحار الأنوار ٢٢ / ٢٨٨، ح ٥٨.

إذاً فحسب عقيل من العظمة هذه المكانة الشامخة؛ وقد حدثه قوة الإيمان إلى أن يسلق أعداء أخيه أمير المؤمنين عليه السلام بلسان حديد، خلده عاراً عليهم مدى الحقب والأعوام^(١). على أن حُبَّ أبي طالب له لم يكن لمحض التَّبَوُّة؛ فإنَّه لم يكن ولده البكر، ولا كان أشجع ولده، ولا أوفاهم ذمَّة، ولا ولده الوحيد، وقد كان في ولده مثل أمير المؤمنين عليه السلام، وأبي المساكين جعفر الطيّار، وهو أكبرهم سنّاً، وإمّا كان (شيخ الأبطح) يُظهر مرتبة من الحُبِّ له مع وجود ولده (الإمام) وأخيه الطيّار؛ لجمعه الفضائل والفواضل، موروثه ومكتسبته. وبعد أن فرضنا أن أبا طالب حجة وقته، وأنَّه وصيٌّ من الأوصياء، لم يكن يحايي أحداً بالمحبَّة وإن كان أعزَّ ولده، إلا أنَّ يجده ذلك الإنسان الكامل الذي يجب في شريعة الحقِّ ولاؤهُ؛ ولا شكَّ أنَّ عقيلاً لم يكن على غير الطريقة التي عليها أهل بيته أجمع من الإيمان والوحدانية لله تعالى، وكيف يشدُّ عن خاصَّته وأهله وهو وإيَّاهم في بيت واحد، وأبو طالب هو المتكفل

(١) قال العلامة الأميني في الغدير ١٠ / ٢٦١: قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: إنَّ عليّاً قد قطعك وأنا وصلتك، ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر. قال: أفعَل. فصعد المنبر، ثمَّ قال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيِّه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أيُّها النَّاسُ، إنَّ معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن ألعن عليَّ بن أبي طالب فالعنوه، فعليه لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين. ثمَّ نزل، فقال له معاوية: إنَّك لم تُبَيِّنْ مَنْ لعنت منهما، بيَّنه. فقال: والله، لا زدْتُ حرفاً ولا نقصت حرفاً، والكلام إلى نبيِّه المتكلم. العقد الفريد ٢ / ١٤٤، المستطرف ١ / ٥٤. والكلام فيه تورية لطيفة، ولعن معاوية من قبل عقيل.

تربيته وإعاشته، فلا هو بطارده عن حوزته، ولا بمبعده عن حومته، ولا بمتضجر منه على الأقل.

وكيف يتظاهر بحُبه ودينه منه - كما يعلمنا النص النبوي السابق - لو لم يتوثق من إيمانه ويتيقن من إسلامه، غير أنه كان مُبطناً له كما كان أبوه من قبل وأخوه طالب؛ وإن كُنّا لا نشكّ في تفاوت الإيمان فيه وفي أخويه الطيّار وأمير المؤمنين عليه السلام. وحينئذ لم يكن عقيل بدعاً من هذا البيت الطاهر الذي بُني الإسلام على علاليه، فهو مؤمن بما صدع به الرسول صلى الله عليه وآله منذ هتف داعية الهدى.

كما لبّت هذا الهتاف أختهم أم هاني، فكانت من السابقات إلى الإيمان، كما عليه صحيح الأثر، وفي بيتها نزل النبي صلى الله عليه وآله عن معراجة، وهو في السنة الثالثة من البعثة، وحدّثها بأمره قبل أن يخرج إلى النَّاس، وكانت مُصدّقة له، غير أنّها خشيت تكذيب قريش إياه، وعليه فلا يُعبأ بما زعم من تأخر إسلامها إلى عام الفتح سنة ثمان من الهجرة^(١).

(١) في مناقب ابن شهر آشوب ١ / ١١٠، إنّها ماتت في أيام النبي صلى الله عليه وآله، ولكن ابن حجر في تقريب التهذيب ٢ / ٦٧٣، ٨٨٢١ نصّ على وفاتها في خلافة معاوية، وعليه فليست هي المعنوية بما في كامل الزيارات / ١٩٥: وأقبلت إليه بعضُ عمّاته تقول: أشهد يا حسين، لقد سمعت قائلاً يقول:
وإنّ قَتِيلَ الطَّيْفِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أذَلَّ رِقَاباً مِنْ قُرَيْشٍ فَذَلَّتْ
انتهى كلام المؤلف.

أقول: مضافاً إلى ذلك، فإنّ المُحدّثين ذكروا أنّ قائل هذه الأبيات سليمان بن قتّة الخُزاعي. وارجع إلى: مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢٦٣، مثير الأحران لابن نما الحلبي / ٨٩، الاستيعاب لابن عبد البر ١ / ٣٩٤، نظم درر السّمطين / ٢٢٦، تاريخ مدينة دمشق ١٤ / ٢٥٩، أسد الغابة ٢ / ٢٢، تهذيب الكمال ٦ / ٤٤٧، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١٨، تاريخ الإسلام ٥ / ١٠٨، البداية والنهاية ٨ / ٢٣٠.

وما عسى أن يقول القائل في أمهم - زوج شيخ الأبطح - بعد شهادة الرسول الأمين ﷺ بأنها من الطاهرات الطيبات المؤمنات في جميع أدوار حياتها.

والعجب ممن اغتر بتمويه المبطلين؛ فدوّن تلك الفرية زعماً منه أنّها من فضائل سيّد الأوصياء، وهي: إنّ فاطمة بنت أسد دخلت البيت الحرام وهي حاملة بعليّ ﷺ، فأرادت أن تسجد لهبل فمنعها عليّ ﷺ وهو في بطنها^(١). وقد فات المسكين أنّ في هذه الكرامة طعناً بتلك الذات المبرّأة من رجس الجاهليّة وذنس الشرك؛ وكيف يكون أشرف المخلوقات بعد خاتم الأنبياء ﷺ المتكوّن من النور الإلهي مُودِعاً في وعاء الكفر والجحود؟! كما أنّهم أبعدها كثيراً عن مستوى التعاليم الإلهية، ودرّوس خاتم الأنبياء ﷺ المُلقاة عليها كلّ صباح ومساءً، وفيها ما فرضه المهيمن - جلّ شأنه - على الأمة جمعاء من الإيمان بما حبي ولدها الوصيّ ﷺ بالولاية على المؤمنين حتّى أختصّ بها دون الأئمّة من أبنائه ﷺ؛ وإن كانوا نوراً واحداً، وطينة واحدة.

ولقد غضب الإمام الصادق ﷺ على من سمّاه أمير المؤمنين، وقال: «مه، لا يصلح هذا الاسم إلاّ لجدي أمير المؤمنين».

(١) السيرة الحليّة للحلي ١ / ٤٢٢، شرح إحقاق الحقّ للمرعشي ٨ / ٧٠.

فرووا أنّ النبي ﷺ وقف على قبرها وصاح: «ابنك عليّ لا جعفر ولا عقيل». ولما سُئل عنه، أجاب: «إنّ الملك سألتها عمّن تُدين بولايته بعد الرسول، فخرجت أنّ تقول ولدي»^(١).

أمن المعقول أنّ تكون تلك الذات الطاهرة، الحاملة لأشرف الخلق بعد النبوّة بعيدة عن تلك التعاليم المقدّسة؟! وهل في الدّين حياء؟! نعم، أرادوا أنّ يزحزحوها عن الصراط السّوي، ولكن فاتهم الغرض وأخطؤوا الرمية؛ فإنّ الصحيح من الآثار ينصّ على أنّ النبي ﷺ لما أنزلها في لحدها، ناداها بصوت رفيع: «يا فاطمة، أنا محمّد سيّد ولد آدم ولا فخر، فإذا أتاك منكّرٌ ونكيرٌ فسألاك: من ربك؟ فقولي: الله ربّي، ومحمّد نبّي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، وابني إمامي ووليّي». ثمّ خرج من القبر، وأهال عليها التراب^(٢). ولعلّ هذا خاصّ بما ومّن جرى مجراها من الرّاكين الطيّبين، وإلّا فلم يعهد في زمن الرسالة تلقين الأموات بمعرفة الولي بعده؛ فإنّه كتخصيصها بالتكبير أربعين مع أنّ التكبير على الأموات خمس.

وبالرغم من هاتيك السّفاسف التي أرادوا بها الخطّ من مقام والده الإمام عليّ، أظهر الرسول ﷺ أمام الأمة ما أعرب عن مكانتها من الدّين، وأتمّها بعين فاطر السّماء حين كّفنها بقميصه الذي لا يبلى؛ لتكون مستورة يوم يعرى الخلق، وكان الاضطجاع في قبرها

إجابة

(١) الفضائل لابن شاذان / ١٠٣، مستدرک الوسائل ٢ / ٣٤٢.

(٢) روضة الواعظين للنيسابوري / ١٤٢، بحار الأنوار ٧٨ / ٣٥١، ح ٢٢ عن مجالس الصدوق، بشارة المصطفى للطبري / ٣٧٢.

لرغبتها فيه عند ما حدثها عن أهوال القبر، وما يكون فيه من ضغطة ابن آدم.
فتحصّل: إنّ هذا البيت الطاهر (بيت أبي طالب) بيتٌ توحيدٍ وإيمانٍ، وهدى ورشاد،
وإنّ من حواه البيت رجالاً ونساءً كلّهم على دين واحد منذ هتف داعية الهدى وصدعَ بأمر
الرسالة، غير أنّهم بين من جاهر باتباع الدعوة، وبين من كتم الإيمان لضرب من المصلحة.

السفر إلى الشام:

لقد كانت الروايات في سفر عقيل إلى الشام، في أنه على عهد أخيه الإمام أو بعده، متضاربة، واستظهر ابن أبي الحديد في شرح التهجج ٣ / ٨٢ أنه بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، وجزم به العلامة الجليل السيد علي خان في الدرجات الرفيعة، وهو الذي يقوى في النظر بعد ملاحظة مجموع ما يؤثر في هذا الباب؛ وعليه تكون وفادته كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت عليهم السلام إلى معاوية في تلك الظروف القاسية، بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة، وساقهم وجه الحيلة في الإبقاء على النفس، والكف من بوادر الرّجل، فلا هم بملومين بشيء من ذلك، ولا يحطّ من كرامتهم عند الملأ الديني؛ فإنّ للتقيّة أحكاماً لا تُنقض، ولا يُلام المُضطرّ على أمر اضطّر إليه.

على أنّ عقياً لم يُؤثر عنه يوم وفادته على معاوية إقرار له بإمامة، ولا خضوع له عند كرامة، وإتّما المأثور عنه الواقعة فيه، والطعن في حسبه ونسبه، والحطّ من كرامته، والإصحار بمطاعنه، مشفوعة بالإشارة إلى فضل أخيه أمير المؤمنين عليه السلام.

من ذلك أنّ معاوية قال له: يا أبا يزيد، أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك؟ فقال عقيل: مررت والله، بعسكر أخي، فإذا ليلٌ كليل رسول الله صلى الله عليه وآله، ونهارٌ كنهار رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أنّ رسول

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس في القوم؛ ما رأيت إلا مُصَلِّياً، ولا سمعت إلا قارئاً، ومررت بعسكرك، فاستقبلني قوم من المنافقين مَن نفر برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة العقبة^(١).

وقال له معاوية: إنَّ علياً قطع قرابتك وما وصلك. فقال له عقيل: واللَّه، لقد أجزَلَ العطيَّة وأعظَمَها، ووصل القرابة وحفظها، وحسنَ ظنَّه باللَّه إذ ساء به مثلك، وحفظ أمانته، وأصلح رعيته إذ خنتم وأفسدتم وجرتم، فاكفف لا أباً لك؛ فإنَّه عمَّا تقول بمعزل^(٢). ثمَّ صاح: يا أهل الشام، عني فاسمعوا لا عن معاوية، إنِّي أتيت أخي علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ فوجدته رجلاً قد جعل دنياه دون دينه، وخشي الله على نفسه، ولم تأخذه في الله لومة لائم... وإنِّي أتيت معاوية فوجدته قد جعل دينه دون دنياه، وركب الضلالة وأتبع هواه، فأعطاني ما لم يعرق فيه جبينه، ولم تكدح فيه يمينه؛ رزقاً أجزاه الله على يديه، وهو المحاسب عليه دوني، لا محمود ولا مشكور.

ثمَّ التفت إلى معاوية، فقال: أما والله يابن هند، ما تزال منك سوائف بمرها منك قول وفعل؛ فكأني بك وقد أحاط بك ما الذي منه تحاذر. فأطرق معاوية ساعة، ثمَّ قال: من يعذرني من بني هاشم. ثمَّ أنشد يقول:

أزِيدُهُمُ الْإِكْرَامَ كِي يَشْعُبُوا الْعَصَا فَيَأْبُوا لَدَى الْإِكْرَامِ أَنْ لَا يُكْرُمُوا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ١٢٥.

(٢) الدرجات الرفيعة / ١٦١.

وإذا عطفني رقتانِ عليهم نأوا حسداً عني فكانوا هم هم
وأعطيتهم صفواً الإخا فكأنني معاً وعطاياي المباحة علقم
وأغضبي عن الذنب الذي لا يُقيلُهُ من القوم إلا الهزبري المقمم
حُباً واصطباراً وانعطافاً ورقّةً وأكظم غيظ القلب إذ ليس يُكظم
أما والله يابن أبي طالب، لولا أن يُقال: عجل معاوية لخرق ونكل عن جوابك، لترك
هامتك أخص على أيدي الرجال من حوي الحنظل.

فأجابه عقيل:

عذيرك منهم من يلوم عليهم ومن هو منهم في المقالة أظلم
لعمرك ما أعطيتهم منك رافة ولكن لأسبابٍ وحوالك علقم
أبي لهم أن ينزل الذل دارهم بنو حيرة زهر وعقل مسلم
وإنهم لم يقبلوا الدل عنوه إذا ما طعى الجبار كانوا هم هم
فدونك ما أسديت فاشدذ يداً به وخيركم المبسوط والشر فالزموا

ثم رمى المئة ألف درهم، ونفض ثوبه وقام ومضى، فلم يلتفت إليه.

فكتب إليه معاوية: أما بعد، يا بني عبد المطلب، أنتم والله فروع قصي، ولباب عبد
مناف، وصفوه هاشم، فأين أحلامكم الراسية وعقولكم الكاسية، وحفظكم الأواصر وحبكم
العشائر، ولكم الصفح

الجميل والعفو الجزيل، مقرونان بشرف النبوة وعز الرسالة، وقد والله، ساءني ما كان جرى، ولن أعود لمثله إلى أن أُغيب في الثرى.

فكتب إليه عقيل:

صَدَقْتَ وَقَلْتَ حَقًّا غَيْرَ أَبِي أَرَى أَلَا أَرَاكَ وَلَا تَسْتُرِي
وَلَسْتُ أَقُولُ سُوءًا فِي صَدِيقِي وَلَكِنِّي أَصَدُّ إِذَا جَفَانِي

فكتب إليه معاوية وناشده في الصفح، وأجازه مئة ألف درهم حتى رجع^(١). فقال له معاوية: لم جفوتنا يا أبا يزيد؟ فأنشأ عقيل:

وَإِنِّي امْرُؤٌ مَيِّ التَّكْرُمِ شِيمَةٌ إِذَا صَاحِبِي يَوْمًا عَلَى الْهَوَنِ أَضْمَرَ
ثُمَّ قَالَ: أَيْمَ اللَّهِ يَا مَعَاوِيَةَ، لَعْنُ كَانَتْ الدُّنْيَا أَفْرَشَتَكَ مَهَادَهَا، وَأَظْلَمْتَكَ بِسِرَادِقِهَا، وَمَدَّتْ عَلَيْكَ أَطْنَابَ سُلْطَانِهَا، مَا ذَاكَ بِالَّذِي يَزِيدُكَ مَيِّ رَغْبَةً وَلَا تَحْشَعًا لِرَهْبَةٍ. فقال معاوية: لقد نعتها أبو يزيد نعتاً هشاً له قلبي. وأيم الله يا أبا يزيد، لقد أصبحت كريماً وإلينا حبيباً، وما أصبحت أضمر لك إساءة^(٢).

هذا حال عقيل مع معاوية، وحينئذ فأَيُّ نقص يلّم به والحالة هذه!؟

(١) الدرجات الرفيعة / ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) الدرجات الرفيعة / ١٦٤.

وعلى الوصف الذي أتينا به تعرف أنه لا صحة لما رواه المتساهلون في النقل من كونه مع معاوية بصفين؛ فإنه مما لم يتأكد إسنادُهُ ولا عُرفَ متُّه، ويُضادُّه جميع ما ذكرناه، كما يبعده كتابه من مكَّة إلى أمير المؤمنين عليه السلام حين أغار الضحَّاك على الحيرة وما والاها، وذلك بعد حادثة صفين، وهذه صورة الكتاب: لعبد الله أمير المؤمنين، من عقيل بن أبي طالب: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإنَّ الله حارسك من كُلِّ سوء، وعاصمك من كُلِّ مكروه وعلى كُلِّ حال، فإني خرجت إلى مكَّة معتمراً، فلقيت عبد الله بن أبي سرح مُقبلاً من (قديد) في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطُّلقاء، فعرفت المنكر في وجوههم، فقلت: إلى أين يا أبناء الشائتين؟ أمعاوية لاحقون؛ عداوة لله منكم غير مُستنكرة، تُريدون إطفاء نور الله وتبديل أمره؟ فأسمعي القوم وأسمعتهم، فلما قدمت مكَّة سمعت أهلها يتحدَّثون أنَّ الضحَّاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالها ما شاء، ثمَّ انكفأ راجعاً سالماً، وإنَّ الحياة في دهرٍ جرّاً عليك الضحَّاك لذيمة، وما الضحَّاك إلا فقع بقرقر.

وقد توهمت حيث بلغني ذلك أنَّ شيعتك وأنصارك خذلوك، فاكتب إليَّ يا بن أبي برأيك؛ فإنَّ كنتَ الموت تُريد، تحمَّلتُ إليك بيبي أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومنتنا معك إذا مت؛ فوالله، ما أحبُّ أن أبقى في الدُّنيا بعدك فواق ناقة، وأقسم بالأعزِّ الأجل، إنَّ عيشاً نعيشه بعدك لا هنئ ولا مرئ ولا نجيع، والسَّلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: « من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب: سلامٌ عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، كالنا الله وإياك كالأمة من يخشاه بالغيب، إنه حميدٌ مجيدٌ. وقد وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي تذكر فيه أنك لقيت عبد الله بن أبي سرح مقبلاً من (قديد)، في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء، متوجهين إلى جهة المغرب، وإنّ ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه، وصدّ عن سبيله، وبغاه عوجاً، فدع عنك ابن أبي سرح، ودع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوّالهم في الشقاق، ألا وإنّ العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب النبيّ قبل اليوم؛ فأصبحوا قد جهلوا حقّه ووجدوا فضله، وبادروه بالعداوة ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كلّ الجهد، وجروا إليه جيش الأحزاب. اللهم، فاجز قريشاً عنّي الجوازي؛ فقد قطعت رحمي وتظاهرت عليّ، ودفعتني عن حقيّ وسلبتني سلطان ابن أمي، وسلّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام، ألا يدعي مدّع ما لا أعرفه، ولا أظنّ الله يعرفه، والحمد لله على كلّ حال.

فأمّا ما ذكرته من غارة الضحّاك على أهل الحيرة، فهو أقلّ وأزّل من أن يلمّ بها أو يدنو منها، ولكنّه قد أقبل في جريدة خيل، فأخذ على السّماوة حتّى قربوا من واقصة^(١) وشراف^(٢)،

(١) منزل في طريق مكّة.

(٢) شراف: موضع قريب من مكّة.

والقططانة^(١) وما والى ذلك الصقع، فوجهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك فرّ هارباً، فأتبعوه ولحقوه ببعض الطريق وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب، فتناوشوا القتال قليلاً، فلم يبصر إلا بوقع المشرفية، وولّى هارباً، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً، ونجا مريضاً بعد ما أخذ منه بالمخنق، فألأيا بلأبي ما نجا.

وأما ما سألتني أن أكتب إليك برأبي فيما أنا فيه؛ فإن رأبي جهاد المحلّين حتى ألقى الله، لا تزدني كثرة الناس عزّة، ولا تفرّقهم عني وحشة؛ لأنني محقّ والله مع الحق، ووالله، ما أكره الموت على الحق، وما الخير كُله إلا بعد الموت لمن كان مُحقّقاً.

وأما ما عرضت به من مسيرك إلى بنيك وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً، فوالله، ما أحبُّ أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبن ابن أبيك، لو أسلمه الناس، مُتخشعاً ولا مُتضرّعاً، إنه لكما قال أخو بني سليم:

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَابَةٌ فَيَشَمَتَ بَاغٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ^(٢)

(١) موضع قرب الكوفة.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢ / ١٢٠، الإمامة والسياسة / ٥٤، بحار الأنوار ٣٤ / ٢٤، جواهر المطالب ١ /

وهذا الكتاب من عقيل، المروي بطرق متعددة، يدلنا على أنه كان مع أخيه الإمام عليّ عليه السلام في حياته غير مفارق له؛ فإنّ الكتاب الذي كتبه إليه بعد غارة الضحّاك على أطراف أعماله، وذلك قرب شهادة أمير المؤمنين عليه السلام .

إذاً فالقول بأنّ وفادة عقيل على معاوية بعد أخيه متعيّن، كما اختاره السيّد المحقّق في الدرجات الرفيعة، وجعله ابن أبي الحديد الأظهر عنده، وقد وضح من ذلك أنّه لم يكن مع معاوية بصفين.

الحديدة:

أما حديث الحديدة المحمّاة التي أدناها منه أمير المؤمنين عليه السلام، فليس فيها ما يدلّ على اقترافه إثمًا أو خروجًا عن طاعة؛ فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد بذلك تهذيبه بأكثر ممّا تتهدّب به العاقبة، كما هو المطلوب من مثل عقيل والمناسب لمقامه.

فعرّفة (سيّد الأوصياء) إنّ إنساناً بلغ من الضعف إلى أن يفتنّ من قرب الحديدة المحمّاة بنار الدُّنيا من دون أن تمسّه، كيف يتحمّل نار الآخرة في لظى نزّاعة للشوى وهو مضطرم بين أوارها! فوإن واجب الإنسان الكامل التبعّد منها بكبح التّهمة، وكسر سورة الجشع، والمكابدة للملمات القاسية؛ فهي مجلبة لمرضاة الربّ ومكسبة لغفرانه وإن كان غيره من أفراد الرعيّة يتبعّد عنها بترك المحرّمات.

فحقيق بمثله - وهو ابن بيت الوحي ورجالات عصبة الخلافة - التجنّب حتّى عن المكروهات، وما لا يلائم مقامه من المباحات، ويروّض نفسه بترك ذلك كلّّه حتّى تقتدي به الطبقات الواطئة بما يسعهم، أو يُسلّون أنفسهم بمقاسات مثل عقيل الشدائد في دنياه، فلا ييهضهم الفقر المثلّم والكرب المدلهم، فزُبّ مُباح يُنقم عليه من مثله ولا يُلام من هو دونه بارتكابه؛ فإنّ (حسنات الأبرار سيئات المقربين)؛ وأمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يوقف أخاه على هذا الخطر المُمنع الذي حواه، وقد ذهل عنه في ساعته تلك.

افتراء:

قال الصفدي: لقد بعَّض عقيلاً إلى النَّاسِ ذكره مثالب قريش، وما أُوتي من فضل وعلم بالتَّسب، والسَّرعَة في الجواب حتَّى قالوا فيه الباطل، ونسبوه إلى الحمق^(١). واختلقوا عليه أحاديث كان بعيداً عنها، فوضعوا على لسان أمير المؤمنين عليه السلام ما ينقص من قدره، ويحطُّ من كرامته؛ زعماً منهم أنَّ في ذلك تشويهاً لأهل هذا البيت الطاهر - بيت أبي طالب - بإخراجهم عن مستوى الإنسانيَّة فضلاً عن الدِّين، بعد أن أعوزتهم الوقعة في سيِّد الأوصياء عليه السلام بشيء من تلك المُقتريات، فطفقوا يُشوِّهون مقام أبيه وحامته، ولكن لا ينظلي ذلك على الجليل المُتَّقب حتَّى كشف عن تلك التَّوايا السيِّئة، وعرف الملاءم افتعال الحديث وبعده عن الصواب.

قالوا في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: « ما زلتُ مظلوماً منذُ ولدتني أمي، حتَّى إن كان عقيلٌ ليُصيبه رمدٌ، فيقول: لا تُذروني حتَّى تُذروا عليَّ، فيذروني وما بي رمدٌ »^(٢).

(١) نكت الهميان / ٢٠٠.

(٢) علل الشرائع / ١ / ٤٥.

لا أقرأ هذا الحديث إلا ويأخذني العجب، كيف رضي المفتعل بهذه الفرية البينة! فإن أمير المؤمنين عليه السلام ولد ولعقيل عشرون سنة، وهل يعتقد أحدٌ أو يظنُّ أنّ إنساناً له من العمر ذلك المقدار، إذا اقتضى صلاحه شرب الدواء، يمتنع منه إلا إذا شرب مثله أخوه البالغ سنة واحدة أو سنتين؟! كلاً لا يفعله أيُّ أحد وإن بلغ الغاية في الخسّة والضعف، فكيف بمثل عقيل المترّي بحجر أبي طالب، والمترّض دَرّ المعرفة؛ خصوصاً مع ما يشاهد من الآيات الباهرة من أخيه الإمام منذ ولادته!

نعم، الضغائن والأحقاد حبّدت لمن تخلّق بها التردّد في العمي، والخبط في الضلال من دون رويّة أو تفكير: (**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**)^(١).

نعم، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول غير مرّة: « ما زلتُ مظلوماً »^(٢). من دون تلك الزيادة، يعني بذلك دفعه عن حقّه الواجب على الأمة القيام به والميل عنه، وتعطيل أحكام الله بالأخذ من غيره، وتقلّص من ليس له قدمٌ ثابتٌ في كلّ مكرمة، ولا نصٌّ من صاحب الشريعة، ولا فقهٌ ناجعٌ، ولا إقدامٌ في الحروب.

وحيث إنّ في هذه الكلمة خطأً بمنّ ناوَاهُ، زحزحوها عنهم وألصقوها بذلك السيّد الكريم، وما أسرع أن عاد السّهم فكان كالباحث عن حتفه بظلفه.

(١) سورة المجادلة / ١٩.

(٢) علل الشرائع / ١ / ٤٥، الاعتقادات في دين الإماميّة للصدوق / ١٠٥، شرح نوح البلاغة لابن أبي

الحديد / ٩ / ٣٠٦.

الخلف عن عقيل:

الخلف الصالح يخلد ذكر سلفه، فلا يزال ذكره حياً بعمره الثاني من ذكر جميل، وثناءً جزيل، وترحم متواصل، واستغفار له منه وممن تعزف به. وفي الحديث: «إن ابن آدم إذا مات انقطع عمله من الدنيا إلا من ثلاث...». وعدّ منها الولد الصالح.

ومن أجلى الواضحات أنّ هذا التذكير يختلف حسب تدرج الأولاد في المآثر، فمهما كان قسطهم منها أكثر فهم لمجد آبائهم أخلد، وكذلك الأسلاف، فكُلّما كانوا في الشرف والشؤدد أقرب فانتشار فضلهم بصالحي خلفهم أسرع. إذأ فما ظنك بمثل عقيل بن أبي طالب ذلك الشريف المجل، وقد خلفه (شهيد الكوفة) وولده الأطائب (شهداء الطّف)^(١)، الذين لم يسبقهم ولا يلحقهم لاحق، فلو لم يكن لعقيل شيء من الخطر والعظمة لتسنم بهؤلاء الأكارم أوج العلاء والرفعة:

وكم أب قد علا بابن دُرى شرفٍ كما علا برسول الله عدنانُ
وكيف به وهو من أشرف عنصر في العالم كُله؟!

(١) في كامل الزيارات / ٢٤١: كان علي بن الحسين عليهما السلام يميل إلى ولد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر؟ فقال عليهما السلام: «إني لأذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين عليهما السلام؛ فأرق لهم».

ولم يزل له ذكرٌ خالد في أحفاده المتعاقبين؛ فإنهم بين علماء أعظم وفقهاء مُبرزين، وشعراء ومحدثين، وأمراء صالحين، ونسّابين، وقد انتشروا في مصر ونصيبين، واليمن وحلب، وبيروت والمدينة، والكوفة والحلّة، وطبرستان وخراسان، وجرجان وكرمان، وقم وأصفهان. وكان القاسم بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب فاضلاً تقيّاً، وأخوه عقيل: جليلٌ ثقةٌ ثبتٌ صاحبٌ حديث، وعمّهما عقيل بن عبد الله: نسابةٌ مشجّرٌ، وحفيد عقيل هذا جعفر بن عبد الله الأصفهاني: عالمٌ نسابة، شيخُ شبل بن نكبن، مات سنة ٣٣٤ هجرية.

ومحمّد بن مسلم بن عقيل بن عبد الله بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب، يُعرف بابن المزينة، كان أميرَ المدينة، قتله ابنُ أبي السّاج. وابنه أبو القاسم أحمد بن محمّد المذكور، كان له أدب وفضل، مات سنة ٣٣٠ هجرية. والعبّاس بن عيسى الأوقص، ولي القضاء للداعي الكبير الحسن بن زيد على جرجان، وقد أولد بكرمان^(١).

ومن أحفاد عقيل العلامة الجليل السيّد إسماعيل بن أحمد النّوري الطبرسي، من علمائنا الأعظم، شارح نجاة العباد لشيخ الطائفة المحقّق الحجّة (صاحب الجواهر) رحمته الله، طُبِع منها جزءان إلى آخر الرّكاة، وله كفاية المُوحّدين مطبوعة. وكان في كربلاء المُشرفّة بيت كبير وطائفة جليّة يُعرفون بالعقيليين، لهم أوقاف كثيرة، وقد انقرضوا وبقي منهم رجلٌ واحد.

(١) انظر ذلك في عمدة الطالب / ٣٥.

الطيّار:

وأما جعفر بن أبي طالب، فحسبه من العظمة شهادة الرسول الأقدس ﷺ بأنّه يُشبهه خلقاً وخلقاً، ذلك الخلق الكريم الموصوف في الذكر الحكيم بقوله عزّ شأنه: (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)^(١). وحيث لم ينصّ النّبِيُّ ﷺ على صفة خاصة من أخلاقه، فلا جرم من شمول تلك الكلمة الذهبيّة: « أشبهتَ خلقي وخلقي ». لجميع ما اتّصف به الرسول ﷺ حتّى الدنس من الرّجس والآثام. ولو تنازلنا عن القول بعموم التشبيه لهذه الخاصّة فلا بدّ من القول بتحقيق أظهر صفات المُشَبَّه به للمُشَبَّه، ولا شكّ في أنّ ذلك المعنى أظهر ما في خلقه الكريم ﷺ.

وغير خافٍ أنّ هذه الكلمة قالها النّبِيُّ ﷺ لما تنازع عنده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وزيد بن حارثة في ابنة حمزة بن عبد المطلب، وكان كُلاًّ منهم يُريد القيام بتربيتها؛ وذلك أنّ النّبِيَّ ﷺ لما خرج من مكّة بعد انقضاء الأجل بينه وبين أهل مكّة في عمرة القضاء الواقعة في السنة السابعة للهجرة، تبعته ابنة حمزة تقول: يا عم، خذني معك. فأخذها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ودفعها إلى فاطمة عليّ بن أبي طالب، وفي المدينة جرى ذلك النزاع بينهم، فقال رسول الله ﷺ لزيد: « أنت أخوها ومولانا ». وقال لجعفر:

(١) سورة القلم / ٤.

« أشبهت خلقي وخلقي ». وقال لأمر المؤمنين عليه السلام: « أنت متي وأنا منك ». ثم قضى بها للخالة، وهي أسماء بنت عميس^(١).

هذا هو الحديث المذكور في الجوامع، والنظرة الصادقة فيه تُفيدنا معرفة السرّ في اختلاف خطاب النبي صلى الله عليه وآله مع ابني عمّه، وكلّ منهما نصح له في التلبية على الدعوى الإلهية، وأخلص في المفاداة في سبيل تبليغ الرسالة خصوصاً مع معرفته بأساليب المحاورة؛ لأنّه سيّد البلغاء، (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ)^(٢). فلا جرم حينئذ من كون الوجه فيه هو الإشارة إلى صفة سامية تحلّى بها أمير المؤمنين عليه السلام وتخلّى عنها جعفر، وليست هي إلاّ خلافة الله الكبرى؛ فإنّ عليّاً عليه السلام حامل ما عند رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله من علم مُتَدَقِّق وفقه ناجع، وخبرة شاملة وتأمل فياض، وخلق عظيم لا يستطيع البشر القيام به.

وهذا هو الذي تُفيده المنزلة في قوله: « أنت متي وأنا منك ». بعد فرض المباعدة بينهما في الحدود الشخصية؛ والتّي لا ينطلق ساهياً ولا لاهياً، فلا بدّ أن يكون قاصداً تلك المنزلة الكبرى التي لم يحوها جعفر وإن بلغ في خدمة الدّين كلّ مبلغ. وهذا النزاع إنّما هو في الحضانة التي هي سلطنة وولاية على تربية الطفل وإدارة شؤونه، وقد كان لابنة حمزة يومئذ أربع سنين.

(١) صحيح البخاري ٣ / ١٦٨، كتاب الصُّلح - باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصُّلح مردود، المُستدرک للحاکم ٣ / ١٢٠، السنن الكبرى للنسائي ٨ / ٥، مجمع الزوائد للهيثمی ٩ / ٢٥٨.
(٢) سورة النَّجْم / ٣.

وهذا القضاء، كما يُفيدنا سقوط حضانة الأمّ إذا تزوجت، يُفيدنا أولويّة الخالة على العمّة؛ فإنّ عمّتها صفيّة كانت موجودةً يومئذ، وأمّها سلمى متزوّجة بشدّاد بن المهادي الليثي حليف بني هاشم.

ويُرشدنا طلب أمير المؤمنين عليه السلام الحضانة إلى أنّ أولوية الخالة على غيرها من الأقارب إنّما هو عند المخاصمة، وإلاّ فلم يخف الحكم على سيّد الوصيين عليه السلام، وهو مُستقى الأحكام وينبوعه، وقد امتزجت ذاته المقدّسة بالمعارف الإلهيّة والأسرار الربوبيّة، واستمدّ من اللوح المحفوظ. ولعلّ السرّ الدقيق في مخاصمته معهما تعريفُ الأمة مقامه الرفيع، ومنزلته الكبرى التي لا يُدانيها كُـلُّ أحد، والواجب عليه - بما أنّه المُتقدّ الأكبر وإمام الأُمّة - إرشادها إلى الطريق اللاحب بأيّ نحو من أنحاء الكلام.

لقد كان جعفر ملازماً لصاحب الرسالة ملازمة الظلّ لذيّه؛ يرقب أفعاله وتروكّه، ويسمع تعاليمه وعظائمه، ويُبصر أعماله وحكمه، ويقتصّ أثره منذ كان يصلّ جناح الرسول صلى الله عليه وآله الأيسر في الصلاة بعد أمير المؤمنين عليه السلام وخديجة الكبرى.

وكانت قريش تحبّط في غلواء جحوده، وتغلي مراحل بغضائها على الصادع بالدين الحنيف، وعلى كُـلِّ ذلك تُمرّنه التعاليم التّبويّة الخاصّة به، وتكهربه تهذيّات المُشرّع الأطهر، ولا تدعه جاذبة الدعوة الإلهيّة يلوي يميناً ولا شمالاً.

ومن هنا أئتمنه صاحب الرسالة على نشر كلمة التوحيد، وعلى ضعفاء المسلمين يوم بعثه إلى الحبشة في السنة الخامسة من الهجرة، فأدّى النصيحة، ونهض بالدعوة حتى استمال التجاشي إلى الإسلام فآمن، غير أنّ منيته حالت دون أمنيته.

ولو لم يكن جعفر بتلك المنزلة الرفيعة لما تعاقبت مفاخرات أئمة الدين عليهم السلام به، كما افتخروا بعمه أسد الله وأسد رسوله في كثير من مفاخراتهم: ففي احتجاج الطبرسي: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام احتجّ على أهل الشورى بأنّ أخاه جعفر، المزيّن بجناحين في الجنة يحلّ فيها حيث شاء، فلم يردّ عليه أحد، بل قابله بالتسليم والقبول.

وفي نهج البلاغة فيما كتب به إلى معاوية: « إِنَّ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ لِكُلِّ فَضْلٍ، حَتَّى إِذَا فَعَلَ بِوَاحِدِنَا مَا فَعَلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ لَهُ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ ». فلو لم يكن كفاحه عن الدين عن بصيرة نافذة ويقين ثابت كما افتخر به المعصومون عليهم السلام، والعارفون بمآل العباد حتى جعلوا موقفه في الدين ذريعة إلى التوسّل إلى مطلوبهم.

ولحزمه الثابت ومواقفه المحموده، وإصابته في الرأي وقلم إيمانه؛ أمره النبي صلى الله عليه وآله في غزوة مؤتة على المسلمين، ولم يجعل عليه أمير، فإذا قُتل فالأمير زيد بن حارثة، فإن قُتل فالأمير عبد الله بن رواحة^(١).

(١) مناقب آل أبي طالب ١ / ١٧٦، إعلام الوری / ٢١٢.

فما ذهب إليه فريق من المؤرخين من تقديم زيد وابن رواحة عليه، يدفعه صحيح الأثر والاعتبار الصادق؛ وهذه العظمة هي التي تركت قدمه من الحبشة - يوم فتح خيبر - أعظم موهبة منح الله تعالى بها نبيه ﷺ، تعادل ذلك الفتح المبين حتى قال ﷺ: « ما أدري بأتهما أسراً؛ بقدم جعفر أم بفتح خيبر؟! ». ثم قال ﷺ له: « ألا أحبوك؟ ألا أمنحك؟ ». فظنّ الناس أنه يُعطيه ذهباً وفضّة لما فتح الله عليه من خيبر، فقال له جعفر: بلى يا رسول الله. فعلمه صلاة التسييح وهي المعروفة بصلاة جعفر^(١).

وهذه الحبوّة من الرسول الكريم ﷺ لابن أخيه؛ حيث علم أنّ من فرط قداسته لا يروقه إلاّ ما كان من عالم القدس، فخلع عليه بما، وجعله وسام شرف له، وهي من المتواترات بين العامّة والخاصّة، كما نصّ عليه المجلسي في البحار^(٢)، ولكن شردمة من مناوئي أهل البيت عليهم السلام لم يرق لهم ثبوت تلك المنحة لأخي أمير المؤمنين عليه السلام، وحيث لم يسعهم أن يلصقوها بواحدٍ منهم، زحزحوها إلى العباس بن عبد المطلب كما في شفاء السقام للسيد جعفر الكتّاني صفحة ٢٠.

وقد كشفت الحقيقة عن نفسه، وأماطت ستار التمويه بافتعال هذه النسبة من عكرمة مولى ابن عباس الكذاب بنصّ الذهبي في الميزان، وياقوت في المعجم، وابن خلكان في الوفيات بترجمته^(٣).

(١) الكافي ٣ / ٣٦٥، من لا يحضره الفقيه ١ / ٥٥٢، النوادر / ١٦٠، جمال الأسبوع / ١٨٢.

(٢) بحار الأنوار ٨٨ / ٢١٢.

(٣) ميزان الاعتدال ٣ / ٩٤، ضعفاء العقيلي ٣ / ٣٧٣، تاريخ الإسلام ٧ / ١٨، وغيرها من المصادر.

إخوته:

إنّ حاجة الباحث في تاريخ أبي الفضل عليه السلام ماسّة إلى معرفة إخوته الأكارم لمناسبات هناك؛ فإنّ منهم من يعدّ قريه منه فضيلة رابية، وشرفاً باذخاً فضلاً عن الأخوة، وهما الإمامان عليهما السلام على الأمة إنّ قاما وإنّ قعدا^(١).

وإذا كانت بنوتهما لأمير المؤمنين عليه السلام معدودة من فضائله، مع ما له من الفضائل التي لا يأتي عليها الحصر، كما يظهر من قوله عليه السلام يوم الشورى: « أنشدكم بالله، هل فيكم أحد له سلطان مثل سبطي الحسن والحسين ابني رسول الله، وسيدي شباب أهل الجنة غيري؟ ». قالوا: لا^(٢).

كما أنّه عليه السلام افتخر بهما يوم كتب إليه معاوية أنّ لي فضائلاً: كان أبي سيّداً في الجاهليّة، وصرْتُ ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وآله، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام أبياتاً سبعة ذكر فيها مصاهرته من

(١) كشف الغمّة ٢ / ١٥٦، إعلام الوري / ٤٠٧، روضة الواعظين / ١٥٦، الإرشاد ٢ / ٣٠.

(٢) الخصال / ٥٥٥.

رسول الله ﷺ، وأنَّ عمّه سيّد الشهداء، وأخاه الطيّار مع الملائكة في الجنان، وسبقه إلى الإسلام، وأخذ البيعة له (يوم الغدير)، وأنَّ ولديه سبطا رسول الله ﷺ^(١). وحينئذ فأخوة العباس لهما أولى أن تعقد منهما مآثره وفضائله؛ أضف إلى ذلك ما استفاده منهما من العلوم والمعارف الإلهية.

ومنهم من يجمعه وإياه جامع العقب؛ فإنَّ المُعقَّبين من أولاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والإمامان والعباس ومحمد بن الحنفية وعمر الأظرف عليّ بن أبي طالب، ومنهم من شاركه في موقف الطفّ، ومنهم من يُعدّ هو وإياه تحت جامع الأمومة، ومنهم من شاركه في السُّمّ؛ وعليه فأولاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب الذكور ستّة عشر:

- ١ - الحسن والحسين والمحسن عليّ بن أبي طالب، أمّهم سيّدة نساء العالمين عليّة بنت أبي طالب.
- ٢ - محمد بن الحنفية، أمّه خولة.
- ٣ - العباس وعبد الله وجعفر وعثمان، أمّهم أمّ البنين.
- ٤ - عمر الأظرف والعباس الأصغر، أمّهما الصهباء.
- ٥ - محمد الأصغر، أمّه أمّامة بنت أبي العاص.
- ٦ - يحيى وعون، أمّهما أسماء بنت عميس.
- ٧ - عبد الله وأبو بكر، أمّهما ليلى بنت مسعود.

(١) روضة الواعظين / ٨٧، الاحتجاج / ١ / ٢٦٥، مناقب آل أبي طالب / ٢ / ١٩، الغدير / ٢ / ٢٦، تاريخ مدينة دمشق / ٤٢ / ٥٢١، الواقي بالوفيات / ٢١ / ١٨٤، البداية والنهاية / ٨ / ٩.

٨ - محمد الأوسط، أمه أم ولد^(١).

أما الإمامان فالأخرى أن يُجمع اليراع عن التبسط في فضلها وموقفها من القداسة، ومحلها من الرُلى، وما أوتيا من حول وطول، والبسطة في العلم؛ فإن الوقوف على كنه ذلك فوق مرتكز العقول؛ وأما المحسن - بتشديد السين كما في تاج العروس بمادة شبر^(٢)، والإصابة بترجمته^(٣) - وضم الميم، وسكون الحاء كما في حاشية السيد محمد الحنفي على شرح ابن حجر لهمزية البويصري ص ٢٥١، فعند الإمامية أن النبي ﷺ سماه باسم ابن هارون مشبر كُمحدث، كما في القاموس^(٤) وغيره، وكان حملاً، وبعد وفاته أسقطته فاطمة الزهراء عليها السلام لستة أشهر، والروايات التي ذكرها ابن طاووس في (الطرف)^(٥) وغيره في غيرها تُساعدهم.

(١) تاريخ الطبري ٤ / ١١٩، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٩٨، مع تفاوت يسير في بعض الأبناء وأسمائهم.

(٢) تاج العروس ٣ / ٢٨٩.

(٣) الإصابة ٦ / ١٩١.

(٤) القاموس ٢ / ٥٥.

(٥) الطرف ١ / ٣٣٥.

ابن الحنفية:

وأما محمد الأكبر، الذي يجمعه وإياه جامع العقب، فيكفي بابن الحنفية، وهي أمه: خولة بنت جعفر بن قيس من بني الدئل بن حنيفة بن لجيم، وأمها بنت عمرو بن أرقم الحنفي. واختلف في أمرها، [فقييل:] إنها سببة أيام رسول الله ﷺ لما بعث علياً إلى اليمن فأصاب خولة في بني زيد، وقد ارتدوا مع عمرو بن معد يكرب، وكانت زيد سبتها من بني حنيفة في غارة لهم عليهم. وقيل: إن خالد بن الوليد قاتل أهلها أيام أبي بكر فسباهم، فهي من جملة السبايا، فدفعها أبو بكر من سهمه في المغنم. وقيل: إن بني أسد أغارت على بني حنيفة أيام أبي بكر فسبوا خولة وباعوها من علي ؑ، فبلغ قومها خبرها، فجاؤوا إلى علي ؑ فعرفوه أنها ابنتهم، فاعتقها وأمهرها وتزوجها^(١). وقيل: إنها سببت أيام أبي بكر، فاشتراها أسامة بن زيد وباعها من علي ؑ. وفي حديث أسماء بنت عميس: إن أمير المؤمنين ؑ اشتراها من سوق ذي الحجاز أو ان مقدمه من اليمن، فوهبها فاطمة ؑ، فباعتها من مكمل الغفاري، فولدت منه عونة، ثم باعها من علي ؑ.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٢٤٤.

ويحكى ابن خلّكان في الوفيات قولاً أنّها سنديّة، أمة لبني حنيفة سوداء^(١). وحكاها الشيخ الجليل ابن إدريس الحلّي في مزار السّرائر عن ابن حبيب التّسابة، وقال: إنّّه جهل منه وقلة تأمّل^(٢).

ويروي القطب الراوندي في الخرائج: أنّها سُمّيت أيام أبي بكر، وأنّ الرّزير وطلحة طرحا عليها توبيههما طلباً للاختصاص بها، فصاحت: لا يملكني إلّا من يخبرني بالرّؤيا التي رأتها أمّي، وعن اللوح الذي كُتبت فيه الرّؤيا، وما قالته لي. فعجزوا عن معرفته إلّا أمير المؤمنين عليه السّلام أوضح لها في ملاء من المسلمين أمراً غيبياً عجب منه الحاضرون، فعندها قالت: من أهلك سُبينا، ولحيتك أصابنا ما أصابنا^(٣).

ولم يعبأ السيّد المرتضى في (الشافي) بجميع ذلك، فقال: لم تكُن الحنفيّة سبيّة على الحقيقة، ولم يستبحها عليه السّلام بالسّبا؛ لأنّها بالإسلام قد صارت حرّة مالكة أمرها، فأخرجها من يد من استرقّها، ثمّ عقد عليها عقد النّكاح^(٤).

وما ذكره هو الصحيح المقبول؛ فإنّ الرّدّة المزعومة لا تُوجب أحكام الكفر، ومنع الزكاة وأمثالها على التّأويل فليس فيه خروج عن ريقّة الإسلام.

(١) وفيات الأعيان ٤ / ١٦٩.

(٢) السّرائر ١ / ٦٥٧ والعبارة: وهذا خطأ منه وتغفيل، وقلة تحصيل.

(٣) الخرائج والجرائج للراوندي ٢ / ٥٦٤، والكلام منقول بالمعنى في عمارة ألفاظه.

(٤) الشافي للسيّد المرتضى ٣ / ٣٧١.

وأما ولادة محمد، فقيل: إنها أيام أبي بكر، وقيل: أيام عمر، وخصّها ابن خلكان بأول المحرّم لستين بقيتا من خلافة عمر^(١). وإذا علمنا أنّ عمر مات سنة ثلاث وعشرين، كانت ولادته سنة إحدى وعشرين؛ وأما على رأي ابن كثير في البداية ٩ / ٣٨، وسبط ابن الجوزي في التذكرة من وفاته سنة إحدى وثمانين عن خمس وستين، تكون ولادته سنة ستة عشر للهجرة^(٢).

وأما قبره، فعند ابن قتيبة بالطائف^(٣)، وفي تذكرة الخواصّ بـ (إيلة) مدينة ممّا يلي الشام، وفي حلية الأولياء ٣ / ١٧٣^(٤)، وتهديب التهذيب ٩ / ٣٥٥^(٥) بالمدينة المنورة، وعيّن ابن كثير بالبقيع^(٦).

وفي معجم البلدان ٣ / ٣٨٧^(٧): إنّ أهل جزيرة (حارك) - التي هي في وسط البحر الفارسي - يزعمون أنّ بها قبر محمد بن الحنفية. يقول الحموي: وقد زرت هذا القبر فيها، ولكن التواريخ تأباه.

واعتماد الكيسانية حياته في جبل رضوى يأتيه رزقه وله عودة، من الخرافات؛ للاتفاق على موته.

(١) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٢.

(٢) البداية والنهاية ٩ / ٤٦.

(٣) المعارف ٩٥ / ٩٥.

(٤) حلية الأولياء ٣ / ٢٠٥.

(٥) تهديب التهذيب ٩ / ٣٥٤.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ٩ / ٣٢.

(٧) معجم البلدان ٢ / ٣٣٧.

وإنّ كلمة الإمام الحسن السبط عليه السلام تدلّنا على فضله الشامخ وورعه الثابت، ونزاهته عن
كُلِّ دنس، ومعرفته بالإمام الواجب اتّباعه.

قال الشيخ الجليل الطبرسي - من أعلام القرن السادس - في (إعلام الوري): أرسل
الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام قنبراً خلف محمّد بن الحنفية، فلمّا مثل بين يديه، قال له: «
اجلس، فليس يغيبُ مثلك عن سماع كلامٍ يحيا به الأمواتُ ويموتُ به الأحياء:
كونوا أوعية العلم ومصايح الدُّجى؛ فإنّ ضوءَ النهارِ بعضُهُ أضوءٌ من بعض. أما علمت أنّ الله
عزّ وجل جعل ولدَ إبراهيم عليه السلام أئمة، وفضلَ بعضَهُم على بعض، وآتى داودَ زبوراً، وقد علمت بما
استأثر الله تعالى محمّداً صلى الله عليه وآله.

يا محمّد بن علي، لا أخاف عليك الحسد، وإنّما وصفَ الله به الكافرين، فقال تعالى: (
كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ)^(١). ولم يجعل الله للشيطان عليك
سُلطاناً.

يا محمّد بن علي، ألا أخبرك بما سمعتُ من أبيك عليه السلام فيك؟». قال: بلى. فقال
عليه السلام: « سمعتُ أباك يقول يومَ البصرة: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبْرَنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَبْرَ مُحَمَّدًا.
يا محمّد بن علي، لو شئتُ أن أخبرك وأنت في ظهر أبيك لأخبرتك.

(١) سورة البقرة / ١٠٩.

يا محمد بن علي، أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي، ومفارقة روعي جسمي، إمام من بعدي عند الله في الكتاب؛ وراثه من النبي أضافها في وراثه أبيه وأمه، علم الله أنكم خيرة خلقه فاصطفى منكم محمداً، واختار محمداً علياً، واختارني علياً للإمامة، واخترت أنا الحسين». فقال له محمد بن علي: أنت إمامي وسيدي، ألا وإن في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء، ولا تُعيّره الرياح، كالكتاب المعجم في الرقّ المئتمّم؛ أهمُّ بإبدائه فأجدني سبقتُ إليه سبق الكتاب المنزل، وما جاءت به الرُّسل، وإنه لكلامٌ يكُلُّ به لسانُ الناطق ويدُ الكاتب حتى لا يجد قلماً، ويؤتوا بالقرطاس حمماً ولا يبلغ فضلك، وكذلك يجزي المحسنين، ولا قوة إلا بالله. الحسين أعلمنا علماً، وأثقلنا حليماً، وأقربنا من رسول الله ﷺ رحماً؛ كان إماماً قبل أن يُخلق، وقرأ الوحي قبل أن يتنطق، ولو علم الله أن أحداً خيراً منا ما اصطفى محمداً، فلما اختار الله محمداً، واختار محمداً علياً إماماً، واختارك عليّ بعده، واخترت الحسين بعدك، سلّمنا ورضينا بمن هو الرضى، وممن نسلم به من المشكلات^(١).

وهذه الوصية تُفيدنا عظمة ابن الحنفية من ناحية الإيمان، وأنه من عياب العلم ومناجم التقي، فأبي رجل يشهد له إمامٌ وقته بأن الله لم يجعل للشيطان عليه سلطاناً؟ وأنه لا يخشى عليه من ناحية الحسد الذي لا يخلو منه أو من شيء من موجباته، أيّ أحد لم يبلغ درجة الكمال؟ ثم أي رجل أناط أمير المؤمنين عليه السلام بالبرّ به بالبرّ بنفسه التي يجب على كافة المؤمنين أن يبرّوا بها؟

(١) إعلام الوری بأعلام الهدى / ٤٢٣ .

على أنّ الظاهر من قول المُجتبى عليه السلام: «أما علمت أنّ الحسينَ». هو: إنّ علمَ محمدٍ بالإمامة لم يكنْ بمحضِ النَّصِّ المُتأخَّر وإنْ أكَّده ذلك، وإتّما هو بعلمٍ مخصوصٍ برجالات بيت الوحي، مكنونٍ عندهم بالإحاطة بالكتاب الماضي والقدر الجاري. ويرشدنا إلى هذا قولُ ابنِ الحنفيّة: إنّ في رأسي...؛ فإنّه أظهر من سابقه فيما قلنا، وكلماته الذهبيّة في الاعتراف بحقّ الإمامين عليه السلامين تدلّنا على ثباته المُستقى من عين صافية بارشيةٍ من الحقِّ؛ وما هي إلاّ ذلك اللوح المحفوظ.

أضف إلى ذلك، ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «تأبى المحامدة أن يُعصى الله». وهُم: محمد بن الحنفيّة، ومحمد بن جعفر الطيّار، ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان^(١).

(١) رجال الكشي ١ / ٢٢٦، النَّصُّ منقول بالمعنى، وفيه: إنّ محمد بن أبي حذيفة كان من أنصار عليّ عليه السلام وخيار الشيعة، وبعد شهادة علي عليه السلام حبسه معاوية دهرًا؛ حيث لم يتبرأ من المشايعة لعلي وولده عليه السلام، وبعد أن أخرجته حمله على البراءة منه والموالة لعثمان، فقال له: إيّ لا أعلم أحدًا شرك في دم عثمان غيرك؛ حيث استعملك وخالف المسلمين في رأيهم عليه بعزلك حتّى جرى عليه ما كان، وإنّ طلحة والزبير وعائشة هم الذين ألّبوا عليه وشهدوا عليه بالجرمة، وإيّ أشهد أنّك منذ عُرفت في الجاهليّة والإسلام لعلّي مخلّق واحد، ما زاد الإسلامُ فيك شيئًا؛ وعلامته أنّك تلومني على حُبّي لعليّ عليه السلام وقد خرج معه كلّ صوّامٍ قولٍ من المهاجرين والأنصار، كما خرج معك أبناءُ المنافقين والطفلاء.

والله يا معاوية، ما خفي عليك ما صنعت ولا خفي عليهم ما صنعوا، إذ أحلّوا أنفسهم سخطَ الله بطاعتك، وإيّ لا أزال أحبُّ عليًّا لله ورسوله، وأبغضُك في الله ورسوله أبدًا ما بقيت. ثمّ ردّه إلى السّجن فمات فيه. رجال الكشي ١ / ٢٢٨، والنّص منقول بالمعنى.

وهذه شهادة من سيّد الأوصياء عليه السلام في حقّ ولده الكريم محمّد، قد أخذت مأخذها من الفضيلة، وأحلت محمّداً المحلّ الأرفع من الدّين، وأقلّته سنام العرّ في مستوى الإيمان. وإنّ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه ممّن يأبى أن يُعصى الله، تُعرّفنا عدم ادّعائه الإمامة لنفسه بعد الحسين عليه السلام؛ فإنّ تسليمه الإمامة للسجّاد عليه السلام لا يختلف فيه اثنان، واستدعاؤه الإمام عليه السلام للمحاكمة عند الحجر الأسود من أكبر الشواهد على تفنّنه في تنبيه النّاس لمن يجب عليهم الانقياد له. وعدم حضوره مشهد الطّفّ؛ إمّا لما يقوله العلامة الحلّي في أجوبة المسائل المهنية من المرض، أو لما يروي محمّد بن أبي طالب في المقتل: من إذن الحسين عليه السلام له في البقاء بالمدينة يُعرّفه بما يحدث هناك، فهو معذورٌ مقبول. ولبسالته المعلومة وموقفه من الحقّ؛ أنزله أبوه عليه السلام يوم (الجملة) منزلة يده، فكان يخوض الغمرات أمامه، ويمضي عند مُشتبك الحرب قِدماً، وكان يقول له عند أمره لمنازلة الأقران دون الإمامين عليه السلام : « إِنْهُمَا عَيْنَايَ وَأَنْتَ يَدِي، أَفَلَا أَدْفَعُ بِيَدِي عَنْ عَيْنَيْ؟ »^(١). وناهيك من بلاغته المزيّجة بالشجاعة، خطبته يوم صفّين، وقد برز بين الصّفّين فأومى إلى عسكر معاوية، وقال:

(١) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٢٤٤: قيل لمحمّد: لم يُعرّز بك أبوك في الحرب، ولا يُعرّز بالحسن والحسين عليه السلام ؟ فقال: إنّهما عيناها وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيهِ بيمينه.

« يا أهل الشام، احسبوا يا ذُرِّيَّةَ التَّفَاقِ وحشَوِ النَّارِ وَحَطَبِ جَهَنَّمَ... »^(١). إلى آخر كلامه المروي في تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي / ١٦٧، ومناقب الخوارزمي / ١٣٤^(٢). فكان لهذه الخطبة البليغة موقعٌ تامٌّ في ذلك الجيش اللَّجَبِ والجمع المتكاثف، ولم يبقَ في الفريقين إلَّا مَنْ اعترف بفضله.

(١) والنص باختلاف ألفاظه موجودٌ في مناقب آل أبي طالب ٣ / ٣٣٤، وعنه بحار الأنوار ٤٦ / ٣١٨.

(٢) المناقب للخوارزمي / ٢١٠.

الأطرف:

وأما عمر الأطراف، فكما شاركه في العقب، [فقد] وقع الخلاف من أهل النسب في أيُّهما أسبق في الولادة؛ فالذي عليه ابن شهاب العكبري، وأبو الحسن الأشناني، وابنُ جداع، تقدّم ولادة عمر، وعند شيخ الشرف العبيدلي، والبغدادي، وأبي الغنائم العمري، تقدّم ولادة العباس عليه السلام ^(١). ولا يُمكننا الحكم بشيء بعد جهالة السنّة التي توفّي فيها، وذكرها على الإجمال في زمن عبد الملك أو ابنه الوليد لا يُغني، وإن عرفوا مقدار عمره بخمس وثمانين أو خمس وسبعين.

نعم، يظهر من المؤرّخين عند ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام أنّ العباس أكبر منه؛ لأنهم يُقدّمون ذكر العباس وإخوته على عمر، على أنّ الداودي في العمدة / ٣٥٤ يقول: كان عمر آخر من وُلد من بني عليّ عليه السلام.

وعلى كلّ حال، فالوجه في تسميته بالأطرف إنّما هو بعد ولادة عمر الأشرف ابن الإمام السجّاد عليه السلام، أخو زيد الشهيد لأمه؛ فإنه سُمّي بالأشرف، لجمعه الفضيلة من ولادة علي وفاطمة عليهما السلام، والأطرف حاز الفضل من طرف أبيه ^(٢).

(١) عمدة الطالب / ٣٢٨.

(٢) عمدة الطالب / ٢٨١.

ولم يحضر مع الحسين عليه السلام في الطَّفِّ، ولا مع مصعب بن الزُّبير، وقد وَهَمَ مَنْ ذكره في المُسْتَشْهَدِينَ يوم الطَّفِّ، كما أخطأ الدينوري في الأخبار الطوال / ٢٩٧ في عدّه من جملة مَنْ قُتِلَ مع مصعب في الحرب القائمة بينه وبين المختار.

وأغرب منه عدّ الياضي له في مرآة الجنان ١ / ١٤٣ في جملة المقتولين مع المختار؛ لأنّ المشهور بين المؤرّخين بقاؤه إلى بعد الحسين عليه السلام حتّى نازع السجّاد عليه السلام في الصّدقات إلى عبد الملك، فلم ينجح، كما نازع الحسن المثنى فيها عند الحجاج فطرده عبد الملك عنها^(١).

ويروي السيّد ابن طاووس: أنّه أشار على الحسين عليه السلام بالبيعة ليزيد، فقال له: «إنّ أبي حدّثني عن رسول الله بقتله وقتلي، وإنّ تُرْبِيّتي إلى جنب تُرْبِيّته. أتظنّ أنّك تعلم ما لم أعلمه؟ فوالله، لا أعطي الدنيّة من نفسي»^(٢).

ولا أعلم السبب في تأخّره عن الطَّفِّ، و (الظنّ لا يُعْني من الحقّ شيئاً)^(٣) وليس لنا إلّا التسليم ما لم يقدّم دليل قطعي على المعاندة والمخالفة؛ خصوصاً بعدما جاء الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، وفيه: «لا يخرج أحدنا من الدنيا حتّى يقرّ لكلّ ذي فضل فضله، ولو بغواق ناقة»^(٤).

فإنّه صريح في توبة مَنْ كان ظاهره الخلاف لأهل البيت عليهم السلام عند الممات، ولا إشكال في أنّ التوبة مكفّرة لما صدر من العصيان

(١) عمدة الطالب (عند ذكر الحسن المثنى) / ٩٠.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف / ٢٠، والتّص منقول بالمعنى.

(٣) سورة يونس / ٣٦.

(٤) هذان حديثان مُلْتَقنان منقولان بالمعنى، وهما في كمال الدّين وتمام النّعمة للشيخ الصدوق / ٦٠٢، وقرب

الإسناد للحميري / ٢٤.

كما في صريح الكتاب المجيد، وإجماع المسلمين، والأخبار المتواترة التي تُوجب القطع بضمونه، فالتهم على آل النبي ﷺ بمجرد تلك الأحاديث التي لا يُعرف مأخذها، خروج عن طريقة الأئمة الطاهرين ﷺ.

وأما عبيد الله بن التَّهْشَلِيَّة فلم يحضر الطَّفَّ، وجاء إلى المختار يطلب الرِّفْد فلم يصله، فالتحق بمصعب وجاء معه، فلما وصل المدار من سواد البصرة، وُجِدَ في فسطاطه مذبوحاً، ولم يُعلم قاتله^(١).

والمشارك معه في يوم الطَّفَّ أبو بكر، وأمه ليلي بنت مسعود التَّهْشَلِيَّة. قال ابن جرير وابن الأثير: شُكِّ في قتله^(٢). وفي نفس المهموم / ١٧٣: وُجِدَ في ساقية قتيلاً، لا يُعلم قاتله^(٣).

وكأنه لما حمل آل أبي طالب بعد قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل حملةً واحدة، فصاح بهم الحسين ﷺ: « صبراً على الموت يا بني عُموْمِي؛ فوالله، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً »^(٤). سقط فيهم عونُ ابن الطَّيَّار وأخوه مُحَمَّد، وعبد الرحمن بن

(١) قال ابن إدريس الحلبي في السرائر ١ / ٦٥٦: وقد ذهب أيضاً شيخنا المفيد في كتاب الإرشاد إلى أنّ عبيد الله بن التَّهْشَلِيَّة قُتِلَ بكريلاء مع أخيه الحسين ﷺ. وهذا خطأ محضٌ بلا مرأى؛ لأنَّ عبيد الله بن التَّهْشَلِيَّة كان في جيش مصعب بن الزُّبَيْر، ومن جملة أصحابه، قتله أصحاب المختار.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣٥١، الكامل في التاريخ ٤ / ٩٢.

(٣) مقاتل الطالبين / ٥٧.

(٤) بحار الأنوار ٤٥ / ٣٦، والعبارة: « صبراً يا بني عُموْمِي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً ».

عقيل وأخوه جعفر، ومحمد بن مسلم بن عقيل، وأبو بكر هذا؛ فلذلك لم يُعرف قاتله. ومحمد الأوسط، وأمه أمّ ولد، قتله رجل من بني أبان بن دارم واحتزّ رأسه^(١). وعبد الله المولود سنة ٣٦ هـ، وجعفر المولود سنة ٣٣ هـ، وعثمان المولود سنة ٤٠ هـ، فقتل هاني بن ثابت الحضرمي عبد الله وجعفرًا، ورمى خولي بن يزيد الأصبحي عثمان، واحتزّ رأسه رجلٌ من بني أبان بن دارم^(٢)، وهؤلاء جمعهم وإياه الأمومة أيضاً. والمشارك له في الاسم عباس الأصغر، نصّ عليه التّسابة السيّد محمد كاظم اليماني في التّفحة العنبريّة، قال: وكان شقيقاً لعمر الأظرف. وفي ناسخ التواريخ ذكر العباس الشهيد والعباس الأصغر، ويُؤيّدُه أنّ التّسابة العُمري في المُجدي، وابن شهر آشوب في المناقب، والشبلنجي في نور الأبصار، والمُحبّ الطبري في ذخائر العقبي، وصفوا الشهيد بالعباس الأكبر^(٣).

وهذا التعبير في عُرف التّسابين يقع لِمَن يكون له أخٌ أصغرٌ منه شاركه في الاسم، لا فيمَن هو أكبر إخوته مُطلقاً ولو لم يشاركه في الاسم، والظاهر أنّ العباس الأصغر درج في أيام أبيه؛ لأنّه ليس له ذكْرٌ في الوارثين لأمير المؤمنين عليّ من ولده.

(١) الكامل في التاريخ ٤ / ٩٢.

(٢) مقاتل الطالبين / ٥٥.

(٣) أنساب الأشراف / ١٩٢، المُجدي في أنساب الطالبين / ٢٣٢، الحريرة في أصول أنساب العلويين /

أخواته:

كانت أخوات العباس من أبيه ثمان عشرة^(١)؛ فمنهنّ مَنْ تُوقيت أيام أبيهنّ كزينب الصغرى، وجمانة، وأمّامة، وأمّ سلمة، ورملة الصغرى^(٢)؛ ومنهنّ مَنْ لم يُذكر خروجهن إلى أزواج، والذين خرجن إلى أزواج؛ فالعقيلة زينب الكبرى كانت عند عبد الله بن جعفر الطيّار، فأولدت له جعفر الأكبر، وعباساً، وعليّاً المعروف بالزيني، وعوناً الأكبر قُتل يوم الطّفّ في حملة آل أبي طالب؛ وأمّ كلثوم، وهي التي تزوّجها الحسين عليّاً من ابن عمّها القاسم بن محمّد الطيّار وأحلها البغيغات^(٣)؛ ورقية عند ابن عمّها الشهيد مسلم بن عقيل، ولدت له عبد الله وعليّاً ومحمّداً.

وفي العمدة: تزوّج مسلم أمّ كلثوم بنت علي عليّاً فولدت له حميدة^(٤)، تزوّجها الفقيه الجليل عبد الله بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب، أولدها محمّداً، ومنه العقب.

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول / ٣١٣.

(٢) مناقب السروي ٢ / ٧٦.

(٣) المصدر نفسه ٢ / ١٧١.

(٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب / ٣٢.

ولا يتمّ هذا إلاّ بعد وفاة إحداهنّ؛ إذ لا يجوز الجمع بين الأختين.
وكانت فاطمة عند أبي سعيد بن عقيل، ولدت له حميدة؛ وخديجة كانت عند عبد الرحمن
بن عقيل، ولدت له سعيد؛ وأمّ هاني تزوّجها عبد الله الأكبر بن عقيل، ولدت له عبد
الرحمن ومحمّد؛ وأمّ الحسن خرجت إلى جعدة بن هبيرة المخزومي؛ وأمامة كانت عند الصّلت
بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ولدت له نفيسة^(١).

(١) بحار الأنوار ٤٢ / ٩٣، المجددي في أنساب الطالبين / ١٨، إعلام الوري بأعلام الهدى / ٣٩٨.

العقيلة:

وكيف كان فالمهم في هذا العنوان النظر في العقيلة الكبرى التي هي أعظمهنّ قدراً، وأجلهنّ شأنًا؛ فإنّها شطيّةٌ من شطايا التّبوّ، وفلذة من أفلاذ الإمامة، وهي الجوهرة الفريدة التي ضمّتها إليه صدف القداسة (الزهراء الطاهرة عليها السلام)، وأنجب بها سيّد الأوصياء.

بجلال أحمد في مهابة حيدرٍ قَد أنجبت أمّ الأئمّة زينبا

فكانت شريكة الإمامين سيّدي شباب أهل الجنّة في ذلك المرتكض الطاهر والحجر الزاكي، والصلب القادس واللبن السّائع، والتربية الإلهيّة، أضف إلى ذلك العِلْم المُتدقّق والفقّه التّاجع، وقد شهد لها ابن أخيها السّجّاد عليه السلام: «بأنّها عالمةٌ غيرُ مُعلّمة، وفاهمةٌ غيرُ مُفهمّة»^(١).

وحسبها من الخطر إنّ ما انحنت عليه الأضالع هو ذلك العلم المُتفاض عليها من ساحة القدس الإلهي؛ لا بإرشاد مُعلّمٍ أو تلقين مرشد، مع البلاغة في المنطق، والبراعة في الإفاضة، كأنّها تُفرغ عن لسان أبيها الوصي عليه السلام:

(١) الاحتجاج ٢ / ٣١، المُجدي في أنساب الطالبين / ٤٨، بحار الأنوار ٤٥ / ١٦٤.

وَعَنِ الْوَصِيِّ بِالْإِغْتَابِ حُصِّتْ بِهَا
 مَا اسْتَرْسَلْتُ إِلَّا وَتَحَسُّبُ أَتَّهَا
 أَوْ أَتَّهَا الْيَزِيدِيُّ فِي يَدِ بَاسِلٍ
 أَوْ أَتَّهَا تَقْتَادُ مِنْهَا فَيَلْقَا
 أَوْ أَنَّ فِي غَابِ الْإِمَامَةِ لِبُؤَةِ
 أَوْ أَتَّهَا الْبَحْرُ الْخِضْمُ تَلَاطَمَتْ
 أَوْ أَنَّ مِنْ غَضَبِ الْإِلَهِ صَوَاعِقًا
 أَوْ أَنَّ حَيْدَرَهُ عَلَى صَهْوَاتِهَا
 أَوْ أَنَّ ضَمَّتَهُ ذُرُوهُ مِنْبِرٍ
 أَوْ أَنَّ فِي الْأَوَى عَقِيلَةَ هَاشِمٍ

أَعْيَتْ بَرُونِقَهَا الْبَلِيغَ الْأَخْطَبَا
 تَسْتَلُّ مِنْ غُرَرِ الْخَطَابَةِ مِقْضَبَا
 أَخْلَا بِهِ ظَهْرًا وَأَوْهَى مَنْكَبَا
 وَتَسَوَّقُ مِنْ زُمَرِ الْحَقَائِقِ مَوْكَبَا
 لَزَيْبِرِهَا عَنَتِ الْوَجُوهُ تَهْيِيَا
 أَمْوَاجُهُ عِلْمًا حَجَى بِأَسَا أَبَا
 لَمْ تَلْفَ عَنْهَا آلُ حَرْبٍ مَهْرَبَا
 يُفْنِي كِرَادِيَسَ الضَّلَالِ ثُبَا ثُبَا
 فَأَنْارَ نُهْجًا لِلشَّرِيعَةِ الْحَبَا
 قَدْ فَرَّقَتْ شَمَلَ الْعَمَى أَيْدِي سَبَا^(١)

(١) من قصيدة للعلامة ميرزا محمد علي الأوردبادي طُبعت في كتاب (زينب الكبرى).

ولم تكن هذه البراعة والاسترسال في القول إلا عمّا انطبع فيها من النفسيات القويّة، والملكات الفاضلة، ممتزجة بثبات جأش وطمأنينة نفس وشجاعة؛ إن شئت فسّمها بالأدبية، وإلاّ فهي فوق ذلك.

وكانت تلقي حواطرها بين تلك المحتشدات الرهيبة، أو فقل بين التّاب والمخلب، غير متعنة ولا متلعثمة، وتقذفها كالصواعق على مجتمع خصومها، فكانت أعمالها وخطبها الجزء الأخير للعلة من نخضة السّبب الشهيد عليه السلام، وأصبحت تمام الفضيحة للأمويين بما نشرته بين الملأ من صحيفتهم السّوداء حتّى ضعفت عرش دولتهم، وفكّكت عرى سلطانهم، وألصقت بهم العار من كلّ التّواحي، فكانت شريكة الإمام الشهيد عليه السلام في هذه الفضيلة. وتشاطرت هي والحسين بدعوة حتمّ القضاء عليهما أن يُدبّا هذا بمشربك النّصول وهذه في حيث معترك المكاره في السّبب^(١)

وهذه التّفسيّة التي حوتها، والثبات الذي انطوى عليه أضالعها، أوجب لأخيها الشهيد عليه السلام أن يصحبها في سفره إلى مشهد الطّف؛ علماً منه بلياقته لتلقي الأسرار كما هي، وأدائها في مورد الأداء كما يجب، وهذا هو الذي أهلها لتحمل شطر ممّا يحمله الإمام عليه السلام بعد حادثة الطّف؛ حفظاً للسّجّاد عليه السلام عن عادية الأعداء، فكان يُرجع إليها في معرفة الأحكام الشرعيّة وإن كان المرجع إليها زين العباد عليه السلام.

(١) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب / ١٥٦.

ففي الحديث عن أحمد بن إبراهيم قال: دخلتُ على حكيمة بنت الجواد^(١)، أخت أبي الحسن الهادي عليه السلام، فكلمتها من وراء حجاب، وسألتها عن دينها، فسَمَّت لي مَنْ تَأْتَمُّ بهم عليه السلام، ثمَّ قالت: وفلان بن الحسن بن علي، فسَمَّته.

فقلتُ لها: جعلني الله فداك! مُعَايِنَةٌ أَوْ خَيْرٌ؟ فقالت: خيراً عن أبي محمَّد عليه السلام كتب به إلى أمِّه. فقلتُ لها: فأين المولود؟ فقالت: مستور. فقلتُ: إلى مَنْ تَفْرَعُ الشيعة؟ فقالت: إلى الجدَّة أمِّ أبي محمَّد عليه السلام. فقلتُ لها: أقتدي بَمَنْ وصيَّته إلى امرأة؟! فقالت: اقتداءً بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ إنَّ الحسين بن علي عليه السلام أوصى إلى أخته زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين عليه السلام من علمٍ يُنسب إلى زينب بنت علي؛ تسترّاً على علي بن الحسين (ع)^(٢).

ولليقين الثابت والبصيرة التافذة لم تكثر بشيء من الأهوال، ولا راعها الهزاهز، منذ مشهد الطَّفِّ إلى حين وصولها المدينة، وكان بمنظر منها مصارع آل الله نجوم الأرض من آل عبد المطلب، وبينهم سيّد شباب أهل الجنَّة عليه السلام، بحالة تنفطر لها السَّمَاوَاتُ وتنشقُّ الأرض وتخرَّ الجبال هدّاً،

(١) في المصدر: بنت محمَّد بن علي الرضا.

(٢) كمال الدِّين وتمام التَّعْمَة / ٥٠١، العيّبة للشيخ الطوسي / ٢٣٠.

وليس معها من مُحامتها حمي، ولا من رجالها وليّ غير الإمام المضيبي الذي أنهكته العلة، ونسوة في الأسر مكنتفة بها، بين شاكية وبأكية، وطفل كظّه العطش، إلى أخرى ألقها الوجل؛ وأمامها الجيش الفاتح الجذل بسكرة الظفر وبشر الشماتة، ودعة السّلام والفرح بالغنيمة، ومُحيم آل بيت الله طنبت عليه الكوارث والمحن؛ فقد الحماة والخوف من الأعداء، والأوام المبرح ونخب ونشيح، وصراخ وعولة.

والعقيلة في كُلال هذه الأحوال هي المهدئة لفورتن، والمُسكنة لروعتهن، فلم يُشاهد منها عزم خائر ولا جأش مائر، ولا صرخة عالية ولا زهول عن أمر الحرم؛ كيف! وهي بقتة أمير المؤمنين ع، ونائبة الحسين ع على تلکم الأحوال، والتاهضة الكريمة إلى مغزى أخيها، والمتمة لقصده الراقى وأمره الرشيد.

نعم، أهمها من بين ذلك شيء رآته؛ نظرت إلى ابن أخيها السجّاد ع يوجد بنفسه حينما شاهد تلك الجثث الزواكي تصهرها الشمس، فعظم عليها أمر الإمام ع، فأخذت تُصبره وتُسليه، وهو الذي لا توازن بصبره الجبال.

وفيما قالت له: مالي أراك تجود بنفسك يا بقتة جدّي وأبي وإخوتي؟ فقال ع: « وكيف لا أجزعُ ولا أهلعُ وقد أرى سيدي، وإخوتي وعمومتي، وولد عمّي وأهلي مُصرّعين بدمائهم، مُرملين بالعراء، مُسليين لا يُكفنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيت من الدّيلم والخزر! ».

فقلت: لا يجزئكَ ما ترى، فوالله، إنَّ ذلك لعهدٌ من رسول الله ﷺ إلى جدِّك وأبيك وعمِّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، إنَّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة، والجسوم المضرجة فيوارونها، وينصبون بهذا الطَّفَّ علماً لقبر أبيك سيِّد الشهداء عليِّ لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كور الليالي والأيام، وليجتهدنَّ أئمة الكفر وأشيع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلاَّ ظهوراً، وأمره إلاَّ علواً^(١).

وهل بعد هذا يبقى مجال للشكِّ في موقفها من الثبات، ومحلِّها من الطمأنينة ومبوئها من العظمة؟! وإنَّ حديث الرواة لما وقفت على جسد أخيها، وقالت: اللهم، تقبل منَّا هذا القربان^(٢). يدلُّنا على تبوُّئها عرش الجلالة، وأنها المأخوذ عليها الميثاق بتلك التَّهضة المقدَّسة كأخيها الحسين عليِّ، وإنَّ كان التفاوت محفوظاً بينهم، حتَّى إنَّ أحدهما لما أتمَّ التَّهوض بالعهد وخرج عن العدة بإزهاق نفسه المُطهِّرة، نَحض الآخر بما وجب عليه ومنه تقديم (الذبيح) إلى ساحة الجلال الرُّبوبي والتعريف به، ثُمَّ طفقت (سلام الله عليها) ناهضة ببقية الشؤون التي وجبت عليها؛ ولا استبعاد في ذلك بعد وحدة النور وتفرّد العنصر. ثُمَّ هلمَّ معي لنقرأ موقفها أمام ابن مرجانة، وقد احتشد المجلس بوجوه الكوفة وأشرفها، وهي امرأة عزلاء ليس معها إلاَّ

(١) بحار الأنوار ٢٨ / ٥٧ نقلاً عن كامل الزيارات.

(٢) شجرة طوي / ٣٩٣، حياة الإمام الحسين عليِّ للقرشي / ٣٠١.

مريض يعاني ألم القيود، ونساء ولهى وصبية تنثُنْ، فأفرغت عن لسان أبيها عليه السلام بكلام أنفدَ من السَّهم وأحدَّ من شبا السيوف، وألقت ابن مرجانة حجراً، إذ قالت له: هؤلاء قومٌ كتب الله عليهم القتل، وسيجمع الله بينك وبينهم فُتُحاج وتُخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ. هبلتكَ أمك يابن مرجانة^(١)!

وأوضحت للملأ المتغافل خبثه ولؤمه، وأنه لن يرحض عنه عارها وشنارها، كما أنّها أدهشت العقول وحيرت الفكر في خطبتها بالناس، والناس يومئذٍ حيارى سيكون لا يدرون ما يصنعون: وأتى يرحض عنهم العار بقتلهم سليل النبوة ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وباؤوا بغضب من الله وخزي في الآخرة، ولعذاب الله أكبر لو كانوا يعلمون؟!

كما أنّها أظهرت أمام ابن ميسون أسرار نهضة أخيها الحسين عليه السلام، وعزفت الأمة طغيان يزيد وضلال أبيه، وفضاعة أعمالهم وعظيم ما اقترفوه، وفيما قالت له: أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى، أنّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة^(٢)!

ولهذه الفصاحة الدقيقة جاء بها شهيد العزّ والإبء إلى العراق؛ لعلمه أنّ الغاية التي يُضحّي بنفسه لأجلها ستذهب أدراج السلطة الغاشمة، وتبقى الحقيقة مستورة على السُدج لو لم يتعقّبها لسان ذرب، وأنّ كلّ أحد لا يستطيع في ذلك الموقف الحرج الذي

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلّي / ٧١.

(٢) بحار الأنوار ٤٥ / ١٣٣، مقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ٤٧.

تحفه سيوف الظلم، أن يتكلّم بالحقيقة مهما بلغ من المنعة في عشيرته إلا العقيلة؛ فإنّها التي تعلن بمويقات ابن مرجانة وابن معاوية، وإنّ ما جرى على ابن عفيف الأزدي شاهد له. كما أنّه عليه السلام كان على يقين وثقة بإخبار جدّه الرسول ﷺ أنّ القوم - وإن بلغوا الخسّة والغواية، وتناهوا في الخروج عن سبيل الحميّة - لا يمدّون إلى النساء يد السوء، وقد أنبأ سلام الله عليه عن هذا بقوله لهنّ ساعة الوداع: «البسوا أزرّكم واستعدّوا للبلاء، واعلموا أنّ الله حاميكُم وحافظكُم، وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويُعذّب أعمادكم بأنواع العذاب، ويُعوضكُم عن هذه البليّة بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكّوا ولا تقولوا بألسنتكم ما يُنقص من قدرِكُم»^(١). فكان في مجيء الحسين عليه السلام بالعقيلة فوائد، أهمها: تنزيه دين النبي ﷺ عمّا أُلصقوه بساحته من الأباطيل، ولا قبح فيه عقلاً، كما لا يستهجنه العرف ويساعد عليه الشرع.

والمرأة وإنّ وضع الله عنها الجهاد ومكافحة الأعداء، وأمرها سبحانه أن تقرّ في بيتها؛ فذلك فيما إذا قام بتلك المكافحة ودافع عن قدس الشريعة غيرها من الرجال، وأمّا إذا توقّف إقامة الحقّ ونصرة الدين عليها فقط، كان الواجب التّهوض بعبء ذلك كلّها؛ كي لا تندرس آثار الحقّ، وتذهب تضحية أولئك الصفوة دونه أدراج التمويهات؛ ولذلك نهضت سيّدة نساء العالمين عليها للدفاع عن خلافة الله الكبرى حين أخذ العهد على سيّد الأوصياء عليه السلام بالسكوت.

(١) الدفعة السّاقبة ٤ / ٣٤٦.

على أنّ الخضوع لناموس عصمة الإمام عليه السلام في جميع أقواله وأفعاله الصادرة عنه طيلة حياته، يُحْتَم علينا الإذعان بأنّ ما صدر منه منعه عن حكم إلهي قرأه في الصحيفة الخاصة به، التي يُخبر الامام الصادق عليه السلام عنها: « إنَّ لِكُلِّ واحدٍ مِنَّا صحيفةً يعملُ بما فيها »^(١).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: « فبتقدّم علمٍ إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله ، قام عليٌّ والحسنُ والحسينُ، ويعلم صمتَ مَنْ صمتَ مِنَّا »^(٢). كما أنّه عليه السلام أعلمَ بذلك جابر الأنصاري حين قال له: ألا تصالح كما صالح أخوك الحسن عليه السلام؟ فقال عليه السلام: « إنَّ أخي فعلَ بأمرٍ من الله ورسوله، وأنا أفعلُ بأمرٍ من الله ورسوله »^(٣).

فهذه الأحاديث تُفيدنا نموذجاً من الاهتداء إلى معرفة سير الإمام عليه السلام في جميع أفعاله، وأنها ناشئة عن حكم ربانية لا يتطرق إليها الشكُّ والريب، وليس الواجب علينا إلاّ التصديق بكُلِّ ما يصدر منه، من دون أن يلزمنا الشرع أو العقل بمعرفة المصالح الباعثة على تلك الأفعال الصادرة منه؛ سواء كانت الأفعال في العرف والعادة فظيعة جداً أم لا.

(١) الكافي ١ / ٢٨٣، ح ٤.

(٢) الكافي ١ / ٢٦٢، ح ٤.

(٣) الناقب في المناقب لابن حمزة الطوسي / ٣٢٢، مع اختلاف بعض الألفاظ.

أم البنين:

- هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن^(١).
- ١ - أمها ثمامة^(٢) بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب.
 - ٢ - وأمها عمرة بنت الطفيل بن مالك الأخرم بن جعفر بن كلاب.
 - ٣ - وأمها كبشة بنت عروة الرحّال بن جعفر بن كلاب.
 - ٤ - وأمها أمّ الخشف بنت أبي معاوية (فارس الهزار) ابن عبادة بن عقيل بن كلاب.
 - ٥ - وأمها فاطمة بنت جعفر بن كلاب^(٣).
 - ٦ - وأمها عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وسمّاها في العمدة فاطمة^(٤).
 - ٧ - وأمها آمنة بنت وهب بن عمير بن نصر بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمية.

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب / ٣٥٦، قاموس الرجال ١٢ / ١٩٥.

(٢) سمّاها الوايي بالوفيات ١٨ / ٣٤٤ (ليلي).

(٣) سمّاها في إكمال الإكمال ٧ / ١١١ (خالدة).

(٤) عمدة الطالب لابن عنبه / ٣٥٦.

- ٨ - وأُمُّهَا بنت جحدر بن ضبيعة الأغر بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صععب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار.
- ٩ - وأُمُّهَا بنت ملك بن قيس بن ثعلبة.
- ١٠ - وأُمُّهَا بنت ذي الرأسين: وهو خشين بن أبي عصم بن سمح بن فزارة. وفي القاموس: خشين بن لاي^(١). وفي تاج العروس: لاي بن عصيم^(٢).
- ١١ - وأُمُّهَا بنت عمر بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان.

هذا ما ذكره أبو الفرج في المقاتل^(٣) من جدّات أمّ البنين والدة العبّاس عليه السلام، ومنه عرفنا آباءها وأخوالها، ويُعرّفنا التاريخ أهمّ فرسان العرب في الجاهليّة، ولهم الذكريات المجيدة في المغازي بالفروسيّة والبسالة، مع الزعامة والسؤدد حتّى أذعن لهم الملوك، وهم الذين عناهم عقيل بن أبي طالب بقوله: ليس في العرب أشجع من آبائها^(٤) ولا أفرس.

وذلك مراد أمير المؤمنين عليه السلام من البناء على امرأة ولدتها الفحولة من العرب؛ فإنّ الآباء لا بدّ وأنّ تُعرف في البنين ذاتيّاتها وأوصافها، فإذا كان المولود ذكراً بانّت فيه هذه الخصال الكريمة، وإنّ كانت أنثى بانّت في أولادها، وإلى هذا أشار صاحب الشريعة الحقّة بقوله صلى الله عليه وآله: «**الخالُ أحدُ الصّجّيعين؛ فتخيروا لنطفكم**»^(٥).

-
- (١) القاموس المحيط ٢ / ٢١٨.
- (٢) تاج العروس ٨ / ٢٩٨، ولا خلاف بينهما بعد المراجعة.
- (٣) مقاتل الطالبين / ٥٣.
- (٤) عمدة الطالب لابن عنبه / ٣٥٧.
- (٥) الكافي ٥ / ٣٣٢، ح ٢، والحديث: «**اختاروا لنطفكم؛ فإنّ الخالُ أحدُ الصّجّيعين**».

وقد ظهرت في أبي الفضل عليه السلام الشجاعتان؛ الهاشمية التي هي الأرى والأرقى، فمن ناحية أبيه سيّد الوصيّين عليهما السلام، والعامرية، فمن ناحية أمّه أمّ البنين؛ فإنّ من قومها أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، جدّ ثمامة والدة أمّ البنين، وهو الجدّ الثاني لأمّ البنين.

قيل له: ملاعب الأسنّة؛ لفروسيته وشجاعته، لقّبه بذلك حسّان لما رآه يقاتل الفرسان وحده وقد أحاطوا به، قال: ما هذا إلّا ملاعب الأسنّة. وقيل: إنّ أوس بن حجر قال فيه:

يلاعِبُ أطرافَ الأسنّةِ عامرٌ فَرّاحٌ لَهُ حِظُّ الكِتابِ أجمَعُ^(١)

وهو الذي استعانه ابنُ أخيه عامر بن الطفيل على منافرة علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص، لما تفاخرا على أن يسوق كُلّ منهما مئة ناقة تكون لمن يحكم له، ووضع كُلّ منهما رهناً لمنّ أبنائهم على يد رجل من بني الوحيد؛ فسوّى الضمين إلى اليوم، وهو الكفيل. ولما استعانه عامر دفع إليه نعليه، وقال له: استعن بهما في منافرتك؛ فإني قد رعتُ بهما أربعين مرّبعاً^(٢).

والمرّباع: ما يأخذه الرّئيس من ربع الغنيمة دون أصحابه خالصاً لنفسه، وذلك عندما كانوا يغزون في الجاهليّة^(٣). وهذان النّعلان من مُختصات الرّئيس التي يخرج بها في الأيام الخاصّة، وإلّا فلا مزيّة لهما حتّى يستعين بهما على المنافرة.

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٦ / ١٠١.

(٢) الأعلام للزركلي ٣ / ٣٥٥، الإصابة ٣ / ٤٨٥.

(٣) لسان العرب ٧ / ٤١٥، تاج العروس ١١ / ١١٢.

ومنهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وهو أخو عمرة الجدّة الأولى لأمّ البنين.

كان عامر أسود أهل زمانه، وأشهر فرسان العرب بأساً ونجدة، وأبعدها اسماً حتى بلغ أنّ قيصر إذا قدم عليه قادم من العرب، قال: ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟ فإنّ ذكر نسباً عظم عنده وأرفده، وإلاّ أعرض عنه.

[ومن نافلة القول أنّه] وقد عليه علقمة بن علاثة فانتسب له، [ف] قال له قيصر: أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل؟ فغضب علقمة، ثمّ إنّّه دخل على ملك الروم، فقال له: انتسب. فانتسب له، [ف] قال الملك: أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل؟ فغضب وخرج عنه^(١).

ومنهم عروة الرّحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، والد كبشة الجدّة الثانية لأمّ البنين. كان وقاداً على الملوك وله قدر عندهم؛ ومن هنا سُمّي الرّحّال، وهو الذي أجاز لطيمة النّعمان التي كان يبعث بها كلّ عام إلى سوق عكاظ، فقتله البراض بن قيس الكناني واستاق العير؛ وبسببه هاجت حرب الفجّار بين حي خندف وقيس^(٢).

ومنهم الطفيل فارس قرزل، وهو والد عمرة الجدّة الأولى لأمّ البنين. كان معروفاً بالشجاعة والفروسية، وهو أخو ملاعب الأسنّة وربّعة، وعبيدة ومعاوية بنو جعفر بن كلاب، يُقال لأئمّهم: أمّ البنين. وإياها عنى لبّيد بن ربّعة بن مالك بن جعفر بن كلاب لما وفد بنو جعفر على النّعمان بن المنذر، وكان سميره الربيع بن زياد

(١) قسم من الكلام موجود في الإصابة ٤ / ٤٥٨، وخزانة الأدب ٣ / ٨٠. على أنّ الكلام الوارد بين المعقوفين هو من إضافات (موقع معهد الإمامين الحسنين).

(٢) الطبقات الكبرى ١ / ١٢٧، الأعلام للزركلي ٢ / ٤٧.

العبسي، فاتهموه بالسعي عليهم، فلما غدوا على النعمان كان معهم لبيد، وهو أصغرهم، فرأوا النعمان يأكل مع الربيع، فقال لبيد:

يا واهب الخير الجزيل من سعة نحن بنو أم البنين الأربعه
ونحن خير عامر بن صعصعه المطعمون الجفنة المددعه
والضاريون الهام تحت الخيضة إليك جاؤنا بلاداً مسيعة
يُخبرك عن هذا خبير فاسمعه مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه
إن إسته من برص ملّعه وإنه يوج فيها إصبعة
يوجها حتى يوارى أشجعه كأنما يطلب شيئاً ضيعة

فلم ينكر عليه النعمان ولا أحد من العرب؛ لأنّ لهم شرفاً لا يُدافع؛ ولذلك طرد النعمان الربيع عن مسامرته، وقال له:

شردّ برحلك عني حيث شئت ولا تكثر عليّ ودع عنك الأباطيلا
قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك في شيء إذا قيلاً^(١)

(١) معجم البلدان ١ / ٣٨٦، خزنة الأدب ٤ / ١٠.

الزواج:

تزوَّج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة ابنة حزام العامرية، إمّا بعد وفاة الصديقة سيّدة النساء عليها السلام كما يراه بعض المؤرّخين^(١)، أو بعد أن تزوّج بأمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كما يراه البعض الآخر^(٢). وهذا بعد وفاة الزهراء عليها السلام؛ لأنّ الله قد حرّم النساء على عليّ عليه السلام ما دامت فاطمة عليها السلام موجودة^(٣).

فولدت أربعة بنين وأنجبت بهم: العباس وعبد الله، وجعفر وعثمان، وعاشت بعده مدّة طويلة ولم تتزوَّج من غيره، كما أنّ أمامة وأسماء بنت عميس وليلى التمهلية لم يخرجن إلى أحد بعده، وهذه الحرائر الأربع تُوفي عنهنّ سيّد الوصيين (ع)^(٤).

وقد خطب المغيرة بن نوفل أمامة، ثمّ خطبها أبو الهياج بن أبي سفیان بن الحارث، فامتنعت، وروت حديثاً عن عليّ عليه السلام: أنّ أزواج النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام لا يتزوَّجن بعده؛ فلم يتزوَّجن الحرائر وأمّهات الأولاد عملاً بالرواية^(٥).

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي / ١٢١، الدرّ النّظيم للعاملين / ٤١١.

(٢) السّيرة النبويّة لابن كثير ٤ / ٥٨١، السّيرة الحلبيّة ٢ / ٤٥٢، الكنى والألقاب للقمي ١ / ١١٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣ / ١١٠، الأمالي للشيخ الطوسي / ٤٣، بشارة المصطفى

للطبري / ٣٨١.

(٤) عمدة القارئ ٨ / ٤١، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق / ٣٠٥.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٩٠.

وكانت أمّ البنين من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت عليهم السلام، مُخلصة في ولائهم، مُمخّصة في مودّتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه والمحلّ الرفيع، وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تُعزّيها بأولادها الأربعة، كما كانت تزورها أيّام العيد.

وبلغ من عظمها ومعرفتها وتبصّرها بمقام أهل البيت عليهم السلام، أنّها لما أُدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام، وكان الحسنان عليه السلام مريضين، أخذت تُلاطف القول معهما، وتُلقّي إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت على ذلك تُحسّن السيرة معهما وتخضع لهما كالأمّ الحنون.

ولا بدّ في ذلك؛ فإنّها ضجّعة شخص الإيمان، قد استضاءت بأنواره، وريت في روضة أزهاره، واستفادت من معارفه، وتأدّبت بأدابه، وتخلّقت بأخلاقه.

الولادة:

لقد أشرق الكون بمولد قمر بني هاشم يوم بزوغ نوره من أفق المجد العلوي، مُرتضعاً ثدي البسالة، مُترّبياً في حجر الخلافة، وقد ضربت فيه الإمامة بعرق نابض، فترعرع ومزيج روحه الشهامة والإباء، والنزوع عن الدنيا، وما شُوهِد مُشتدّاً بشبيبه الغضة إلا وملء إهابه إيماناً ثابتاً، وحشؤ رذائه حلم راجح، ولبّ ناضج، وعلم ناجح.

فلم يزل يقتصّر أثر السبب الشهيد عليه السلام الذي خُلق لأجله، وكوّن لأن يكون رداءً له في صفات الفضل ومخائل الرفعة، وملامح الشجاعة والسؤدد والخطر. فإن خطى سلام الله عليه فإلى الشرف، وإن قال فعن الهدى والرشاد، وإن رمق فإلى الحق، وإن مال فعن الباطل، وإن ترّفّع فعن الضيم، وإن تمالك فدون الدين.

فكان أبو الفضل جامع الفضل والمثل الأعلى للعبرية؛ لأنّه كان يستفيد بلجّ هاتيك المآثر من شمسِ فلكِ الإمامة (حسينُ العلمِ والبأسِ والصلاحِ)، فكان هو وأخوه الشهيد عليه السلام من مصاديق قوله تعالى في التأويل: (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا)^(١). فلم يسبقه بقول استفاده منه، ولا بعملٍ أتبعه فيه، ولا بنفسيةً هي ظلّ نفسيته، ولا بمنقبة هي شعاع نوره الأقدس المُتطبع في مرآة غرائزه الصقيلة.

(١) سورة الشمس / ١ - ٢.

وقد تابع إمامه في كُلِّ أطواره حتّى في بروز هيكله القدسي إلى عالم الوجود، فكان مولد الإمام السَّبَّطِ عَلَيْهِ السَّلَامُ في ثالث شعبان، وظهر أبي الفضل العباس إلى عالم الشهود في الرابع منه (١) سنة ستّ وعشرين من الهجرة (٢).

ومّا لا شكّ فيه أنّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أحضر أمامه ولدُه المحبوبُ ليُقيم عليه مراسيم السنّة النبويّة التي تُقام عند الولادة، ونظر إلى هذا الولد الجديد الذي كان يتحرّى البناء على أمّه أنّ تكون من أشجع بيوتات العرب؛ ليكون ولدها رداءً لأخيه السَّبَّطِ الشهيد يوم تحيط به عصب الضلال، شاهد بوسع علم الإمامة ما يجري عليه من الفادح الجلل، فكان بطبع الحال يُطبّق على كُلِّ عضو يُشاهده مصيبةً سوف تجري عليه، يُقلّب كفيّه اللذين سيُقطعان في نُصرة حُجّة وقته، فتهمل عيونه،

(١) أنيس الشيعة للعلامة السيّد محمّد عبد الحسين ابن السيّد محمّد عبد الهادي المدرسي الهندي، قال شيخنا الحجة في الذريعة إلى مصنفات الشيعة ٢ / ٤٥: رأيت الكتاب في التحف عند العالم السيّد آقا التستري من أحفاد السيّد نعمّة الله الجزائري، والكتاب في وقائع الأيّام من موجبات السرور والأحزان، من مواليد الأئمّة عَلَيْهِ السَّلَامُ ووفياتهم ومعاجزهم... رتبه على الأشهر؛ بدأ بربيع الأول وختم في شهر صفر، وله مُقدّمة في نسب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وسنة جلوس الوصيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخاتمة في أحوال الحجة المنتظر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وذكر العلامة ميرزا محمّد علي الأوردبادي أنّه قرأ بخطّ المؤلّف على ظهر الكتاب: إنّه أهداه إلى السلطان فتح علي شاه يوم الجمعة أوّل شعبان سنة ١٢٤٤ هـ. وللمؤلّف كتب منها: زاد المؤمن، وتذكرة الطريق، وعناية الرّب.

(٢) المُجدي، والأنوار التعمانيّة / ١٢٤، وحكاة في كتاب قمر بني هاشم / ٢٢ عن وقائع الأيّام للشيخ محمّد باقر البيرجندي.

ويُصِرُّ صدره عيبة العلم واليقين، فيشاهده منبتاً لسهام الأعداء، فتصاعد زفرته، وينظر إلى رأسه المظهر فلا يعزب عنه أنه سوف يُقرع بعمد الحديد؛ فتثور عاطفته وترتفع عقيرته، كما لا يُيارج فآكرته حينما يراه يستقي أخاه الماء ما يكون غداً من تفانيه في سقاية كريمات النبوة، ويحمل إليهنّ الماء على عطشه المرمض، وينفض الماء حيث يذكر عطش أخيه ﷺ؛ تماكاً في المواساة، ومبالغة في المفادات، وإخلاصاً في الأخوة، فيتنفس الصعداء، ويكثر من قول: « مالي وليزيد! »^(١). وعلى هذا فقس كلَّ كارثة يُقدّر سوف تلمّ به وتجري عليه.

فكان هذا الولد العزيز على أبويه وحاقته، كُلماً سرّ أباه اعتدال خلقته، أو ملامح الخير فيه، أو سمة البسالة عليه، أو إشارة السعادة منه، ساءه ما يُشاهده هنالك من مصائب يتحمّلها، أو فادح ينوء به؛ من جرحٍ دائمٍ، وعطشٍ مُجهدٍ، وبلاءٍ مُكربٍ. وهذه قضايا طبيعية تشتدّ عليها الحالة في مثل هاتيك الموارد، ممّن يحمل أقلّ شيء من الرقة على أقلّ إنسان، فكيف بأُمير المؤمنين ﷺ الذي هو أعطف النَّاس على البشر عامّة من الأب الرؤوف، وأرقّ عليهم من الأمّ الحنون!

إذاً فكيف به في مثل هذا الإنسان الكامل (أبي الفضل) الذي لا يقف أحدٌ على مدى فضله، كما ينحسر البيان عن تحديد مظلوميته واضطهاده.

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلّي / ١٢.

وذكر صاحب كتاب (قمر بني هاشم) ص ٢١: إنّ أمّ البنين رأت أمير المؤمنين
عليه السلام في بعض الأيام أجلس أبا الفضل عليه السلام على فخذه، وشمّر عن ساعديه، وقبّلهما
وبكى، فأدهشها الحال؛ لأنّها لم تكن تعهد صبيّاً بتلك الشمائل العلويّة ينظر إليه أبوه
ويكي من دون سبب ظاهر، ولما أوقفها أمير المؤمنين عليه السلام على غامض القضاء، وما يجري
على يديه من القطع في نصرة الحسين عليه السلام، بكت وأعولت، وشاركها من في الدار في الزفرة
والحسرة، غير أنّ سيّد الأوصياء عليه السلام بشرّها بمكانة ولدها العزيز عند الله جلّ شأنه، وما
حياه عن يديه بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل ذلك لجعفر بن أبي
طالب، فقامت تحمل بشرى الأبد، والسعادة الخالدة.

صفاته:

لقد كان من عطف المولى سبحانه وتعالى على وليه المقدّس، سلالة الخلافة الكبرى، سيّد الأوصياء عليه السلام، أن جمع فيه صفات الجلالة؛ من بأس وشجاعة، وإباء ونجدة، وخلال الجمال؛ من سُؤدد وكرم، ودماثة في الخلق وعطف على الضعيف، كُُلّ ذلك من البهجة في المنظر، ووضاءة في المُحيا من ثغر باسم ووجه طلق، تتموّج عليه أمواه الحسن، ويطفح عليه رواء الجمال، وعلى أسرة جبهته أنوار الإيمان، كما كانت تعبق من أعراقه فوائح المجد، متأرجحة من طيب العنصر.

ولمّا تطابق فيه الجمالان الصوري والمعنوي، قيل له: (قمر بني هاشم)^(١)؛ حيث كان يشوئ بجماله كُُلّ جميل، ويندُ بطلاوة منظره كُُلّ أحد حتّى كأنّه الغدّ في عالم البهاء، والوحيد في دنياه، كالقمر الفائق بنوره أشعة النجوم، وهذا هو حديث الرّواة: كان العباس رجلاً وسيماً جميلاً، يركب الفرس المُطهّم ورجلاه تخطّان في الأرض، وكان يُقال له: قمر بني هاشم^(٢).

وقد وصفته الرواية المحكيّة في مقاتل الطالبين، بأنّ (بين عينيه أثر السجود). ونصّه:

(١) كان يُقال لعبد مناف: (قمر البطحاء). ولعبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله: (قمر الحرم).

(٢) مقاتل الطالبين / ٥٥.

قال المدائني: حدّثني أبو غسّان هارون بن سعد، عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة، قال: رأيتُ رجلاً من بني أبان بن دارم، أسود الوجه، وكنْتُ أعرفه جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما كدْتُ أعرفك! قال: إني قتلْتُ شاباً أمرد مع الحسين، بين عينيه أثرُ السَّجود، فما نمْتُ ليلةً - منذ قتلته - إلا أتاني، فيأخذ بتلابيبي حتّى يأتي جهنّم فيدفعني فيها، فأصيح فما يبقى في الحيّ إلا سمع صياحي. قال: والمقتول هو العباس بن عليّ ^(١).

وروى سبط ابن الجوزي عن هشام بن محمّد، عن القاسم بن الأصبغ المجاشعي، قال: لما أتني بالروّوس إلى الكوفة، وإذا بفارس أحسن النَّاس وجهاً قد علّق في لبب فرسه رأسَ غلامٍ أمردٍ كأنّه القمرُ ليلة تمّه، والفرس يمرح، فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض، فقلت: رأسُ مَنْ هذا؟ قال: رأس العباس بن علي. قلت: ومَنْ أنت؟ قال: حرملة بن الكاهل الأسدي ^(٢).

قال: فلبت أياًماً وإذا بحرملة وجهه أشدّ سواداً من القار، فقلت: رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنظر وجهاً منك، وما أرى اليوم أقبح ولا أسود وجهاً منك؟! فبكي، وقال: واللّه، منذ حملت الرأس وإلى اليوم ما تمرّ عليّ ليلةً إلا واثنان يأخذان بضبعي، ثمّ ينتهيان بي إلى نارٍ تُوجّج، فيدفعاني فيها وأنا أنكص، فتسفعني كما ترى، ثمّ مات علي أقبح حال ^(٣).

(١) مقاتل الطالبين / ٧٩. الأصبغ هنا ابن نباتة؛ لأنّ بني مجاشع بطرّ من حنظلة من تميم كما في نهاية الإرب للقلقشندي / ٣٣٤، والأصبغ بن نباتة حنظليّ تميميّ كما نصّ عليه ابن حجر في تهذيب التهذيب / ١ / ٣٦٢.

(٢) في تاريخ الطبري ٤ / ٣٥٩: حرملة بن الكاهن، وفي الفصول المهمّة لابن الصباغ / ٨٤٥: حرملة بن الكاهل. والأمر سهل.

(٣) تذكرة الخواصّ / ٢٩١.

ويمنع الإذعان بما في الروايتين من تعريف المقتول بأنه العباس بن علي ؑ، عدم الالتئام مع كونه شاباً أمرد؛ فإنّ للعباس يوم قتله أربعاً وثلاثين سنة، والعادة قاضية بعدم كون مثله أمرد، ولم ينصّ التاريخ على كونه كقيس بن سعد بن عبادة لا طاقة شعر في وجهه.

وفي دار السلام للعلامة التّوري ج ١ ص ١١٤، والكبريت الأحمر ج ٣ ص ٥٢ ما يشهد للاستبعاد، واصلاحه كما في كتاب (قمر بني هاشم) ص ١٢٦، بأنّه رأس العباس الأصغر، بلا قرينة، مع الشكّ في حضوره الطّفّ وشهادته، وهذا كاصلاحه بتقدير المقتول: (أخ العباس) المنطبق على عثمان الذي له يوم قتله إحدى وعشرين سنة، أو محمّد بن العباس المُستشهد على رواية ابن شهر آشوب؛ فإنّ كلّ ذلك من الاجتهاد البحث.

ولعلّ النظرة الصادقة فيما رواه الصدوق، مُنضمّاً إلى رواية ابن جرير الطبري، تُساعد على كون المقتول حبيب بن مظاهر.

قال الصدوق: وبهذا الإسناد عن عمرو بن سعيد، عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة، قال: قدم علينا رجل من بني أبان بن دارم ممّن شهد قتل الحسين ؑ، وكان رجلاً جميلاً شديد البياض، فقلّث له: ما كدت أعرفك لتغيّر لونك! قال: قتلث رجلاً من أصحاب الحسين، يُبصرُ بين عينيه أثر السّجود، وجئت برأسه.

فقال القاسم: لقد رأيتُه على فرس له مرح وقد علّق الرأس بلبانه، وهو يُصبيه بركبتيه، قال: فقلّث لأبي: لو أنّه رفع الرأس قليلاً، أما ترى ما تصنع به الفرس بيديها؟! فقال: يا بُني، ما يُصنع به أشدّ؛ لقد حدّثني، قال: ما نمثُ ليلَةً منذ قتلتهُ إلاّ أتاني في منامي

حتى يأخذ بكفني فيقودني، ويقول: انطلق. فينطلق بي إلى جهنم فيُقَدَّف بي، فأصيح.
قال: فسمعتُ جارةً له قالت: ما يدعنا ننام شيئاً من الليل من صياحه. قال: فقمْتُ في
شبابٍ من الحيِّ فأتينا امرأته فسألناها، فقالت: قد أبدى على نفسه، قد صدقكم^(١).
وقد اتفقت هذه الروايات الثلاث في الحكاية عن القاسم بن الأصبع بن نباتة بما فُعل
بالرأس الطاهر؛ وثفيدنا رواية الصدوق أنّ المقتول رجلاً لا شاباً، وأنّه من أصحاب الحسين
عليه السلام، ولا إشكال فيه، وإذا وافقنا ابن جرير على أنّ الرأس المعلق هو رأس حبيب بن مظاهر
- في حين أنّ المؤرّخين لم يذكروا هذه الفعلة بغيره من الرؤوس الطاهرة - أمكننا أن ننسب
الاشتباه إلى الروايتين السابقتين؛ خصوصاً بعد ملاحظة ذلك الاستبعاد بالنسبة إلى العباس،
وتوقّف التصحيح فيهما على الاجتهاد بلا قرينة واضحة.

قال ابن جرير في ج ٦ ص ٢٥٢ من التاريخ: وقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه رجلٌ من
بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله، وكان يُقال له: بدليل بن صريم من بني عقفان،
وحمل عليه آخر من بني تميم فطعنه فوقه، فذهب ليقوم فضربه الحُصين بن تميم على رأسه
بالسيف فوقه، ونزل إليه التميمي فاحتزّ رأسه، فقال له الحُصين: إني لشريكك في قتله. فقال
الآخر: والله، ما قتله غيري. فقال الحُصين: أعطينه أعقله في عُنق فرسي كيما يرى الناس
ويعلموا أنّي شركت في قتله، ثمّ خذه أنت بعد فامض به إلى

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق / ٢١٩.

عبيد الله بن زياد، فلا حاجة لي فيما تُعطاه على قتلِكَ إِيَّاه. فأبى عليه، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فرفع إليه رأس حبيب بن مظاهر، فجال به في العسكر، قد علّقه في عُنق فرسه، ثُمَّ دفعه بعد ذلك إليه، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخرُ رأس حبيبٍ فعَلّقه في لبان فرسه، ثُمَّ أقبل به إلى ابن زياد في القصر، فبصر به ابنه القاسم بن حبيب - وهو يومئذ قد راهق - فأقبل مع الفارس لا يُفارقه، كُلِّمًا دخل القصر دخل معه، وإذا خرج خرج معه، فارتاب به، فقال: ما لك يا بُنيّ تتبعني؟! قال: لا شيء. قال: بلى يا بُنيّ أخبرني. قال له: إنّ هذا الرأس الذي معك رأس أبي، أفثعطينيه حتّى أدفنه؟ قال: يا بُنيّ، لا يرضى الأمير أن يُدفن، وأنا أريد أن يُثيبني الأميرُ على قتله ثواباً حسن. قال له الغلام: لكنّ الله لا يُثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب. أما والله، لقد قتلته خيراً منك. وبكى.

فمكث الغلام، حتّى إذا أدرك لم تكن له همّةٌ إلاّ أتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرّة فيقتله بأبيه، فلما كان زمان مصعب بن الزبير، وغزا مصعب (باجمير) دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرّته، فدخل عليه وهو قاتل نصف النهار، فضربه بسيفه حتّى برد^(١).

نعم، في رواية الصدوق أنّ القاسم يسأل أباه عمّا يفعله الفرس بالرأس، فيقول: قلتُ لأبي: لو أنّه رفع الرأس... إلى آخره.

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٣٥.

وهو يدلّ على حياة الأصبغ ذلك اليوم، وعليه فلم يعرف الوجه في تأخّره عن حضور
المشهد الكريم، مع مقامه العالي في التشييع، وإخلاصه في الموالاتة لأمير المؤمنين وولده
المعصومين عليهم السلام! ومشاهدته هذا الفعل من الطاغية يدلّ على عدم حبسه عند ابن زياد
كباقي الشيعة الخُلص، ولا يخرج عنه إلاّ بالوفاة قبل تلك الفاجعة العظمى، كما هو الظاهر
مما ذكره أصحابنا عند ترجمته؛ من الثناء عليه، والمبالغة في مدحه، وعدم الغمز فيه.

فتلك الجملة: (قلت لأبي). لا يُعرف من أين جاءت، ولا غرابة في زيادتها بعد طعن
أهل السنّة فيه كما في اللآلئ المصنوعة ج ١ ص ٢١٣؛ فإنّه بعد أن ذكر حديث الأصبغ بن
نباتة عن أبي أيوب الأنصاري، أمّهم أمرؤا بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين مع علي
عليه السلام، قال: لا يصحّ الحديث؛ لأنّ الأصبغ متروك، لا يساوي فلساً^(١).

وفيه ص ١٩٥، ذكر عن ابن عباس حديث الرّكبان يوم القيامة؛ رسول الله صلى الله عليه وآله وصالح،
وحمزة وعلي عليهم السلام، قال: رجال الحديث بين مجهول، وبين معروفٍ بعدم التّقة^(٢).

(١) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١ / ٣٧٤، ونصّ العبارة: لا يصحّ، وأصبغ متروك لا
يساوي فلساً.

(٢) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ٤ / ٣٤٤، ونصّ العبارة: رجاله فيهم غير واحد
مجهول، وآخرون معروفون بغير التّقة.

ولقد طعنوا في أمثاله من خواصّ الشيعة بكُلِّ ما يتسنى لهم، وما ذُكر في تراجمهم يشهد لهذه الدعوى، ولا يتحمّل هذا المختصر التبسّط في ذكره، ومراجعة ما كتبه السيّد العلامة محمّد بن أبي عقيل في (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل) ص ٤٠، في الباب الثاني فيه كفاية؛ فإنّه ذكر جملةً من أتباع أهل البيت عليهم السلام طعنوا فيهم بلا سبب، إلاّ لموالاة أمير المؤمنين وولده عليهما السلام.

كُنْيَتُهُ:

اشتهر أبو الفضل العباس عليه السلام بكُنْيَ وألقاب، وُصف ببعضها في يوم الطَّفِّ، والبعض الآخر كان ثابتاً له من قبل؛ فَمِنْ كُنَاه: أبو قَرْبَةَ^(١)؛ لحملة الماء في مشهد الطَّفِّ غير مرّة، وقد سُدَّت الشرائع ومُنِع الورد على ابن المصطفى صلى الله عليه وآله وعياله، وتناصرت على ذلك أحلاف الكوفة، وأخذوا الاحتياط اللازم، ولكن أبا الفضل لم يرعه جمعهم المتكاثف، ولا أوقفه عن الإقدام تلك الرِّمَاح المُشْرَعَة، ولا السيوف المُجَرَّدَة، فجاء بالماء وسقى عيال أخيه وصحبه.

ولم ينصّ المؤرِّخون وأهل النَّسب على كُنْيَتِه بأبي القاسم؛ إذ لم يذكر أحدٌ أنّ له ولداً اسمه القاسم، نعم خاطبه جابر الأنصاري في زيارة الأربعين بها، قال: السَّلام عليك يا أبا القاسم، السَّلام عليك يا عباس بن علي^(٢). وبما أنّ هذا الصحابي الكبير المُتَرَبِّي في بيت النَّبِوة والإمامة خبيرٌ بالسَّبب الموجب لهذا الخطاب، فهو أدري بما يقول.

(١) تهذيب الكمال للمزي ٢٠ / ٤٧٩، شرح إحقاق الحقّ ٣٢ / ٦٧٩.

(٢) بحار الأنوار ٩٨ / ٣٣٠.

وقد اشتهر بكُنْيَتِهِ الثالثة (أبي الفضل)؛ من جهة أنّ له ولداً اسمه الفضل^(١)، وكان حريّاً بها؛ فإنّ فضله لا يخفى، ونوره لا يطفى.

ومن فضائله الجسم نعرف أنّه ممّن حُبس الفضل عليه ووقف لديه؛ فهو رضيع لبانه، وركنٌ من أركانه، وإليه يُشير شارح ميمية أبي فراس:

بذلت أيا عباسُ نفساً نفيسةً لنصرِ حُسينِ عزَّ بالنصرِ من مثلِ
أبيت التذاذ الماءِ قبل التذاذِهِ فحُسنُ فعّالِ المرءِ فرغَ عن الأصلِ
فأنت أخو السبطينِ في يوم مَفْخَرِ وفي يومِ بذلِ الماءِ أنتَ أبو الفضلِ^(٢)

(١) الجريدة في أصول أنساب العلويين / ٣١٨.

(٢) أعيان الشيعة ٩ / ٢٥٩.

اللَّقَبُ:

اشتهر بين العامة والخاصة بأنه سلام الله عليه باب الحوائج؛ لكثرة ما صدر منه من الكرامات وقضاء الحاجات، ومن هنا قيل فيه^(١):

لِلشُّوسِ عَبَّاسٌ يُرِيهِمْ وَجْهَهُ وَالوَفْدُ يَنْظُرُ بِاسْمِهَا مُتَحَاجِّهَا
بَابُ الْحَوَائِجِ مَا دَعَتْهُ مَرُوعَةٌ فِي حَاجَةٍ إِلَّا وَيَقْضِي حَاجَهَا
بِأَبِي أَبِي الْفَضْلِ الَّذِي مِنْ فَضْلِهِ أَلْ سَامِي تَعَلَّمَتِ الْوَرَى مِنْهَا حَاجَهَا

وقيل له: (قمر بني هاشم)^(٢)؛ لوضاءته وجمال هيئته، وأن أسرته وجهه تبرق كالبدر المنير، فكان لا يحتاج في الليلة الظلماء إلى ضياء.

وأما (الشهيد)، فلم ينص عليه أحدٌ إلا أنه الظاهر من عبارات أهل النسب؛ ففي المُجدي لأبي الحسن العمري، قال - بعد ذكر أولاده -: هذا آخر نسب بني العباس الشهيد السقا، ابن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣).

(١) من قصيدة لسيد الذاكرين السيد صالح الحلبي رحمته.

(٢) مقاتل الطالبين / ٥٦، مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢٥٦، بحار الأنوار ٤٥ / ٣٩.

(٣) المُجدي في أنساب الطالبين / ٢٤٣.

وفي سرّ السلسلة لأبي نصر البخاري: والشهيد أبو الفضل العباس بن علي، أمّه أمّ البنين^(١). ثمّ روى عن معاوية بن عمّار الزيدي، قال: قُلْتُ للصادق عليه السلام: كيف قَسَمْتُمْ نَحْلَةَ فِدْكَ بعد ما رجعت عليكم؟ قال: «أَعْطَيْنَا وُلْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الشَّهِيدِ الرَّبِيعَ، وَالْبَاقِي لَوْلِدِ فَاطِمَةَ، فَأَصَابَ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ أَرْبَعَةٌ أَسْهَمٍ، الْحَصَّةُ أَرْبَعَةٌ نَفَرًا، وَرَثُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٢).

وكان الحريري بأرباب المقاتل والنسب أن يُدَوّنوا له هذا اللقب المُعرب عن اسمي منزلة له، وهو (العبدُ الصالح)، كما خاطبه الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة المخصوصة به التي رواها أبو حمزة الثمالي، حيث يقول عليه السلام: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ»^(٣).

فإنّك جدّ عليهم بأنّ هذه الصفة أرقى مراتب الإنسان الكامل؛ لأنّها حلقة الوصل بين المولّى والعبد، وأفضل حالات أيّ فاضل، حيث يجد نفسه الطرف الرابط لموجد كيانه جلّ وعلا، وإنّ من أكمل مراتب الوجود فيما إذا التأمّ المُتتهى مع المبدأ بنحو الصلّة، وهذا لا يكون إلّا إذا بلغ العبدُ أرقى مراتب الإنسانيّة التي تلحقه بعالم البساطة، وتنتهي به إلى صقع التجرد، فتؤهّله لأنّ يتصل

(١) سرّ السلسلة العلوية / ٨٨.

(٢) سرّ السلسلة العلوية / ٨٩.

(٣) كامل الزيارات / ٤٤٠.

والم يُلقبوه بذلك؛ لأنّ هذا المعنى صفةٌ وليست اسماً يُجعل لقباً لشخصٍ، وأهل السيرة غرضهم من ذكر الألقاب التمييز، لا إطلاق الأوصاف، فتدبّر.

بالمبدأ الأعلى، فلو فقد الإنسان تلك المثالمة، دَحَرَهُ عن حضيرة القداسة انقطاع
التسبية، وتُعدُّ المرمى، وشسوع المسافة.

ولا نعني بهذه المرتبة أن يكون العبدُ مُواظباً على العبادات البسيطة المُسقطَة للخطاب،
والرافعة للتعزير فحسب، وإنما نقصدُ منه ما إذا عبدَ اللهَ سبحانه حقَّ عبادته النَّاشئة عن فقهه
وبصيرته، ومعرفةِ بالمعبود الذي يجبُ أن يُعبد، من دون لحاظِ مَثُوبَةٍ أو عقوبةٍ حتَّى يكون
المولى هو الذي يُسمِّيهِ عبداً له، ويصافقه على تصديق دعواه بالعبودية له. وما أسعد العبد
حيث يُبصر ما بيده من سلك الطاعة، ويعرف أن مولاة قابضٌ على طرفه الآخر، تُزَلِّفه إليه
جاذبة الصلة، وأشعة القرب!

وعلى ما قلناه كانت هذه المرتبة عند الأنبياء ﷺ أرقى مراتبهم، وأرفع منصاتهم؛ لأنَّ
طرف عبوديتهم أَمنع وأشرف من طرف رسالتهم، فالطرف الأعلى في العبودية (مبدأ الحقِّ
سُبْحانه وتعالى)، والطرف الأسفل منتهى إلى شخص النَّبيِّ ﷺ، وأما التَّبوَّة فمبدؤها الرسول
ومنتهاها الأُمَّة^(١).

ولولا أن هذه الصفة أسمى الصفات التي يتَّصف بها العبدُ، لما حصَّ الله تعالى أنبياءه بها،
فقال سبحانه: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ)^(٢).

(١) لكن حقيقة الرسالة راجعة إلى العبودية وداخلية في ضمنها، فهي منها وبها وإليها. نعم، مانعية الرسالة
من جهة اشتغال الرسول بتبليغ الرسالة، والدخول في عالم الكثرة، وهذا فيه نوعٌ حُجبٍ على النور الصافي فيما لو
انقطع مع الله، ولكنه بالتالي عبادة أقل من غيره، فتدبّر.

(٢) سورة البقرة / ٢٣.

وقال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) (١).

وقال عزّ شأنه: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّمَيِّ الْجُمُعَانِ) (٢).

وقال جلّ وعلا: (وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (٣).

وقال تعالت أسماؤه: (وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (٤).

وقال عزّ سبحانه: (وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ) (٥).

وقال عظم ذكره: (وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) (٦).

وقد كان في وسع المولى تعالت أسماؤه أن يقول في خطاب نبيّه الكريم ﷺ: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى رَسُولِنَا، وَنَحْوَهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَلَكِنْ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُ اللَّهِ وَصْفِيهِ مُتَجَرِّدًا عَمَّا يَحْجِبُهُ عَنِ مُشَاهَدَةِ الْمُهَيْمِنِ سُبْحَانَهُ، فَانِيًّا فِي سَبِيلِ خِدْمَةِ الْمَوْلَى، لَا يَرَى فِي الْوُجُودِ غَيْرَ مَنْشِئِ الْأَكْوَانِ؛ اسْتَحَقَّ أَنْ يَهَبَهُ الْبَارِئُ تَعَالَى أَرْقَى صِفَةِ تَلِيْقٍ بِهَذَا الْمَقَامِ.

(١) سورة الأسراء / ١

(٢) سورة الأنفال / ٤١.

(٣) سورة ص / ١٧.

(٤) سورة ص / ٣٠.

(٥) سورة ص / ٤٥.

(٦) سورة ص / ٤١.

ومن هنا نرى الرسول المسيح قدّم عبوديته على رسالته، فقال: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي
الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) ^(١).

وأنت لا تفتأ في جميع الفرائض والتوافل في اليوم والليل تشهد بأنّ محمداً عبده ورسوله،
ولم تقل: خاتم الأنبياء، أو علّة الكائنات، أو سرّ الموجدات، أو حبيب الله وصفيه، مع أنّها
صفات لا تليق إلاّ بذاتٍ اشتقت من نور القدس، ولكنك عرفت أنّ اسمي هذه الصفات،
وأجلّ ما يليق بالعبد حال اتصاله بالمبدأ الأعلى، هو وصفه بالعبودية لمولاه.

ومن هنا ظهر لنا إنّ من أجلى الحقائق، وأرقى مراتب الفضل الذي لا يُخلق إليه طائر
الفكر، ولا يُدرك مداه أيُّ تصوّرٍ، غير أنّ من الواجب التصديق به على الجملة، هو وصف
سيدنا العباس عليه السلام بهذه الصفة الكاملة (العبد الصالح)، التي أضافها الله تعالى إلى أنبيائه
ومبلّغي شريعته، وأمنائه على وحيه، ومنحه بها الإمام الصادق عليه السلام.

(١) سورة مريم / ٣٠.

السَّقَا:

الماء حياة العالم، وليست حاجة أي جزء من أجزائه أمسّ من الآخر، فلا جزء ولا جُزْيء في الكون إلّا وهو خاضع له في وجوده، وفي نشوئه وبقائه، وقد أعرب عنه سبحانه بقوله: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا)^(١).

وإليه استند ابن عباس في حلّ لغز ملك الروم؛ فإنّه وجّه إلى معاوية قارورة يطلب منه أن يضع فيها من كلّ شيء، فتحيّر معاوية واستعان بابن عباس في كشف الرمز؛ لعلمه بأنّه يستقي من بحر أمير المؤمنين عليه السلام المتموّج بالحكم والأسرار، فقال ابن عباس: لتملأ له ماء؛ فإنّ الله يقول: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا) . فأدهش ملك الروم وتعجّب، وقال: لله أبوه، ما أدهاه^(٢)! فلا يخالج اليقين بأهميته الكبرى في دور الحياة أي شكّ.

وإنّ من يكون معروفه الذي تندى به أنامله، وتسوقه إليه جبلته، هذه المادّة الحيوية، لعلّى جانب ممنع من الفضل، وقد عرقت فيه وشائج الرّقّة، وتحلّى بغريزة العطف، ونبض فيه عرق الحنان، ولا يكون إسداءً مثله إلّا عن لينٍ ورأفةٍ على الوجود، وإنّ تفاوتت المراتب بالنسبة إلى الموجدات الشريفة وما دونه، ولا

(١) سورة الأنبياء / ٣٠ .

(٢) الكامل للمبرد ١ / ٣٠٨، والعبارة فيها تقدم وتأخير.

يعدو الشرف والشهامة هذا المفضل بسر الحياة؛ فهو شريفٌ يُحِبُّ الإبقاء على مثله، أو عطوفٌ لا يجدُ على الإغاثة مَنَةً، ولا على قدرته في الإعانة لسائر الموجودات جهداً ولا عطباً.

وإذا كانت الشريعة المُطَهَّرَة حثت على السقاية ذلك الحث المتأكد، فإنما تلت على الناس أسطراً نوريةً مما جُبلوا عليه، وعَرَفَت الأمة بأنَّ الدين يُطابق تلك النفسيات البشرية والغرائز الطبيعية، وأرشدتهم إلى ما يكون من الثواب المترتب على سقي الماء في الدار الآخرة؛ ليكونوا على يقينٍ من أن عملهم هذا موافقٌ لرضوان الله وُزلفى للمولى سبحانه، يستتبع الأجر الجزيل، وليس هو طبيعياً محضاً؛ وهذا ما جاء عن النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، من فضل بذل الماء في محل الحاجة إليه وعدمها، [سواء] كان المحتاج إليه حيواناً أو بشراً، مؤمناً كان أو كافراً.

ففي حديث النبي ﷺ: « أفضلُ الأعمال - عند الله - إيرادُ الكبدِ الحَرِيّ »^(١). من بهيمة وغيرها ولو كان على الماء؛ فإنه يوجب تناثر الذنوب كما ينتثر الورق من الشجر^(٢)، وأعطاه الله بكلِّ قطرة يبيدها قنطاراً في الجنة، وسقاه من الرحيق المختوم، وإن كان في قلاة من الأرض ورد حياض القدس مع التَّيِّبِينَ^(٣).

(١) بحار الأنوار ٧١ / ٣٦٩.

(٢) تذكرة الموضوعات للفتني / ١٤٧.

(٣) مستدرک الوسائل للنوري ٧ / ٢٥٣.

وسأله رجل عن عمل يُقرّبه من الجنّة، فقال ﷺ: « اشترِ سقاءً جديداً ثم اسقي فيه حتى تخرقها؛ فإنك لا تخرقها حتى تبلغ به عمل الجنّة »^(١).

وقال الصادق عليه السلام: « من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيى نفساً، ومن أحيى نفساً فكأنما أحيى الناس أجمعين »^(٢).

وقد دلّت هذه الآثار على فائدة السقي بما هو حياة العالم ونظام الوجود؛ ومن هنا كان الناس فيه شرعاً سواء، كالكلاء والنار، فلا يختصّ اللطف منه جلّ وعلا بطائفة دون طائفة. وقد كشف الإمام الصادق عليه السلام السرّ في جواب من قال له: ما طعم الماء؟ فقال عليه السلام: « طعم الحياة »^(٣).

فالسقاية أشرف شيء في الشريعة المطهّرة، تلك أهميتها عند الحقيقة، ومكانتها من النفوس؛ ولهذا الأهمية ضرب المثل بـ (كعب بن مامة الإيادي)^(٤). وأضحت السقاية العامّة لا ينوء بعينها إلا من حلّ وسطاً من السؤدد والشرف، وأعالى الأمم لا ساققتها؛ ولذا أذعنت قريش لقصي بسقاية الحاجّ، فكان يطرح الزيب في الماء ويسقيهم الماء المحلّى كما كان يسقيهم اللبن^(٥).

(١) الأمالي للشيخ الطوسي / ٣١٠، الكافي للكليبي / ٤ / ٥٧، ح ٣، من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق / ٢ / ٦٤.

(٢) المعجم الكبير للطبراني / ١٢ / ٨٢، مجمع الزوائد للهيثمي / ٣ / ١٣٢.

(٣) الكافي / ٦ / ٣٨١، ح ٧، مناقب آل أبي طالب / ٢ / ٢٠٣.

(٤) الأعلام للزركلي / ٥ / ٢٢٩، معجم البلدان للحموي / ٣ / ٢٦٦.

(٥) السيرة الحليّة / ١ / ٢١.

وكان ينقل الماء إلى مكة من آبار خارجها، ثم حفر بئراً اسمها (العجول) في الموضع الذي كانت دار أم هاني فيها، وهي أول سقاية حُفرت بمكة، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا:

نُروي على العجول ثم ننتلق إن قصياً قد وفى وقد صدق^(١)
ثم حفر قصي بئراً سماها (سجلة)، وقال فيها^(٢):

أنا قصي وحفرت سجلة تروي الحجاج زغلة زغلة
وكان هاشم أيام الموسم يجعل حياضاً من آدم في موضع زمزم لسقاية الحاج، ويحمل الماء إلى منى لسقايتهم، وهو يومئذ قليل^(٣). ثم إنه حفر بئراً سماها (البندر)^(٤)، وقال: إنَّها بلاغ للناس، فلا يُمنع منها أحداً^(٥).

وأما عبد المطلب، فقد قام بما كان آباؤه يفعلونه من سقاية الحاج، وزاد على ذلك أنه لما حفر زمزم وكثر ماؤها أباحها للناس، فتركوا الآبار التي كانت خارج مكة؛ لمكانها من المسجد الحرام، وفضلها على من سواها؛ لأنَّها بئر إسماعيل^(٦)، وبني عليها

(١) مُعجم البلدان ٤ / ٨٨، فتوح البلدان للبلاذري ١ / ٥٦، سبل الهدى والرشاد ١ / ٢٧٥.

(٢) مُعجم ما استعجم للأندلسي ٣ / ٧٢٤.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ٢٢.

(٤) مُعجم البلدان ١ / ٣٦١، تاج العروس ٦ / ٦٨، وقال، قالوا: هو من التبذير، وهو التفريق، فلعل ماءها كان يخرج مُتفرقاً من غير مكان واحد.

(٥) في مُعجم البلدان ١ / ٣٦١، ومُعجم ما استعجم ١ / ٢٣٥، وقال حين حفره:

أنبطت بذراً بماء قلاس جعلت ماءها بلاغاً للناس!

(٦) تاريخ الطبري ٢ / ١٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٢، سيرة ابن إسحاق ٥ / ٥١، السيرة الحلبية ١ / ٥١.

حوضاً، فكان هو وابنه الحرث ينزعان الماء ويملأان الحوض، فحسدته قريش على ذلك، وعمدوا إلى الحوض بالليل فكسروه، فكان عبد المطلب يُصلحه بالتهار وهم يكسرونه بالليل، فلمّا أكثروا عليه إفساده دعا عبد المطلب ربّه سبحانه وتعالى، فرأى في المنام قائلاً يقول: « قُلْ لِقْرِيشِ إِنِّي لَا أَحُلُّهَا لِمُغْتَسِلٍ، وَهِيَ لِشَارِبٍ حَلٌّ وَبَلٌّ ». فنادى في المسجد بما رأى، فلم يفسد أحد من قريش حوضه إلّا زُمي بداء بجسده حتّى تركوا حوضه وسقايته^(١)، وفي ذلك يقول خويلد بن أسد^(٢):

أَقُولُ وَمَا قَوْلِي عَلَيْهِمْ بِسُبَّةٍ إِلَيْكَ ابْنُ سَلَمَى أَنْتَ حَافِرٌ زَمَزَمَ
خَفِيرُهُ إِبْرَاهِيمَ يَوْمَ ابْنِ هَاجِرٍ وَرَكْضَةَ جَبْرِيلَ عَلَى عَهْدِ آدَمَ

ولمّا وافق قريشاً على المحاكمة عند كاهنة بني سعد بن هذيم، وكان بمشارف الشام، وسار عبد المطلب بمن معه من قومه، حيث إذا كانوا بمفازة لا ماء فيها ونفذ ماؤهم استسقوا ممن كان معهم من قريش، فأبوا أن يسقوهم؛ حفظاً على الماء، فأمر عبد المطلب أصحابه أن يحفروا قبوراً لهم، ويُدفن من يموت منهم عطشاً في حفرته ويبقى واحد؛ فضيعة واحد أيسر من ضيعة جماعة، وبعد أن فرغوا من الحفر، قال عبد المطلب: إنّ هذا منّا لعجّز، لنضربن في الأرض عسى الله أن يرزقنا ماءً.
فركب راحلته،

(١) المُصنّف للصنعاني ٥ / ١١٤، تاريخ اليعقوبي ١ / ٢٤٧، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٣٣٨، شرح نصح البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ / ٢١٦، السيرة النبوية لابن كثير ١ / ١٧٣، السيرة الحلبية ١ / ٥٧.
(٢) شرح نصح البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ / ٢١٧، معجم البلدان للحموي ٣ / ١٤٩، شبل الهدى والرشاد للصالحى الشامى ١ / ١٩١.

فلما انبعث نبع من تحت خفها ماءً عذب، فكبر عبد المطلب، وشرب أصحابه وملئوا أسقيتهم، ودعا قريشاً أن يستقوا من الماء، فأكثروا منه، ثم قالوا: إن الله قد قضى لك علينا، ولا نخاصمك في زمزم، إن الذي سقاك في هذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم، فارجع راشداً. وزاد عبد المطلب في سقاية الحاج بالماء أن طرح الزبيب فيه، وكان يجلب الإبل، فيضع اللبن مع العسل في حوض من آدم عند زمزم، لسقاية الحاج^(١).

ثم قام أبو طالب مقامه بسقي الحاج^(٢)، وكان يجعل عند رأس كل جادة حوضاً فيه الماء ليستقي منه الحاج، وأكثر من حمل الماء أيام الموسم، ووفّر في المشاعر: فقيل له: (ساقى الحجيج).

أما أمير المؤمنين عليه السلام، فقد حوى أكثر مما حواه والده الكريم من هذه المكرمة، وكم له من موارد للسقاية لا يستطيع أحد على مثلها، وذلك يوم بدر وقد أجهد المسلمين العطش، وأحجموا عن امتثال أمر الرسول صلى الله عليه وآله في طلب الماء؛ فرقاً من قريش، لكن نهضت بأبي الريحانين غيرته السماء، وثار به كرمه المتدفق، فلبى دعاء الرسول صلى الله عليه وآله، وانحدر نحو القليب، وجاء بالماء حتى أروى المسلمين^(٣).

(١) السيرة الحلبية ١ / ٥٥، السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٩٤، السيرة النبوية لابن كثير ١ / ١٦٩، شبل الهدى والرشاد للصالحى الشامى ١ / ١٨٩، الكامل في التاريخ ٢ / ١٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ / ٢٢٩.

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ٥٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢ / ٨٠.

ولا يُنسى يوم صفين وقد شاهد من عدوه ما تندى منه جبهة كلِّ غيور؛ فإنَّ معاوية لما نزل بجيشه على الفرات، منع أهل العراق من الماء حتى كضَّهم الظمأ، فأنفذ إليه أمير المؤمنين (ع) صعصعة بن صوحان وشيث بن ربيعي، يسألانه أن لا يمنع الماء الذي أباحه الله تعالى لجميع المخلوقات، وكلَّهم فيه شرعٌ سواء، فأبى معاوية إلا التردِّي في الغواية والجهل، فعندها قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ارووا السيوف من الدماء ترووا من الماء»^(١). ثم أمر أصحابه أن يحملوا على أهل الشام حملة واحدة، فحمل الأشتر والأشعث في سبعة عشر ألفاً، والأشتر يقول:

مِعَاذَنَا الْيَوْمَ بِيَاضِ الصُّبْحِ هَلْ يَصْلُحُ الزَّادُ بَعِيرٍ مِلْحٍ؟
والأشعث يقول:

لَأُورِدَنَّ خَيْلِي الْفَرَاتَا شِعْتَ النَّوْصِي أَوْ يُقَالُ مَاَنَا
فلما أجلوهم أهلُ العراق عن الفرات ونزلوا عليه وملكوه، أبى صاحب النفسية المقدسة التي لا تعدوها أي مآثرة، أن يسير على نهج عدوه حتى أباح الماء لأعدائه، ونادى بذلك في أصحابه^(٢)، ولم يدعه كرم النفس أن يرتكب ما هو من سياسة الحرب من التضيق على العدو بأي صورة.

هذه جملة من موارد السقاية الصادرة من شرفاء سادة، مُتَبَوِّئِينَ عَلَى مَنْصَاتِ الْمَجْدِ
والخطر، مُتَّكِنِينَ عَلَى أَرَائِكِ الْعِزِّ

(١) مناقب آل أبي طالب ٢ / ٣٥١.

(٢) المعيار والموازنة للاسكافي / ١٤٦، الفتوح لابن أعثم الكوفي ٣ / ٥.

والمنعة، وما كانت تدعهم دماثة أخلاقهم وطهارته أعرافهم أن يكونوا مخلوفاً من هذه المكرمة؛ وقد افتخر بذلك عبد مناف على غيرهم. وأنت إذا استشففت الخصوصيات المكتنفة بكل منها، فإن الصراحة لا تدعك إلا أن تقول بتفاوت المراتب فيها من ناحية الفضيلة؛ كما لا تجد متدحفاً عن تفضيل الحسين عليه السلام على غيره يوم سقى الحز وأصحابه في (شراف) (١)، وهو عالم بمجاعة الموقف، ونفاذ الماء بسقي كتيبة فيها ألف رجل مع خيولهم، ووخامة المستقبل، وإن الماء غداً دونه تسيل التفوس وتشق المرائر، لكن العنصر النبوي والأصرة العلوية لم يتركا صاحبهما إلا أن يحوز الفضل.

وإني أحسب أن ما ناء به أبو الفضل عليه السلام في أمر السقاية لا يوازنه شيء من ذلك، يوم ناطح جبلاً من الحديد ببأسه الشديد حتى احترق الصفوف، وزعزع هاتيك الألوف، وليس له هم في ذلك المأزق الحرج، إلا إغاثة شخصية الرسالة المنتشرة في تلك الأمثال القدسية من الدرّة الطيبة، ولم تقتعه هذه الفضيلة حتى أبت نفسيته الكريمة أن يلتدّ بشيء من الماء قبل أن يلتدّ به أخوه الإمام عليه السلام وصبيته الأركياء.

(١) موضع، وقيل: ماءً لبني أسد. راجع لسان العرب ٩ / ١٧٤، ويذكر المؤرخون - كالطبري ٤ / ٣٠٢، وابن الأثير في الكامل ٤ / ٤٦ وغيرهما - إنه التقى مع جيش الحز بعد الخروج من (شراف).

هنالك حداه إيمانه المشفوع باليقين، وحنانه المرتبط بالكرم إلى أن ينكفىء إلى المُحَيِّم، ولا يحمل إلاّ مزادة من ماء يدافع عنها بصارمه الذّكر، ويزنيه المُثَقَّف، ولواءُ الحمد يرفّ على رأسه، غير أنّ ما يحمله هو أنفس عنده من نفسه الكريمة، بلحاظ ما يُريده من المحافظة على تلك المزادة الملاءى.

وراقه أنّ تكون هي الذخيرة الثمينة، مشفوعة بما هو أعظم عند الله تعالى، فسمح يمينه وشماله - وكلتاها يمنّ - أنّ تُقطعاً بعين الله في كلاءة ما يتهالك دونه؛ لينال الأمانة قبل المنيّة، وما خارت عزيمة العباس عليه السلام إلاّ حين أحبّ أنّ لو كانت المراقبة نفسه لا القرية. فيا أبعد الله سهماً أسال ماءها! ولم يكن (سعد العشيرة) طالباً للحياة بعده لو لم يأت العمود الطائش، ألا لعنة الله على الظالمين.

ومن أجل مجيئه بالماء إلى عيال أخيه وصحبه عليهم السلام في الأيام العشرة؛ سُمّي (السَّقّا). نصّ عليه أبو الحسن في المُجدي، والداودي في عمدة الطالب، وابن إدريس في مزار السّرائر، وأبو الحسن الديار البكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣١٧، والنّويري في نهاية الأرب ج ٢ ص ٣٤١، والشبلنجي في نور الأبصار ص ٩٣، والعلامة الحجة محمّد باقر القايي في الكبريت الأحمر ج ٢ ص ٣٤^(١).

(١) عمدة الطالب لابن عنبه / ٣٥٦، مقاتل الطالبين / ٥٥، الأنوار العلوية للنقدي / ٤٤١، السّرائر / ١

ولصاحب هذا اللقب فيوضاتٌ على الأمة لا تُحَدُّ، وبركاتٌ لا تُحصَرُ.
هو البَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاجِي أَيْتَهُ فَلَجَّئُهُ الْمَعْرُوفِ وَالْجُودِ سَاحِلُهُ
ومن ذلك ما ذكره العلامة السند السيد محمد ابن آية الله السيد مهدي القزويني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في
كتاب (طروس الإنشاء)، قال: في سنة ١٣٠٦ هـ انقطع نهر الحسينية، وعاد أهل كربلاء
يقاسون شحّة الماء وكضّة الظمّ، فأمرت الحكومة العثمانية بحفر نهر في أراضي السيد النقيب
السيد سلمان، فمنع النقيب ذلك، واتفق أن زرت كربلاء، فطلب أهلها أن أكتب إلى
النقيب، فكتبْتُ إليه ما يُشجّيه، وعلى حالهم يُكيه:
فِي كَرْبَلَا لَكَ عُصْبَةٌ تَشْكُوا الظَّمَأَ مِنْ فَيْضِ كَفِّكَ تَسْتَمِدُّ رِوَاءَهَا
وَأَرَاكَ يَا سَاقِي عِطَاشِي كَرْبَلَا وَأَبُوكَ سَاقِي الْحَوْضِ تَمْنَعُ مَاءَهَا^(١)
فأجاز النقيب حفر النهر، وانتفع أهل كربلاء ببركة هذا اللقب الشريف (السقا).

(١) نقل جزء من القصة السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة ١٠ / ٧٢.

نشأته:

مما لا شك فيه أنّ لِنفسيات الآباء ونزعاتهم، وكميَّاتهم من العلم والخطر، أو الانحطاط والضَّعة، دخلاً تاماً في نشأة الأولاد وتربيتهم، إن لم نقل إنّ مقتضاهما هو العامل الوحيد في تكيف نفسيَّات النَّاشئة بكيفيَّاتٍ فاضلة أو رذيلة، فلا يكاد يرتأي صاحب أيِّ خطَّة إلا أن يكون خَلْفُهُ على خطَّته، ولا أن الخلفَ يتحرَّى غير ما وجد عليه سلفه؛ ولذلك تجد في الغالب مشكلة بين الجيل الأوَّل والثاني في العادات والأهواء، والمعارف والعلوم، اللهمَّ إلا أن يسود هناك تطوُّرٌ يَكبح ذلك الاقتضاء.

وعلى هذا النَّاموس يسعنا أن نعرف مقدار ما عليه أبو الفضل عليه السلام من العلم والمعرفة وحسن التربية، بنشوئه في البيت العلوي مُنبثق أنوار العلم، ومحطُّ أسرار اللاهوت، ومختبأ نواميس الغيب، فهو بيتُّ العلم والعمل، بيتُّ الجهاد والورع، بيتُّ المعرفة والإيمان:

بَيْتٌ عَلا سَمَكَ الضَّرَاحِ رَفَعَةً فَكَانَ أَعْلَى شَرَفًا وَأَمْنَعًا
أَعَزُّهُ اللَّهُ فَمَا هَمَّ بِطُ فِي كَعَبْتَهُ الْأَمْلَاقُ إِلَّا خَضَعَا
بَيْتٌ مِنَ الْقُدْسِ وَنَاهِيكَ بِهِ مَحَطُّ أَسْرَارِ الْمُهْدَى وَمَوْضِعَا
وَكَانَ مَأْوَى الْمُرْتَجِي وَالْمُلْتَجِي فَمَا أَعَزَّ شَأْنُهُ وَأَرْفَعَا^(١)

(١) من قصيدة للعلامة السيّد محمد حسين الكيشوان رحمته الله.

وبسيف صاحب هذا البيت المنيع انجلت غواشي الإلحاد، وبيانه تقشّعت غيوم الشُّبّه والأوهام.

إذن، فطبع الحال يدلنا على أنّ سيّد الأوصياء عليه السلام لم يبع بابنه بدلاً في حُسن التربية الإلهية، ولا أنّ شطية الخلافة يروقه غير اقتصاص أثر أبيه الأقدس، فلك هاهنا أنّ تُحدّث عن بقية أمير المؤمنين عليه السلام في أيّ ناحية من نواحي الفضيلة، ولا حرج.

لم تكن كلّ البصائر في أبي الفضل عليه السلام اكتسابية، بل كان مُجتبلاً من طينة القداسة التي مزجها النور الإلهي حتى تكوّنت في صلب من هو مثال الحقّ، ذلك الذي لو كُشف عنه الغطاء ما ازداد يقيناً، فلم يصل أبو الفضل عليه السلام إلى عالم الوجود إلّا وهو معدن الذكاء والفضيلة، وأذن واعية للمعارف الإلهية، ومادة قابلة لصور الفضائل كلّها، فاحتضنه حجر العلم والعمل، حجر اليقين والإيمان، وعادت أرومته الطيبة هيكلًا للتوحيد، يُغذيه أبوه بالمعرفة، فتشرق عليه أنوار الملكوت وأسرار اللاهوت، وتهب عليه نسائم الغيب، فيستشق منها الحقائق.

دعاه أبوه عليه السلام في عهد الصبا وأجلسه في حجره، وقال له: « قُلْ واحد ». فقال: واحد. فقال له: « قُلْ اثنين ». قال: استحي أن أقول باللّسان الذي قُلْتُ واحداً، اثنان^(١). وإذا أمعنا النظر في هذه الكلمة - وهو على عهد نعومة من أظفاره، في حين أنّ نظراءه في السن لا يبلغون إلى ما هو دون ذلك الشأو البعيد - فلا نجد بُدّاً من البخوع بأنّها من أشعة تلك

(١) مُستدرک الوسائل ١٥ / ٢١٥، مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ١٧٩.

الإشراقات الإلهية، فما ظنك إذن حينما يلتقي مع المبادئ الفيّاضة من أبيه سيّد الوصيين
عليه السلام، وأخويه الإمامين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة، فلا يقتني من خزائن معارفهم إلاّ
كُلَّ دُرٍّ ثمين، ودُرِّيٍّ لامع؟!

وغير خفيّ ما أراده سيّدنا العباس عليه السلام، فإنّه أشار إلى أنّ الوجدانية لا تليق إلاّ بفاطر
السّموات والأرضين، ويجلّ مثله المتفرّع من دوح الإمامة أن يجري على لسانه النّاطق
بالوجدانية لباري الأشياء صفة تنزّه عنها سبحانه وتعالى، وعنهما ينطق كتابه المجيد: (**لَوْ كَانَ
فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**)^(١).

ومّا زاد في سرور أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أنّ زينب العقيلة كانت حاضرة حينذاك، وهي
صغيرة، فقالت لأبيها: أتحنّنا؟ قال: « بلى ». فقالت: لا يجتمع حُبّان في قلب مؤمن: حُبُّ
الله، وحُبُّ الأولاد، وإن كان ولا بُدّ فالحبّ لله تعالى والشفقة للأولاد. فأعجبه كلامها وزاد
في حُبّه وعطفه عليهما^(٢).

أمّا العلم، فهو رضيع لبانه، وناهيك في حجر أبيه مدرسة يتخرّج منها مثل أبي الفضل
عليه السلام! وما ظنك بهذا التلميذ المصاغ من جوهر الاستعداد، وذلك الأستاذ الذي هو عيبة
العلم الإلهي، وعلبة أسرار النّبوة، وهو المقيّض لنشر المعارف الربوبية، وتعلّم الأخلاق
الفاضلة، ونشر أحكام الإسلام، ودحض الأوهام والوساوس؟!

(١) سورة الأنبياء / ٢٢.

(٢) مقتل الحسين للحوارزمي ١ / ١٧٩ باختلاف الألفاظ، وفي مستدرک الوسائل ١٥ / ٢١٥ قال، وقيل:

بل القائل الحسين عليه السلام.

وإذا كان الإمام عليّ عليه السلام يُرَبِّي البُعداء الأجانب بتلك التربية الصحيحة الماثورة حتّى استفادوا منه أسرار التكوين، ووقفوا على غامض ما في الشّأئين، وكان عندهم بواسطة تلك التربية علم المنايا والبلاي، كحبيب بن مظاهر وميثم التّمّار، ورشيد الهجري وكميل بن زياد، وأمثالهم؛ فهل من المعقول أن يذر قرّة عينه، وفلذة كبده خلواً من أي علم؟! أو أنّ قابلية المحلّ ترى بأولئك الأفراد دون سيّدنا العباس عليه السلام؟

لا والله، ما كان سيّد الأوصياء عليه السلام يضمن بشيء من علومه، لا سيّما على قطعة فؤاده، ولا أنّ غيره ممّن انضوى إلى أبيه علم الهداية يشقّ له غباراً في القابلية والاستعداد. فهنالك التقى مبدأً قِيّاض، ومحلّ قابل للإفاضة، وقد ارتفعت عامّة الموانع؛ فذلك برهان على أنّ (عبّاس اليقين) من أوعية العلم، ومن الراسخين فيه.

ثمّ هلّمّ معي إلى جامعتين للعلوم الإلهيّة، ملازمتين للجامعة الأولى في نشر المعارف، وتقَيّضهما لإفاضة التعاليم الحقّة لكُلِّ تلميذ، والرُّبّي به إلى أوج العظمة في العلم والعمل، ألا وهما (كُلّيّتا) السّبطين الحسن والحسين عليهما السلام. وانظر إلى ملازمته لأخويه بعد أبيه سيّد الأوصياء عليه السلام، ملازمة الظلّ لذيّه، فهناك يتجلّى لك أنّ سماءَ علمهما لم تهطل وبالألّا وعاد لؤلؤاً رطباً في نفسه، ولا أنفقا شيئاً من ذلك الكنز الخالد إلّا وأنّخذه ثروة علميّة لا تنفد.

أضف إلى ذلك ما كان يرويه عن عقيلة بيت الوحي، زينب الكبرى، وهي العاملة غير المعلّمة بنصّ الإمام زين العابدين (ع)^(١).

وبعد هذا كُلّه، فقد حوى أبو الفضل من صفاء النَّفس والجليلة الطَّيبة، والعنصر الزاكي والإخلاص في العمل، والدَّؤوب على العبادة؛ ما يفتح له أبواباً من العلم، ويوقفه على كنوز المعرفة، فيتفرَّع من كُلِّ أصلٍ فرعٌ، وتتحلّ عنده المشكلات.

وإذا كان الحديث ينصّ على أنّ مَنْ أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه؛ إذن فما ظنّك بمن أخلص لله سبحانه طيلة عُمره، وهو مُتخلّ عن كُلِّ رذيلة، ومُتخلّ بِكُلِّ فضيلة، فهل يبقى إلاّ أنّ تكون ذاته المقدّسة متجلّية بأنوار العلوم والفضائل، وإلاّ أنّ يكون علمه تحقّقاً لا تعلّفاً؟! وبعد ذلك فما أوشك أنّ يكون علمه وجدانياً وإن برع في البرهنة وتنسيق القياس، ومن هنا جاء المأثور عن المعصومين عليهم السلام: «إنّ العباس بن علي زُقّ العلم زقّاً»^(٢).

وهذا من أبداع التشبيه والاستعارة؛ فإنّ الزُقّ يُستعمل في تغذية الطائر فرحه حين لم يقوَ على الغذاء بنفسه، وحيث استعمل الإمام عليه السلام - وهو العارف بأساليب الكلام - هذه اللفظة هنا، نعرف أنّ أبا الفضل عليه السلام كان محلّ القابليّة لتلقّي العلوم والمعارف منذ كان طفلاً ورضيعاً، كما هو كذلك بلا ريب.

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢ / ٣١.

(٢) أسرار الشهادة / ٣٢٤.

فلم يكن أبو الفضل يدعاً من أهل هذا البيت الطاهر الذي حوى العلم المتمدق منذ الصغر، كما شهد بذلك أعداؤهم، ففي الحديث عن الصادق عليه السلام: « إن رجلاً مرّ بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد، فسأله، فأمر له بخمسة دراهم، فقال له الرجل: أرشدني. قال عثمان: دونك الفتية الذين تراهم، وأوماً بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، فمضى الرجل نحوهم وسألهم، فقال له الحسن: يا هذا، المسألة لا تحل إلا في ثلاث: دمٌ مُفجع، أو دَيْنٌ مُفرح، أو فقرٌ مُدقع. أيتها تسأل؟ فقال: في واحدة من هذه الثلاث. فأمر له الحسن بخمسين ديناراً، والحسين بتسعة وأربعين ديناراً، وعبد الله بن جعفر بثمانية وأربعين، فانصرف الرجل ومرّ بعثمان، فحكى له القصة وما أعطوه، فقال له: ومن لك بمثل هؤلاء الفتية، أولئك فطموا العلمَ فطمأً، وحازوا الخير والحكمة ». قال الصدوق بعد الخبر: معنى (فطموا العلم): أي قطعوه عن غيرهم وجمعوه لأنفسهم^(١).

وجاء في الأثر، أنّ يزيد بن معاوية قال في حقّ السّجاد عليهم السلام: إنّه من أهل بيت زُقوا العلم زُقاً.

ومن أجل ذلك قال العلامة المحقق، الفقيه المولى، محمّد باقر ابن المولى محمّد حسن ابن المولى أسد الله ابن الحاج عبد الله ابن

(١) الخصال / ١٣٥ باختلاف في بعض الألفاظ.

الحاج علي محمد القائي، نزيل برجند، في كتاب الكبريت الأحمر ج ٣ ص ٤٥: إنَّ العباس من أكابر وأفاضل فقهاء أهل البيت، بل إنَّه عالمٌ غيرٌ مُتعلِّم، وليس في ذلك منافاة، لتعليم أبيه عليه السلام إياه.

وكان هذا الشيخ الجليل ثبناً في النُّقل، مُنقَّباً في الحديث، يشهد بذلك كبريته، تتلمذ عليه السلام في العراق على الفاضل الإيرواني، وميرزا حبيب الله الرشتي، والسيد الشيرازي، وفي خراسان على السيد مرتضى القائي، والعلامة محمد تقي البجنردي، وكان له أربعة وثلاثون مؤلِّف. ومن مُستطرف الأحاديث، ما حدَّثني به الشيخ العلامة ميرزا محمد علي الأردبادي، عن حُجَّة الإسلام السيد ميرزا عبد الهادي آل سيِّد الأمة الميرزا الشيرازي رحمته الله، عن العالم البارع السيد ميرزا عبد الحميد البجنردي، أنَّه شاهد في كربلاء المُشرفَةَ رجلاً من الأفاضل قد اغترَّ بعلمه، وبلغ من غلوائه في ذلك أنَّه كان في مُنتدى من أصحابه وجرى ذكر أبي الفضل عليه السلام، وما حمله من المعارف الإلهية التي امتاز بها على سائر الشُّهداء، فصاح الرجل بأفضليته على العباس، واستغرب من حضر هذه الجراءة، وانكروا عليه، ولاموه على هذه البادرة، فطفق الرجل يُبرهن على تميُّته بتعداد مآثره وعلومه، وما ينوء به من تجمُّد وتنقُّل وزهادة، وقال: إنَّ كان أبو الفضل العباس يفضل بأمثال هذه فعنده مثلها، والشهادة يوم الطَّفِّ لا تُقابل ما تحمله من العلوم الدينية وأصولها ونواميسها.

فقام الجماعة من المجلس، والرجل على ذلك الغرور والغلواء، غير نادمٍ ولا مُتهَيَّب. ولما أصبحوا لم يَكُنْ لهم هَمٌّ إلا معرفة خبر الرجل، وأتته هل بقي على غيِّه أو أنّ الهداية الإلهية شملته؟ فقصدوا داره وطرقوا الباب، فقيل لهم: إنّ الرجل في حرم العباس عليه السلام، فتوجّهوا إليه ليستبروا خبره، فإذا الرجل قد ربط نفسه في الضريح الأقدس بجبلٍ شدّ طرفه بعنقه، والآخر بالضريح، وهو تائب نادم ممّا فرّط.

فسألوه عن شأنه وخبره، فقال: لما نمثُ البارحة، وأنا على الحال الذي فارقتكم عليه، رأيت نفسي في مجتمع من أهل الفضل، وإذا رجل دخل النادي وهو يقول: إنّ أبا الفضل قادمٌ عليكم. فأخذ ذكره من القلوب مأخذاً حتّى دخل عليه السلام والنور الإلهي يسطع من أسارير جبهته، والجمال العلوي يزهر في محيّاها، فاستقرّ على كرسي في صدر النادي، والحضور كلّهم خاضعون لجلالته، وخصّصتني من بينهم رهبةً عظيمة، وفرقٌ مُقلق؛ لما أتدكره من تفريطي في جنب ولي الله، فطفق عليه السلام يُحيي أهل النادي واحداً واحداً حتّى وصلت التوبة إليّ.

ثمّ قال لي: ماذا تقول أنت؟ فكاد أن يرتجّ عليّ القول، ثمّ راجعت نفسي، وقلت: في المصارحة متدحاً عن الارتباك وفوراً بالحقيقة، فأنهيت إليه ما ذكرته لكم بالأمس من البرهنة. فقال عليه السلام: أمّا أنا فقد درستُ عند أبي أمير المؤمنين عليه السلام، وأخوي الإمامين الحسن والحسين عليه السلام، وأنا على يقين من ديني بما تلقّيته من مشيختي من الحقائق ونواميس الإسلام، وأنت شاكٌّ في دينك، شاكٌّ في إمامك، أليس الأمر هكذا؟ فلم يسعني إنكار ما يقوله.

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَمَّا شَيْخُكَ الَّذِي قَرَأْتَ عَلَيْهِ، وَأَخَذْتَ مِنْهُ فَهُوَ أَتَعَسَ مِنْكَ حَالًا، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ مِنْ أُصُولٍ وَقَوَاعِدٍ مَضْرُوبَةٍ لِلْجَاهِلِ بِالْأَحْكَامِ، يَعْمَلُ بِهَا إِذَا أَعْوَزَهُ الْوَصُولُ إِلَى الْوَاقِعِ، وَإِنِّي غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهَا؛ لِمَعْرِفَتِي بِوَاقِعِ الْأَحْكَامِ مِنْ مَصْدَرِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ.

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَفِي نَفْسِيَّاتٍ كَرِيمَةٍ، وَأَخَذَ يُعَدِّدُهَا: مِنْ كَرَمٍ وَصَبْرٍ، وَمَوَاسَاةٍ وَجِهَادٍ، إِلَى غَيْرِهَا، وَلَوْ قُسِّمَتْ عَلَى جَمِيعِكُمْ لَمَا أَمَكَّنَكَ حَمَلُ شَيْءٍ مِنْهَا. عَلَى أَنَّ فِيكَ مَلَكَاتٌ رَذِيلَةٌ؛ مِنْ حَسَدٍ وَمِرَاءٍ وَرِيَاءٍ.

ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ عَلَى فَمِ الرَّجُلِ، فَانْتَبَهَ فَرَعَا نَادِمًا، مُعْتَرِفًا بِالتَّقْصِيرِ، وَلَمْ يَجِدْ مُنْتَدِحًا إِلَّا بِالتَّوَسُّلِ بِهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ.

اليقين:

لقد كان أبو الفضل عليه السلام أحد الأفاضل العلوّيين الذين لم تكن المفخر مزايا زائدة على ذاتياتهم وإن مُدحوا بآثارها؛ لأنهم زبّد المخض، حازوا شرف النبوة وفضيلة الخلافة، تنضد بهم جمل العلم، وتعتدل موازين العمل، وتترنح بهم سهوات المنابر. فكان سلام الله عليه مُتربّعاً على منصّة المجد، ومِلءُ الندي هيبه، ومِلءُ العيون بهجة، ومِلءُ المسامع ذكره الجميل، ومِلءُ القلوب محبة، وحشو أهابه علم وعمل، وحشو الردى سؤدد وشرف.

وإنّ الإحاطة بما حواه من اليقين الثابت والبصيرة النافذة بأحد طريقين:

الأول: سبر أحواله، ومواقع إقدامه وإحجامه، ومواضع بطشه وأناته، وموارد صفحه وانتقامه. ولا بدّ أن يكون المُتقّب عند ذلك مُميّزاً بين مدارج الرأي ومساقط الخطل، بصيراً بمراقبي الحلم ومهاوي البطش.

والثاني: إخبار من وقف على ذلك بمباشرة وافية وعلم مُتّسع، تمّ شكله وظهر إنتاجه، أو تعليم إلهي، أو أخذ عمّن له صلة بذلك التعليم.

وغير خفيّ أنّ قمر بني هاشم مُلتقى ذينك الطرفين، في البصيرة واليقين، في دينه وعقله، في معارفه وأخلاقه، في حلّه

وارتجاله، وكان ينظر إلى جملة الأحوال بين البصيرة التي تخرق الحجب، وتُبصر ما وراءها من أسرار وخبايا، لا بناظر البصر الذي تحجبه الحواجز وتمنعه السدول، فيردّ عن الإدراك خاسئاً، فلا يكون أمر تهالك دونه إلاّ بعلم ثابت وبقين راسخ، وإيمان لا يشوبه شكٌّ؛ فإنّه:

سِرُّ أَبِيهِ وَهُوَ سِرُّ الْبَارِي مَلِيكَ عَرْشِ عَالَمِ الْأَسْرَارِ
وَارِثُ مَنْ حَازَ مَوَارِيثَ الرُّسُلِ أَبُو الْعُقُولِ وَالنَّفُوسِ وَالْمَثَلِ
وَكَيْفَ لَا وَذَاتُهُ الْقُدْسِيَّةُ بِجَمُوعَةِ الْفَضَائِلِ النَّفْسِيَّةِ

لقد كان أبو الفضل يعرف العراقيين ونزعات أهل الكوفة، منذ عهد أبيه وأخيه السبط الجتبي عليه السلام، بالتجارب الصحيحة، وإثمّ بجمعهم الأماني وتفرقتهم الرضائخ، ويُشاهد الأمويين وقوة سلطاتهم، وتوغّلهم في إراقة الدماء، وبطشهم في الناس، وطيشهم في الأمور، ويرى ضعف جانب (أبي الضبيم عليه السلام) وقلة أنصاره، وطبع الحال يحدو مثله إلى التحيّر إلى فئة أخرى، ولا أقلّ من التقاعد عن أيّ الفريقين، وما كان مثله لو سالم الأمويين لعدم ولاية أو قيادة لجيوشهم، أو عيشة راضية يقضي بها أيامه.

(لكنّ عباس اليقين) لم يكن له طمّع في شيء من حطام الدنيا، فلم يرقه إلاّ الالتحاق بأخيه سيّد الشهداء عليه السلام، موطناً نفسه الكريمة لأيّ كارثة أو شدة مؤلمة.

هذا والتكهن بمصير أمر الحسين عليه السلام في مسيره نصب عينه، والمعيبات الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، والمسموعات من أخويه الإمامين عليه السلام ملء أذنه، فلم يبرح مع (أخيه الشهيد عليه السلام) يفترع ربوه ويسفّ إلى وادٍ، لا يرى في هاتيك الثنايا والعقبات إلاّ تصديقاً

لما عرفه، وبقيناً بمنتهى أمره وغايته حتى بلغهم نبأ فاجعة مسلم بن عقيل، فعرف القوم انشبال الكوفيين عن الحق ورضوخهم إلى حكم الطاغية، هنالك خارت العزائم وأخفقت الظنون، وطفق أهل المطامع والشره يتفرقون عن السبط المقدس، يميناً وشمالاً^(١)، إلا من حداهم إلى المسير حقّ اليقين، وفي الطليعة منهم سيّدنا العباس عليه السلام؛ فإنه لم يزد إلا بصيرة في النهضة الكريمة، وسروراً بأزوف الغاية المتوخاة.

فسار به وبهم (شهيّد العظمة)، وهو لا يشاهد، كما أنّهم لا يرون كلّما قربوا من الكوفة إلا تدبّر الناس وتألّبهم عليهم، وتتوارد عليهم الأنباء بما هو أشدّ، لكن لم يثن ذلك من عزائمهم شيئاً ولا يكدي أملاً، بل كانوا يخفّفون الخطأ ويسرعون السير؛ لينتهوا إلى معانقة الرماح ومصافحة الصفاح، أكثر ممّا يُسرّع الصبّ إلى الخود الرداح، ومرشدُهم إلى ذلك بعد إمام الهدى عليه السلام (أبو الفضل).

رَكِبَ حِجَازِيُونَ بَيْنَ رِحَالِهِمْ تَسْرِي الْمَنَائِيَا أَنْجَدُوا أَوْ أَتَمُّوا
يَجِدُونَ فِي هَزَجِ التَّلَاوَةِ عَيْسَهُمْ وَالكُلُّ فِي تَسْبِيحِهِ يَتَرْتَمُّ

(١) اللهوف في قتلى الطفوف / ٤٥.

الأصحاب:

هبط موكب العظمة عراض الغاضريّات، وهو يضمّ الفتية من آل عبد المطلب، والأبوة الصفوة من الأصحاب، فكانوا فرحين بما أتاهم المولى من فضله، واختصّهم به من المنحة الكبرى، حيث جعل أثر ميّتهم حياة للدين ومدحرة للأضاليل، فكانوا رضوان الله عليهم بما أودع الله تعالى فيهم من النيات الصادقة، لا يهابون في سبيل السّير إليه تعالى عقبة كأداء أو نبأً موحشاً؛ من تخاذل القوم، وتدابر النفوس، وتضائل القوى؛ لما عرفوه من أنّها موهبة لا يحظى بها إلاّ الأمثل فالأمثل، فقابلوا الأخطار بجأش طامن وجنان ثابت، لا تزجره أيّ هائلة، وكلّما اشتدّ المأزق الحرج أعقب فيهم انشراحاً وانبساطاً، بين ابتسامة ومداعبة، ومن فرح إلى نشاط.

وَمُنْذَ أَخَذَتْ فِي نَيْنَوَى مِنْهُمْ النَّوَى وَلَاخَ بِهَا لِلْعَدْرِ بَعْضُ الْعَلَائِمِ
عَدَا ضَاحِكًا هَذَا وَذَا مُتَبَسِّمًا سُرُورًا وَمَا نَعْرُ الْمُتُونِ بِبَاسِمِ^(١)

(١) من قصيدة للشيخ صالح الكوّاز الحلبي، وقيل: للتميمي. راجع أعيان الشيعة ٧ / ٣٧١.

هازل بريُّ بن خضير عبدَ الرحمن الأنصاري، فقال له عبد الرحمن: ما هذه ساعة باطل! فقال بريُّ: والله، لقد علم قومي أيَّ ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكيَّ لمُستبشر بما نحن لاقون. والله، ما بيننا وبين الحور العين إلاَّ أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم، ولوددت أنَّهم مالوا علينا السَّاعة^(١).

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك، فقال له يزيد بن الحُصين: ما هذه ساعة ضحك! قال حبيب: وأيَّ موضع أحقَّ بالسُّرور من هذا؟! ما هو إلاَّ أن يميل علينا هؤلاء الطغاة بسيوفهم فنعانق الحور^(٢).

وناهيك بعابس بن أبي شبيب الشاكري حينما برز إلى الحرب، وقد أحجم القوم عنه؛ لأنَّهم عرفوه بالإقدام والبسالة، فلما رأى أنَّه لم يبارزه أحدٌ ألقى ما عليه من درع ولامعة، فاغتنمها القوم فرصة، ومع ذلك لم يبرز إليه أحد، لكنَّهم رموه بالسَّهام والحجارة، وأنَّه ليترد أكثر من مئتين فرحاً مبهجاً بما يلاقه من جبور ونعيم. وإني لأعجب من الرواة حملة التاريخ إذا توسَّعوا في التَّقل، وقذفوا أولئك الأباة الصَّفوة، والغُلب المصاليِّت، بما تندى منه وجه الإنسانيَّة، ويأباه الوجدان الصادق، فقيل: كان القوم بحالة ترعد فرائضهم وتتغيَّر ألوانهم كُلِّما اشتدَّ الحال وضاق المجال، إلاَّ الحسين؛ فإنَّ أسرَّة وجهه تشرق كالبدر المنير^(٣).

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٢١، الكامل في التاريخ ٤ / ٦٠، مثير الأحرار لابن نما / ٣٩.

(٢) رجال الكشي ١ / ٢٩٣، تفسير جوامع الجامع ١ / ١٣٠.

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٠.

وذلك بعد أن أعوزتهم الوقعة في شهيد الإباء، فلم يجدوا للغمز فيه نصيباً، فمالوا على أصحابه وأهل بيته عليه السلام الذين قال فيهم الإمام عليه السلام: «إني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ وأوفى من أهل بيتي»^(١). «وقد [بلوثهم]^(٢) فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأفسس، يستأنسون بالمنية دوني، استيناس الطفل إلى محالب أمه»^(٣).

وليس ذلك إلا من الداء الدفين بين أضالع قوم دافوا السُّمَّ في الدَّسم إلى سُدجٍ آخرين حسبوه حقيقة راهنة؛ فشوهوا وجه التاريخ، غير أن البصير التَّاقِد لا تخفى عليه نفسيَّة القوم، ولا ما جاؤوا به. وأعجب من ذلك، قول محفر ليزيد: إننا أحطنا بهم، وهم يلوذون عنا بالآكام والحفر، لوأذ الحمام من الصقر^(٤).

بفك الكتلك أيها القائل! كأنتك لم تشاهد ذلك الموقف الرهيب، فترى ما للقوم من بسالة وإقدام، ومفادات دون الدِّين الحنيف، حتى أغفل يومهم مع ابن المصطفى صلى الله عليه وآله أيام صفين، وما شاكلها من حروبٍ داميةٍ ووقائعٍ هائلة، وحتى أخذت أندية الكوفة لا تتحدَّث إلا عن شجاعتهم.

أجل، إن تلك الأهوال أدهشتك فلم تدر ما تقول، أو إن الشقَّة بعدت عليك فنسيت ما كان، ولكن هل غاب عن سمعك

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٧.

(٢) وردت المفردة في المصدر الأساس (استلمتْهُم)، ولعله خطأ مطبعي، أو اشتباه من التَّسَاخ؛ خصوصاً وأننا لم نعر على مَنْ ذكر هذه المفردة في غير هذا المكان، وما أثبتناه فهو من معالي السبطين ١ / ٣٤٥، وغيره الكثير من المصادر الأخرى. (موقع معهد الإمامين الحسنين)

(٣) الدمعة السَّاكِبَة / ٣٢٥.

(٤) تاريخ الطبري ٤ / ٣٥١، تاريخ مدينة دمشق ١٨ / ٤٤٥، الكامل في التاريخ ٤ / ٨٣، الوافي بالوفيات ١٤ / ١٢٧، البداية والنهاية ٨ / ٢٠٨، الفتوح لابن أعمش ٥ / ١٢٧.

صراخ الأيامي، وعويل الأيتام في دور الكوفة، حتى طبق أرجاءها من جرّاء ما أوقعه أولئك الصفوة بأعداء الله ورسوله، بسيوفهم الماضية؟! والعذر لك، أنك أدركت ساعة العافية، فطفقت تشوّه مقامهم المشكور، طلباً لمرضاة (يزيد الخمر).

ولقد صرّح عن صدق نيّاتهم وإخلاصهم في التضحية عدوهم الألدّ عمرو بن الحجاج محرّضاً قومه: أتدرون من تُقاتلون؟! تُقاتلون فرسانَ المصر وأهل البصائر، تُقاتلون قوماً مُستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلاّ قتلوه، على قلتهم! والله، لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم. فقال عمر بن سعد: قد صدقت، الرأي ما رأيت. أرسل في النَّاس من يعزم عليهم أن لا يُبارزهم رجلٌ منهم^(١)، ولو خرجتم إليهم وحداناً لأتوا عليكم^(٢).

وقيل لرجل شهد يوم الطّفّ مع عمر بن سعد: ويحك! أقتلتم ذرّيّة رسول الله؟ فقال: عضضت بالجنديل! إنك لو شهدت ما شهدنا، لفعلت ما فعلنا؛ ثارت علينا عصابةٌ أيديها في مقابض سيوفها، كالأسود الضارية، تُحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال، ولا يحول حائلٌ بينها وبين حياض المنيّة، أو الاستيلاء على المثلث، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بجذافيرها، فما كُنّا فاعلين، لا أمّ لك^(٣)!

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٣١، الكامل في التاريخ ٤ / ٦٧.

(٢) بحار الأنوار ٤٥ / ١٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ٣٦٣.

وأبي فرد منهم أقلقه الحال حتى ارتعدت فرائصه؟! أهو زهير بن القين الذي وضع يده على منكب الحسين عليه السلام، وقال مُستأذناً:

أقدم هُدَيْتَ هَادِيًا مَهْدِيًا فَالْيَوْمَ أَلْقَى جَدَّكَ النَّيَّاءَ!
أم ابن عوسجة الذي يوصي حبيب بن مظاهر بنصرة الحسين عليه السلام وهو في آخر رمق من الحياة، فكأنه لم يقنعه عن المفادات كُلِّ ما لاقاه من جهد وبلاء؟!!

أم أبو ثمامة الصائدي الذي لم يهّمه في سبيل السّير إلى ربّه سبحانه، كُلِّ ما هناك من فوادح وآلام إلا الصلاة التي دنا وقتها، فقال للحسين عليه السلام: نفسي لك الفداء! إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله، لا تُقتل حتى أقتل دونك، وأحِبُّ أن ألقى الله وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها. فقال الحسين عليه السلام: « ذَكَرْتَ الصَّلَاةَ، جَعَلَكَ اللَّهُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الدَّاكِرِينَ »^(١)؟!!

أم سعيد الحنفي الذي تقدّم أمام الحسين عليه السلام وقت الصلاة واستهدف لهم، فأخذوا يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً حتى سقط؛ لكثرة نزع الدّم^(٢)، فقال للحسين عليه السلام: أوفيت يا بن رسول الله؟ قال: « نعم، أنت أمامي في الجنة »؟!!

أم ابن شبيب الشاكري الذي ألقى جميع لامتته لتقرب منه الرجال، فيموت، في حين نرى الكُماة الأبطال، المعروفين بالشجاعة والإقدام، يتدّرعون للحرب كي لا يخلص إليهم ما يزهق نفوسهم؟!!

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٣٤، الكامل في التاريخ ٤ / ٧٠.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣٣٦، الكامل في التاريخ ٤ / ٧١، إلى قوله: حتى سقط.

أم العفّارِتان اللّذان استأذنا الحسين عليهما في الحملة وهما بيكيان، فقال عليهما: « ما يُكيكما؟! فوالله، إني لأرجو أن تكونا بعد ساعةٍ قريزي العين ». فقالا: ما على أنفسنا نبكي، ولكن نبكي عليك أبا عبد الله؛ نراك قد أحيط بك، ولا نقدر على الدفع عنك والذبّ عن حرمك^(١). فجزاهما الحسين عليهما خيراً؟!!

وإذا تأملنا قول الإمام أبي جعفر الباقر عليهما: « إن أصحاب جدي الحسين لم يجدوا ألم مس الحديد »^(٢). وضّح لنا ما عليه أولئك الأطائب من الثبات، وأتّم غير مكترثين بما لاقوه من ألم الجراح؛ ولعاً منهم بالغاية، وشوقاً إلى جوار المصطفى ﷺ. ولا يستغرب هذا من يعرف حالة العاشق، وأتّه عند توجّه مشاعره نحو المحبوب لا يشعر بكلّ ما يلاقيه من عناء ونكد.

حكى المؤرّخون: أنّ عزة دخلت على كثير الشاعر وهو في خبائه يبري سهاماً له، ولما نظر إليها أدهشه الحال وأبهره الجمال، فأخذ يبري أصابعه، وسالت الدماء وهو لا يحس بالألم^(٣).

وأكبر مثال على ذلك، حكاية الكتاب المجيد حالة النسوة حينما شاهدن جمال الصديق يوسف عليهما، فقال تعالى: (فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتُهُ وَقَطَّعْتَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)^(٤).

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٣٧، الكامل في التاريخ ٤ / ٧٢.

(٢) الخرائج والجرائح للراوندي ٢ / ٨٤٨، والعبارة بمعناها.

(٣) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٩ / ٢٢.

(٤) سورة يوسف / ٣١.

وإذا كانت النَّسوة لم يشعروا بأنهم قطع المئذنة أيديهنَّ لمحض جمال الصَّدِّيق، فليس من الغريب ألا يجد أصحابُ الحسين عليه السلام - وهم زبُّ العالمِ كُلِّه - ألم مسِّ الحديد عند نهاية عشقهم لمظاهر الجمال الإلهي، ونزوع أنفسهم إلى الغاية القصوى من القداسة بعد التكهرب بولاء سيِّد الشهداء عليه السلام .

هذا ما عليه الأصحاب من سرِّ المفادات، وقد كان مُرشدهم إلى ذلك، والمُتقدِّم فيهم (حامل اللواء)؛ إذ لم يكن هيَّاباً بما شاهده من لَعَطٍ وَصَخَبٍ، وضوضاءٍ وصهيلٍ، وجحفلٍ مُجَرَّ يتبعه جيشٌ لجب، وقد أخذ ابنُ ميسونَ عليهم أقطار الأرض وآفاق السماء .
بِحَافِلِ بِالطَّفِّ أَوْهَلَا وَأَخِيرَهَا بِالشَّمَامِ مُتَّصِلُ
فلا يرى إلَّا وجوهاً عابسة، كُلٌّ يتحرى استئصال شأفة الإمامة، وإزهاق مَنْ ينجح إليها، و (قمر الهاشميين) أسرة وجهه تشرق كالبدر المنير؛ لأنَّه عليه السلام يجدُ ببصيرته الهادية له إلى المفادات قرب الأجل المضروب، وحصول الضَّالة المنشودة، وهذا كُلُّه بعد العلم بأنَّه إذا فارق أخاه في ذلك الموقف يكون في سعةٍ من الخطر.

وأنتَ لكبر موقفه وثباته، حينما قال لهم أبو عبد الله عليه السلام : « هذا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا، فَأَنْتُمْ فِي إِذْنِ مَتِي؛ فَإِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَطْلُبُوا غَيْرِي، وَلَوْ ظَفَرُوا بِي لَدَهَلُوا عَنْ طَلَبِ غَيْرِي، وَلِيَأْخِذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَتَفَرَّقُوا فِي سَوَادِكُمْ هَذَا »^(١) .

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٧، الكامل في التاريخ ٤ / ٥٧، البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١٩١ .

هنا كان لعباس الشرف والحفاظ موقفه المشهود الذي أظهر فيه من قوة الإيمان، وغزارة العلم، وعوامل الشهامة، ما أوقف جؤالة الفكر وحير نفاذة الحلم؛ حيث ابتدر الجماعة بقوله: ولم نفعل ذلك؟! لا أبقانا الله بعدك. وتابعه الهاشميون الصفوة والصحب الأكارم، متحذرين قوله حقيقة راهنة، من معلم هذبته المعرفة وبصرتة التجارب، وإنه لم يرد بقوله إلا التضحية الخالصة والسعادة الخالدة، فأجابوا بما انخنت عليه الأضالع من إثارة موة العز دون سبط الرسول ﷺ على حياة مخدجة بعده، وإن كانت مخوفة بنعومة من العيش. فقال آل عقيل: قبح الله العيش بعدك، نفديك بأنفسنا وأهالينا. وقال ابن عوسجة: لو لم يكن معي سلاح لكدفتهم بالحجارة حتى أموت دونك. وقال سعيد الحنفي: أنحن نخلي عنك؟! لا والله، حتى يعلم الله أننا قد حفظنا وصية رسول الله فيك. ولو علمت أي أقتل ثم أحيى، ثم أقتل، ثم أحرقت حياً، ثم أذرى، يفعل بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى جمامي دونك. وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انتضاء لها أبداً! وتكلم الجماعة بما يشبه ذلك^(١).

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٧ - ٣١٨، الكامل في التاريخ ٤ / ٥٨، البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١٩١.

فَأَجَادُوا الْجَوَابَ وَاحْتَرَطُوا السَّبِيحَ
 وَانْتَنَبُوا لِلْوَعَى غِضَابَ أُسُودٍ
 عَصَفَتْ فِي الْعَدَى بِصُرُصِرِ عَادٍ
 تِ بِيضِ الظُّبَا وَشَمْرِ الصَّعَادِ
 سَمَحُوا بِالنَّفُوسِ فِي نُصْرَةِ الدِّ
 دِينَ وَأَدَّوْا فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ

وبعد أن عرف الحسين عليه السلام منهم صدق النية والإخلاص في المفادات، أوقفهم على غامض القضاء، وقال: «إني أقتل وكلُّكم تُقتلون حتى القاسمُ وعبدُ الله الرضيع، إلا السَّجَّاد؛ فإنه أبو الأئمة». ثم كشف عن أبصارهم، فرأوا ما حباهم الله من نعيم الجنان، وعزَّفهم منازلهم فيها^(١).

وليس ذلك في القدرة الإلهية بعزیز، ولا في تصرفات الإمام بغريب، ولقد حكى المؤرِّخون وقوع نظير هذا لسحرة فرعون لما آمنوا بموسى عليه السلام وأراد فرعون قتلهم؛ فإنهم شاهدوا منازلهم في الجنة^(٢).

(١) الخرائج والجرائح ١ / ٢٥٥، بحار الأنوار ٤٥ / ٨٩، علل الشرائع ١ / ٢٢٩، والنص منقول بالمعنى.
 (٢) تفسير ابن أبي حاتم ٥ / ١٥٣٦، تفسير ابن كثير ٣ / ١٦٦، الدر المنثور للسيوطي ٣ / ١٠٧، تفسير الألويسي ٩ / ٢٨، البداية والنهاية لابن كثير ١ / ٢٩٦.

الأمان:

لم تزل هذه الفضيلة نفسية أبي الفضل في جميع مواقفه عند ذلك المشهد الرهيب، لاسيما حين بلغه كتاب عبيد الله بن زياد بالأمان له وإخوته الذي أخذه عبد الله بن أبي المحل بن حزام، وكانت أم البنين عمته، وبعثه مع مولاه كزمان، فلما قدم كربلاء قال للعباس وإخوته: هذا أمان من ابن زياد، بعثه إليكم خالكم عبد الله. فقالوا له: أبلغ خالنا السلام، وقل له: لا حاجة لنا في أمانكم؛ أمان الله خير من أمان ابن سمية^(١).

كيف يتنازل أبو الفضل للدنية وهو ينظر بعين غير أعين الناس، ويسمع بأذنه الواعية غير ما يسمعون؛ يُشاهد نصب عينه الرضوان الأكبر مع (خلف النبي المرسل ﷺ)، ويسمع هتاف الملكوت من شتى جوانبه بالبشرى له بذلك كله عند استمراره مع أخيه الإمام عليّ عليه السلام.

نعم، وجد (عباس المعرفة) نفسه المكهربة بعالم الغيب، المجدوبة بجاذب مركز القداسة إلى التضحية دون حجة الوقت لا محالة، فرفض ذلك الأمان الخائب إلى أمان الرسول الأعظم ﷺ.

وهنالك طمع الشمر فيه وفي إخوته أن يفصلهم عن مستوى الفضيلة، فناداهم: أين بنو أختنا؟ أين العباس وإخوته؟ فاعرضوا

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٤، الكامل في التاريخ ٤ / ٥٦.

عنه، فقال الحسين عليه السلام: « أجيبوه ولو كان فاسقاً ».

قالوا: ما شأنك، وما تُريد؟ قال: يا بني أختي، أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين، والزمو طاعة أمير المؤمنين يزيد. فقال له العباس: لعنك الله ولعن أمانك، تُؤمننا وابن رسول الله لا أمان له^(١)! وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء. فرجع الشمر مُغضباً^(٢).

إنّ هذا الجلف الجاني قد أساء الظنّ بهؤلاء الفتية، نجوم الأرض من آل عبد المطلب، فحسب أنّهم ممّن يستهويهم الأمان والدعة، أو تروقهم الحياة مع أبناء البغايا، هيهات! خاب الرجس ففشل، وأخفق ظنّه، وأكدى أمله، ولم يسمع في الجواب منهم إلّا لعنك الله، وتبت يداك، ولعن ما جئت به.

وحيث إنّ ابن ذي الجوشن يفقد البصيرة التي وجدها أبو الفضل، والتفسيّة التي يحملها، والسؤدد المتحلّي به، والحفاظ اللائح على وجناته؛ طمع أن يستهوي رجل الغيرة ويجرّه إلى الخسف والهوان، والحياة مع الظالمين.

أيظنّ أنّ أبا الفضل ممّن يستبدل النور بالظلمة، ويستعيض عن الحقّ بالباطل، ويدع علم التّبوّة وينضوي إلى راية ابن مرجانة؟! كلاً.

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ / ٨٩، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٩١، تاريخ الطبري ٤ / ٣١٥، الكامل في التاريخ

٤ / ٥٦.

(٢) مثير الأحرار لابن نما الحلّي / ٤١، اللهوف في قتلى الطفوف / ٥٤، لواعج الأشجان / ١١٦.

ولمّا رجع العباس وإخوته إلى الحسين عليه السلام وأعلموه بما أَرَادَهُ المَاجِن منهم، قام زهير بن القَيْن إلى العباس وحدثه بحديث، قال فيه:

إنّ أباك أمير المؤمنين عليه السلام طلب من أخيه عقيل - وكان عارفاً بأنساب العرب وأخبارها - أن يختار له امرأةً ولدتها الفحولة من العرب وذوو الشجاعة منهم؛ ليتزوجها فتلد غلاماً فارساً شجاعاً، ينصر الحسين بطفّ كربلاء، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تُقصر عن نصرة أخيك وحماية إخوتك.

فغضب العباس، وقال: يا زهير، تُشجّعني هذا اليوم! فوالله، لأرنتك شيئاً ما رأيتَه ^(١). فجَدَل أبطالاً، ونكّس رايات في حالة لم يكن همّه من القتال ولا منازلة الأبطال، بل كان همّه إيصال الماء إلى أطفال أخيه، ولكن لا مردّ للقضاء، ولا دافع للأجل المحتوم.

ولا يَهْمُهُ السَّهْمُ حَاشَا مَنْ هُمُّهُ سِقَايَةُ الْعِطَاشِ
فَجَادَ بِالْيَمِينِ وَالشَّمَالِ لِنُصْرَةِ الدِّينِ وَحِفْظِ الآلِ

(١) الأنوار العلوية للنقدي / ٤٤٤، أسرار الشهادة للدريندي ٢ / ٤٩٧.

المواساة:

لا يسع الباحث في حديث مشهد الطّف المُقدّر فيه (قمر بني هاشم) حقّ قدره إلاّ البخوع له بتحقيق هذه الغريزة الكريمة، أعني المواساة بأجلى مظاهرها، وأنت إذا أعرت لما أفضنا القول في البصيرة أذنأ واعية، عرفت كيف كان مقامه مع أخيه سيّد شباب أهل الجنّة، وإيثاره التفاني معه على الحياة الرغيدة، وتخالكه في المفادات منذ مغادرته الحجاز إلى هبوطه أرض كربلاء، وحتى لفظ نفسه الأخير تحت مشتبك التّصوّل، فلا تجد مناصاً عن الإذعان بأنّه عليه السلام كان على أعلا ذروة من المواساة لأخيه الإمام عليه السلام، يربوا على المواسين معه جميعاً؛ لأنّ مواساته كانت عن بصيرة، هي أنفذ البصائر يومئذ بشهادة الإمام الصادق عليه السلام: «كان عمّن العباسُ نافذَ البصيرة، صلبَ الإيمان»^(١).

وقد شهد له بهذه المواساة إمامان معصومان واقفان على الضمائر، ويعرفان مقادير الرجال، فيقول الحجّة عمّال الله فرجه في زيارة النّاحية: «السّلام على أبي الفضل العباس، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الواقى له، السّاعي إليه بمائه، المقطوعة يداه. لعن الله قاتله يزيد بن الرّقاد الجهني، وحكيم بن الطفيل السّنيسي الطائي».

(١) سرّ التسلسلة العلويّة لأبي نصر البخاري / ٨٩.

ويقول الصادق عليه السلام في الزيارة المتلوة عند ضريحه الأقدس: « أشهدُ لقد نصحتَ لله ولرسوله ولأخيك، فنعمة الأخ المواسي! ».

فجعل عليه السلام الشهادة له بالمواساة المنعم بها نتيجة نصحه لله الذي هو مقتضى دينه وبقينه، ونصحه لرسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو تمام التوحيد، والنصح لأخيه الإمام الذي هو الجزء الأخير للعلّة، وبه كمال الدين وتمام النعمة: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**)^(١). وبه قبول الأعمال.

« لو أنّ عبداً صام وصلّى ورزّى، ولم يأتِ بالولاية، ما قبل الله له عملاً أبداً »^(٢). فرضى الربّ والرسول صلى الله عليه وآله وطاعتهما منوطان بطاعة وليّ الأمر: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**)^(٣).

فأراد الإمام الصادق عليه السلام بذلك الخطاب أنّ نُصح (عباس الهداية) لأخيه المظلوم على حدّ نصحه لله ولرسوله، مع حفظ المرتبة في كلّ منهما، فالطاعة شرع سواء في الثلاثة تحت جامع واحد، هو: وجوب الخضوع لهم والتسليم لأمرهم، غاية الأمر تختلف المراتب؛ فإنّه تجب الطاعة أولاً وبالذات بالنسبة إليه سبحانه وتعالى، وبما أنّ الرسول مبعوثٌ من قبله وجبت بالنسبة إلى الرسول، وبما أنّ الإمام خليفة لهذا المبعوث المرسل لعدم بقائه إلى الأبد، وعدم إهمال العباد كالبهائم، وعدم وضوح الكتاب المجيد؛ لوجود المُخصّص والمُتقيّد، والناسخ والمتشابه، وعدم

(١) سورة المائدة / ٣.

(٢) هكذا ورد هذا المقطع من العبارة وهو ما بين قوسين، وبعد التتبع لم نصل إلى كونه حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله أو أحد المعصومين عليهم السلام، والأقرب أنّه مضمون حديثٍ صادرٍ عن أهل بيت العصمة والطهارة. (موقع معهد الإمامين الحسينيين)

(٣) سورة المائدة / ٥٥.

وفائه بالأحكام الشرعية بالبداهة؛ وجب على الأمة إطاعة هذا الإمام، فالمراد من المؤمنين في هذه الآية، ومن أولي الأمر في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(١). شيء واحد، وقد انحصر مصداقه في سيّد الوصيّين وأبنائه المعصومين الأحد عشر عليهم السلام بالتواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله.

فالتصح الذي أشار إليه الإمام عليه السلام في الزيارة هو لازم تلك الطاعة ومقتضى الولاية تحت جامع واحد، وهو: لزوم مناصرة الدّين والصّادع به، المتبسط على ذات الباري تعالى والرسول والإمام كلّ في مرتبته.

وقد أفادنا هذا الخطاب أنّ مفادات أبي الفضل ومواساته لم تكن محض الرحمة الماسّة والإحسان الواشج، ولا لأنّ الحسين عليه السلام سيّد أسرته وكبير قومه، وإن كان في كلّ منها يُمدح عليه هذا التّاهض، لكنّها جمعاء كانت مُندكّة في جنب ما أثاره (عباسُ البصيرة) من لزوم مواساة صاحب الدّين، والتّهالك دون دعوته، سواء كانت المفادات بعين المُشرّع سبحانه، أو تحت راية الرسول صلى الله عليه وآله، أو إمام الوقت، وكلّ بعين الله وعن مرضاته جلّ شأنه، وقد اجتمعت في مشهد الطّفّ تحت راية الحسين عليه السلام.

إنّ من الواجب إمعان التّنظر في عمله التّاصع حين ملك الشريعة فاغترف غرفة من الماء ليشرب، ولكن ألزمه حقّ اليقين وقوّة الإيمان أن ينفذ الماء من يده، حيث لم ير له مساعاً في التّأخير عن سقاية حجّة الوقت الإمام المعصوم، وحرّم التّبوّة، ولو

(١) سورة النساء / ٥٩.

بمقدار التروّي من الماء هنيئة، بل عرف أنّ الواجب عليه الإبقاء على مهجة خليفة الرسول ﷺ بسقايته ولو في آنٍ يسير، إذ الحالة شرع سواء بين قليل الزّمان وكثيره؛ ولذلك نُسب فعله هذا إلى الدّين، حيث يقول: تالّله ما هذا فعلاً ديني.

على أنّ شيخنا العلامة الشيخ عبد الحسين الحلّي يُحدّث في التّقدير التّزيه ج ١ ص ١٠٠، عن فخر الذاكرين الثقة الثبت الشيخ ميرزا هادي الخراساني التّحفي، نقلاً عن (عدّة الشهور): إنّ أمير المؤمنين عليه السلام دعا العباس وضمّه إليه وقبّل عينيه، وأخذ عليه العهد إذا ملك الماء يوم الطّف أنّ لا يدوق منه قطرة وأخوه الحسين عليه السلام عطشان.

فقول أرباب المقاتل: نفض الماء من يده ولم يشرب، إنّما هو لأجل الوصيّة من أبيه

المرتضى (ع).

لَمْ يَدُقْ الْفُرَاتِ أَسْوَةً بِهِ	مُيَمَّمًا بِمَائِهِ نَحْوُ الْخِيَا
لَمْ يَرِ فِي الدِّينِ يَبْلُ غُلَّةً	وَصُنُوهُ فِيهِ الظَّمَا قَدْ أَلْبَا
والمُرْتَضَى أَوْصَى إِلَيْهِ فِي ابْنِهِ	وَصِيَّةً صَدَّتهُ عَن أَنْ يَشْرَبَا
لِذَلِكَ قَدْ أَسَنَدَهُ لِدِينِهِ	وَعَنْ يَقِينٍ فِيهِ لَنْ يَضْطَرِّبَا
هَذَا مِنَ الشَّرْعِ يَرَى فَعَلْتَهُ	وَمِن صِرَاطِ أَحْمَدٍ مَا ارْتَكَبَا
وَمِثْلُهُ الْحُسَيْنُ لَمَّا مَلَكَ ال	مَاءَ فَقِيلَ رَحْلُهُ قَدْ تُهَيَّا
أَمْ الْخِيَامَ نَافِضًا لِمَائِهِ	إِذْ عَظَّمَ الْأَمْرُ بِهِ وَأَعْصَوْصَبَا
فَكَانَ لِلْعَبَّاسِ فِيهِ أَسْوَةً	إِذْ فَاضَ شَهْمًا غَيْرَ مَفْلُولِ الشُّبَا

عشرة التاريخ:

لقد كان من نفوذ بصيرة العباس عليه السلام أنه لم تقنعه هاتيك التضحية المشهودة منه، والجهاد البالغ حدّه حتى راقه أن يفوز بتجهيز المجاهدين في ذلك المأزق الحرج، والدعوة إلى السعادة الخالدة في رضوان الله الأكبر، وأن يحظى بأجور الصابرين على ما يلزم به من المصاب بفقد الأحبة، فدعا إخوته من أمّه وأبيه، وهم: عبد الله، وجعفر، وعثمان، وقال لهم: تقدّموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله؛ فإنّه لا ولد لكم^(١).

فإنّه أراد بذلك تعريف إخوته حقّ المقام، وأنّ مثولهم بهذا الموقف لم يكن مصروفاً إلاّ إلى جهة واحدة، وهي: المفادات والتضحية في سبيل الدّين، إذ لم يكن لهم أي شائبة أو شاغلة تلهيهم عن القصد الأسنى من عوارض الدنيا؛ من مراقبة أمر الأولاد بعدهم، ومن يرأف بهم ويؤرّيهم، فاللّازم حينئذ السير إلى الغاية الوحيدة، وهي: الموت دون حياة الشريعة المقدّسة، فكانوا كما شاء ظنّه الحسّن بهم، حيث لم يألوا جهداً في الذبّ عن قُدس الدّين حتى قضوا كراماً مُتلفّعين بدم الشهادة.

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ / ٢٠٩، مُثير الأحران لابن نما / ٥٠، لواعج الأشجان / ١٧٨.

لكن هلمّ واقراً العجيب الغريب فيما ذكر ابن جرير الطبري في التاريخ ج ٦ ص ٢٥٧، قال: وزعموا أنّ العباس بن علي قال لإخوته من أمّه وأبيه؛ عبد الله وجعفر وعثمان: يا بني أمي، تقدّموا حتّى أرثكم؛ فإنّه لا ولد لكم. ففعلوا وقُتلوا^(١).

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين: قدّم أخاه جعفر بين يديه؛ لأنّه لم يكن له ولدٌ ليحوز ميراثه العباس، فشدّ عليه هاني بن ثابت فقتله^(٢). وفي مقتل العباس، قال: قدّم إخوته لأمه وأبيه فقتلوا جميعاً، فحاز موارثهم، ثمّ تقدّم وقتل فورثهم وإياه عبيدُ الله، ونازعه في ذلك عمّه عمر بن علي، فصولح على شيء رضي به^(٣).

هذا غاية ما عندهم، وقد تفردا به من بين المؤرّخين وأرباب المقاتل، ولا يخفى على من له بصيرة وتأمل بعدّه عن الصواب. وما أدري كيف خفي عليهما حيازة العباس ميراث إخوته مع وجود أمّهم أم البنين، وهي من الطبقة المتقدّمة على الأخ، ولم يجهل العباس شريعة تربيّ في خالها؟!!

على أنّ هذه الكلمة لا تصدر من أدنى الناس، سيّما في ذلك الموقف الذي يذهل الواقف عن نفسه وماله، فأيّ شخص كان يدور في خُلده ذلك اليوم حيازة الموارث بتعريض ذويه وإخوته للقتل، وعلى الأخصّ يصدر ذلك من رجل يعلم أنّه لا يبقى بعدهم ولا يتهنأ بمالهم، بل يكون فعله لحض أن تتمّتع به أولاده؟!!

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٢، الكامل في التاريخ ٤ / ٧٦.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج / ٥٤.

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج / ٥٥.

بئست الكلمة القبيحة التي راموا أن يُلوثوا بها ساحة ذلك السيّد الكريم!
فهل ترغب أنت أن يقال لك: عرّضت إختوك وبني أمك لحومة الوغى لتحوز
موارثهم؟! أم أنّ هذا من الدّناءة والحسّنة فلا ترضاه لنفسك، كما لا يرغب به سوقة النّاس
وأدناهم، فكيف ترضى أيّها المتّصف ذلك لمن علّم النّاس الشّهامة وكرم الأخلاق، وواسى
حجّة وقته بنفسه الزاكية؟! وكيف يُنسب هذا الخزيح تلك الجامعة العظّمة والمدرسة الكبرى؛
جامعة النّبوة ومدرسة الإمامة، وترى بحجر أبيه عليه السلام، وأخذ المعارف منه ومن أخويه
الإمامين عليهم السلام؟!!

ولو تأملنا جيداً في تقديمه إيتاهم للقتل، لعرفنا كبر نفسه، وغاية مفاداته عن أخيه السّبط
عليه السلام، فلدّة كبد النّبويّ صلى الله عليه وآله، ومهجة البتول عليها السلام، فإنّ من الواضح البين أنّ غرضه من
تقديمهم للقتل:

١ - إمّا لأجل أن يشتدّ حزنه، ويعظم صبره، ويُرزأ بهم، ويكون هو المطالب بهم يوم
القيامة، إذ لا ولد لهم يُطالبون بهم.

٢ - وإمّا لأجل حصول الاطمئنان والثقة من المفادات دون الدّين أمّام سيّد الشّهداء
عليهم السلام، ويشهد له ما ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن نما في مثير الأحران من قوله لهم:
تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله؛ فإنّه لا ولد لكم. ولم يقصد بهم المخايل، وإمّا
رام أبو الفضل أن يتعرّف مقدار ولائهم لقتيل العبرة؛ وهذا منه عليه السلام إرفاق بهم وحنان
عليهم، وأداء لحقّ الأخوة بإرشادهم إلى ما هو الأصلح لهم.

٣ - وإما لأجل أن يكون غرضه الفوز بأجر الشهادة بنفسه، والتجهيز للجهاد بتقديم إخوته ليُثاب أيضاً بأجر الصابرين، ويجوز كلتا السعادتين، وربما يدلّ عليه ما ذكره أبو الفرج في مقتل عبد الله من قول العباس له: تقدّم بين يديّ حتّى أراك قتيلاً واحتسبك. فكان أوّل مَنْ قُتل من إخوته.

وذكر أبو حنيفة الدينوري، أنّ العباس قال لإخوته: تقدّموا بنفسي أنتم، وحاموا عن سيّدكم حتّى تموتوا دونه. فتقدّموا جميعاً وقُتلوا.

ولو أراد أبو الفضل من تقديمهم للقتل حياة موارثهم - وحاشاه - لم يكن لاحتساب أخيه عبد الله معنى، كما لا معنى لتفديتهم بنفسه الكريمة كما في الأخبار الطوال^(١).

وهناك مانع آخر من ميراث العباس لهم وحده حتّى لو قلنا على بُعدٍ ومنع بوفاة أمّ البنين يوم الطّفّ؛ فإنّ ولد العباس لم يكن هو الحائز لموارثهم، لوجود الأطراف وعبيد الله بن التّهشلية؛ فإنّهما يشتركان مع العباس في الميراث، كما يُشاركهم سيّد شباب أهل الجنة وزينب العقيلة، وأمّ كلثوم ورقية، وغيرهنّ من بنات أمير المؤمنين عليه السلام، فكيف والحال هذا يختصّ العباس بالميراث وحده؟!

هذا كلّهُ إنّ قلنا بوفاة أمّ البنين يوم الطّفّ، ولكنّ التاريخ يُثبت حياتها يومئذٍ وأنها بقيت بالمدينة، وهي التي كانت ترثي أولادها الأربعة.

(١) الأخبار الطوال / ٢٥٧.

والذي أظنّه أنّ منشأ ذلك التقوّل على العباس أنّه أوقفهم السير على قوله لإخوته: لا ولد لكم. من غير رويّة وتفكير في غرضه ومراده، فحسبوه أنّه يُريد الميراث، فتوه به واحد باجتهاده أو احتمالاً، وحسبه الآخرون رواية فشوّهوا به وجه التاريخ، ولم يفهموا المراد، ولا أصابوا شاكلة الغرض؛ فإنّ غرضه من قوله: لا ولد لكم تُراقبون حاله بعدكم، فأسرعوا في نيل الشهادة والفوز بنعيم الجنان.

على أنّ شيخنا العلامة الشيخ عبد الحسين الحلّي في التّقدّ التّزيه ج ١ ص ٩٩، احتمل تصحيف (أرثكم) من (أرزأ بكم) أو (أرزأكم)، وليس هذا ببعيد. وأقرب منه احتمال شيخنا الحجّة، الشيخ آغا بزرك مؤلّف كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) تصحيف (أرثكم) من (أرثيكم)، فكأنّه علّاه أراد أولاً: أنّ يفوز بالإرشاد إلى ناحية الحقّ، وثانياً: تجهيز المُجاهدين، وثالثاً: البكاء عليهم وراثتهم؛ فإنّه محبوب للمولى تعالى.

ويُشبه قول العباس لإخوته قول عابس بن أبي شبيب الشاكري لشوذب مولى شاكرك: يا شوذب، ما في نفسك أن تصنع؟ قال: أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتّى أقتل. فقال: ذلك الظنّ بك، فتقدّم بين يديّ أبي عبد الله حتّى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتّى احتسبك أنا؛ فإنّه لو كان معي السّاعة أحدٌ أنا أولى به منك لسرّني أن يتقدّم بين يديّ حتّى أحتسبه؛ فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكلّ ما قدرنا عليه؛ فإنّه لا عمل بعد اليوم، وإتّما هو الحساب^(١). (الطبري ج ٦ ص ٢٥٤).

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٣٨.

حديث الصادق عليه السلام :

إنّ ما يتعرّف منه منزلة أبي الفضل العالية، وإثبات الخصال الحميدة له، إخبارٌ أئمة الدّين العارفين بضمائر العباد وسرائرهم، الواقفين على نفسيّات الأئمة على كُتب بتحقيقها فيه، وقد عبثت أيدي التلف في أكثرها، فإنّ الصدوق يُحدّث في الخصال ج ١ ص ٣٥، بعد ذكره حديث السّجّاد عليه السلام في فضل العباس، أنّه أخرج الخبر بتمامه مع أخبارٍ في فضائل العباس في كتاب مقتل الحسين عليه السلام .

وظاهره أنّ هناك أخباراً كثيرة في فضل أبي الفضل زويت عنّا ككتابه المقتل، ولا غرو، فلقد اندثر بتعاقب الحوادث الكثير من المؤلّفات.

وكيف كان، فلعلّ من تلك الأخبار ما رواه في عمدة الطالب، عن الشيخ الجليل أبي نصر البخاري التّسابية، عن المفضّل بن عمر، أنّه قال: قال الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: « كان عمّنا العباس بن عليّ نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً »^(١).

وكذلك قوله عليه السلام فيما علّم شيعة أنّ يُخاطبوه به من لفظ الزيارة المروريّة بسند صحيح مُتَّفَق عليه؛ فإنّه عند التأمل فيما

(١) عمدة الطالب لابن عنبه / ٣٥٦، مقتل الحسين لأبي مخنف / ١٧٦. الأنوار العلويّة للنقدي / ٤٤٢.

خاطبه به الإمام العارف بأساليب الكلام ومقتضيات الأحوال، تظهر لنا الحقيقة، ونعرف منزلةً للعباس سامية لا تُعدّ ومنزلة المعصومين (عليهم السلام)، فقال عليه السلام في صدر سلام الإذن: « سلامُ الله، وسلامُ ملائكتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وأنبيائِهِ المرسلين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصديقين، الزاكيات الطيبات، فيما تغتدي وتروخ عليك يابن أمير المؤمنين ». فإنه أشار بهذا إلى مصبِّ سلام الله الذي هو رحمته المتواصلة، والعطف الغير محدود، اللذين لا انقطاع لهما، وسلام الملائكة المشاهدين لمقادير الرجال في ملاءة القدس وحظيرة الجلال، وسلام الأنبياء الذين لا يعدّون مرضات الله ووحيه في أفعالهم وتروكهم، وسلام الصالحين والشهداء الذين أدركوا بفضل الاتصال بالرُّسل وأوصيائهم، أو بالتَّجرّد ومشاهدة الحقائق الثابتة في عالم الغيوب، زيادةً على ما عرفوه من مقام أبي الفضل وفضله.

فكُلُّ هؤلاء يتقرَّبون إلى الله تعالى بالدعاء له، واستنزال الرحمة منه سبحانه، وإهداء التسليمات إليه؛ لما عرفوا أنه من أقرب الوسائل إليه، وحيث كانت خالصة للزلفة، محاضرة في التقرب إليه جلّ ذكره، عادت زاكيةً طيبةً بنصّ الزيارة: « الزاكيات الطيبات ».

وأما على رواية ابن قولويه في كامل الزيارات من زيادة (واو العطف) قبل الزاكيات الطيبات، فيُراد بهما العنايات الخاصّة التي ليست بدعاءٍ من أحد، ولا بأسباب عاديّة، ولا يعدم هذه الأنبياء

والأوصياء والأقْلون مَن اقتفوا أثرهم، وليست هي شرعة لِكُلِّ واردة، وإِنما يحظى بها الأفاضل مَن كهربتهم القداسة الإلهية، وجذبتهم جاذبة الصقع الربوي، وهكذا المقربون والأفاضل عند صعودهم.

وإذا قرأنا زيارة الصادق عليه السلام لجدّه الحسين عليه السلام: «سلامُ الله وسلامُ ملائكتِهِ فيما تروحُ وتغدو، والزّكيات الطّاهرات لك، وعليك سلامُ الملائكةِ المقربينَ والمُسلمين لك بقلوبهم، والتّاطقين بفضلِكَ...»^(١). وضح لنا أنّ منزلة أبي الفضل تضاهي منزلة الحسين عليه السلام؛ حيث أثبت له مثل هذا السّلام.

ثمّ قال عليه السلام: «أشهد لك بالتسليم والتصديق، والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل»^(٢). ها هنا أثبت لأبي الفضل منزلة التسليم التي هي من أقدس منازل السّالكين، وفوق مرتبة الرضا والتوكّل؛ فإنّ أقصى مرتبة الرضا أنّ يكون محبوب المولى سبحانه محبوباً له، موافقاً لطبعه، فالطبع ملحوظ فيه.

وأقصى مراتب التوكّل أنّ يُنزل نفسه بين يدي المولى سبحانه وتعالى منزلة الميّت بين يدي الغاسل، بحيث لا إرادة له إلاّ ما يفعله الغاسل به، فصاحب التوكّل مسلوب الإرادة، وأمّا صاحب التسليم فلا يرى لغير الله وجوداً مع الله فضلاً عن نفسه، ولا يكون له طبعٌ يوافق أو يخالف في الإرادة، أو نفساً قد تنفّست بالإرادة، فهو قريب من عالم الفناء.

(١) كامل الزيارات / ٣٥٨، بحار الأنوار / ٩٨ / ١٤٨.

(٢) كامل الزيارات / ٤٤٠.

وهذه المرتبة فوق مرتبة التوكّل، التي هي فوق مرتبة الرضا، لا تحصل إلاّ بالبصيرة التّافذة، والوصول إلى أعلى مراتب اليقين، تلك المرتبة التي أخبر عنها أمير المؤمنين عليه السلام: « لو كُشِفَ الغطاءُ ما ازدَدتْ يقيناً ».

أما العناوين الثلاثة، وهي: التصديق، والوفاء، والنّصيحة، فلا شكّ أنّ الإمام عليه السلام يُريد أنّ أبا الفضل في أرقى مراتبها؛ لانبعاثها عن التسليم وهو حقّ اليقين؛ فإنّه المناسب لتصديقه بأخيه الحجّة، وبنهضته في ذلك الموقف الحرج، وهكذا وفاؤه ونصيحته؛ فإنّ وفاء شخص لآخر كما يُمكن أن يكون لأجل الأخوة والرحم والصحبة، يمكن أن يكون لأجل المعرفة التامة بما أوجب الله له من الحرمة والحقّ على الأمة.

وحيث إنّ الإمام عليه السلام أثبت لأبي الفضل أرقى مرتبة السّالكين، وهي التسليم اللازم لحقّ اليقين، فلا بدّ أن يكون ما صدر منه من التصديق بنهضة أخيه عليه السلام، والوفاء لحقّه والمناصحة في العمل، منبعثاً عن حقّ اليقين بذلك الأمر الواجب، لا لأجل أنّ الحسين عليه السلام أخوه أو رحمه أو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإنّ هذه المرتبة وإنّ مُدح عليها الشخص إلاّ أنّ المرتبة الأولى أرقى وأرفع، ولا ينالها إلاّ ذوو النفوس القدسيّة ممّن وجبت لهم العصمة.

ويؤيّد ذلك تعقيب العناوين الثلاثة بقوله عليه السلام: « لِيَخْلَفَ النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ ». فإنّه لو لم يرد هذا لقال في الخطاب: (لأخيك) أو (للحسين) أو (لابن أمير المؤمنين)، فالتعبير بخلف النبيّ لا يُراد منه إلاّ أنّ الدافع لأبي الفضل على التسليم والتصديق، والوفاء والنّصيحة بالمفادات إلاّ كون الحسين عليه السلام إماماً مفروض الطّاعة، وهذا

مغزى لا يبعث إليه إلا البصيرة المميّزة لشرف الغايات المتحرّية لكرائمها.
ثمّ إنّ من تخصيص الإمام عليّ الخُطاب له دون غيره من الشُّهداء، بقوله: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ
جَهَلَ حَقَّكَ، وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِكَ». نعرف أنّ غيره من الشُّهداء لم يُدرك هذا المدى، وإنّ كان
لكُلِّ منهم حقّاً وحرمة، إلا أنّ شبل أمير المؤمنين عليّ كانت معارفه أوسع، وإيمانه أثبت،
فكان له حقٌّ في الدِّين، وحقٌّ على الأُمَّة لا يُنكر، فاستحقَّ بكُلِّ منهما اللعن على جاهله
والمستخفِّ به.

فالشُّهداء وإنّ أخلصوا في التضحية والمفادات، وكان منبعثاً عن طهارة الضمائر والمعرفة
بحقِّ الإمام عليّ، فلهم حقوقٌ وحُرُمات، لكنّ لحقِّ العباس منعاً بين هاتيك الحقوق، وحرّمته
بذخ بين تلك الحرّمات، بعد ما ثبت منهما لأخيه الإمام المظلوم عليّ، لنفوذ بصيرته
وصلاية إيمانه بنصِّ الصادق عليّ.

ثمّ قال الصادق عليّ في الزيارة المتلوّة داخل الحرم: «أشهدُ وأشهدُ الله أنّك مضيتَ على ما
مضى به البدريّون»^(١).

لقد جرى التشبيه بالبدريّين مجرى التقريب إلى الأذهان في الإشادة بموقف أبي الفضل من
البصيرة؛ فإنّ أهل بدر أظهر أفراد أهل البصائر؛ لأنّهم قابلوا طواغيت قريش على حين
ضعف في المسلمين، وقلة في العدة والعتاد، فلم يملكوا إلاّ فرسين، أحدهما: لمرثد بن أبي مرثد
الغنوي، والآخر: للمقداد بن الأسود الكندي، وكانوا يتعاقبون على سبعين بعير، الاثنان
والثلاثة^(٢).

(١) المزار للشيخ المفيد / ١٢٢، المزار للمشهدي / ١٦٦، بحار الأنوار ٩٧ / ٤٢٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ / ١٢، تاريخ الطبري ٢ / ١٧٢، شبل الهدى والرشاد للصالحى الشامى

٤ / ٢٤، تفسير البغوي ١ / ٢٨٣.

لكنهم خاضوا غمرات الموت تحت راية التَّوْبَةِ، بقوة الإيمان وعتاد البصيرة، إلا من استولى الرِّينُ على قلبه، فردّوا سيوف قريش مفلولة، ورماحهم محطّمة، وجموعهم بين قتلى وأسرى ومُشرّدين، فحفظوا بأول فتح إسلامي قويت به دعائمه، وشيّدت معالمه من الإمداد: (بِحَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ)^(١).

وأعظم من ذلك مشهد الطَّفِّ الذي التطمت فيه أمواج الموت، وكشفت الحرب عن ساقها، وكشفت عن نابها.

ولالأخطارِ وَجْهٌ مُّكْفَهَرٌ يُشِيبُ لِهَوْلِهِ الْمُرْدِي الْعُلَامُ
تَرَى الْأَبْطَالَ مِنْ فَرَقِ سَكَّارِي يُدَارُّ مِنْ الرَّدَى فِيهِمْ مُدَامُ
فقابلهم عصبة الحقّ من غير مدد يأملونه، أو نصرة يرقبونها، والعطش مُعتلج بصدورهم، ونشيج الفواطم من ورائهم، فتلقّوا جبال الحديد بكُلِّ صدرٍ رحيب وجنان طامن، فلم تسل تلك النفوس الطاهرة إلا على قتل أميّة المنقوض، ولا أريقت دماؤهم الزاكية إلا على حبلهم الممتكث، فلم تبرح آل حرب إلا كلعقة الكلب أنفه حتى اكتسحت معرّتهم من أديم الأرض، وتفترقوا أيدي سبا، فيوم الطَّفِّ فتح إسلامي بعد الجاهليّة المُستردّة من جراء أعمال الأمويين^(٢).

(١) سورة آل عمران / ١٢٥، قال تعالى: (بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِحَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ).

(٢) لقد أجاد العلامة السيّد باقر نجل آية الله السيّد محمّد الهندي رحمته الله، إذ يقول:

لَوْ لَمْ تَكُنْ جُمِعَتْ كُلُّ الْعُلَا فِينَا لَكَانَ مَا كَانَ يَوْمَ الطَّفِّ يَكْفِينَا
يَوْمٌ مَّضُنَا كَأَمْثَالِ الْأَسْوَدِ بِهِ وَأَقْبَلَتْ كَالدَّبَا زَحْفًا أَعَادِينَا
جَاؤُوا بِسَبْعِينَ أَلْفًا سَلَّ بَقِيَّتَهُمْ هَلْ قَابَلُونَا وَقَدْ جِئْنَا بِسَبْعِينَا

وإليه أشار الإمام الشهيد عليه السلام في كتابه إلى بني هاشم لما حلّ أرض كربلاء: « مَنْ لِحَقِّ بَنِي مَنْكُم اسْتَشْهَدُ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي لَمْ يَبْلُغِ الْفَتْحَ »^(١).

فإنّه عليه السلام لم يُرد بالفتح إلا ما ترتّب على نهضته المقدّسة وتضحّيته الكريمة؛ من نقض دعائم الإلحاد، وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المُطهّرة، وإحياء دين جدّه الصادق به الذي لاقى المتاعب في تأييده وتشبيده.

وأنت أيّها البصير، إذا استشففت الحادثة من وراء نظارة في التنقيب، تجد سيّدنا أبا الفضل سيّد القوم بعد أخيه السبّط عليه السلام، وهو المُسدّد لهم في النَّضال. كما أنّ الباحث إذا أعطى النَّظَر حَقّه، يجد ضحايا (الطَّفِّ) أشدّ انقطاعاً عن المدد من مجاهدي يوم بدر، وأبلغ بأساً وأقلّ عدداً - مع اكتناف الكوارث بهم - وإعواز الملجأ أكثر ممّا احتفّ بأهل بدر.

مع أنّ المناوئين لشهداء (الطَّفِّ) أوفر عدداً، وأقوى عتاداً، وأوثق مدداً، وأنّ لهم دولةً مُؤسّسة تنصّدت جحافلها، وخفقت بنودها، وتواصلت قوّاتها بخلاف الحالة يوم بدر.

(١) بصائر الدرجات للصفّار / ٥٠٢، دلائل الإمامة للطبري الشيعي / ١٨٨، الخرائج والجرائح للراوندي ٢

/ ٧٧١، مثير الأحران لابن نما / ٢٧.

فلقد كان المحاربون للمسلمين شتاتاً من طواغيت العرب، حداهم إلى الحرب بواعث الحقد والنحوه، ومن المحتمل القريب انحلال جامعتهم إذا ضربت الحرب عليهم بجرانها؛ لأنهم كانوا يفقدون أيّ مدد من القبائل، ولم يخرجوا متأهبين للاستمداد، حيث ظنّوا خوراً في المسلمين، وحسبوا استئصال شأفتهم وأنهم كشرية ماء، (ولكن لا مُبدل لحكم الله تعالى). فالوقوف يوم الطّفّ أخرج، والكرب أكثر، والمقاسات أصعب، ويقدر المشقّة تجري الأجور وتقسّم الفضائل، فشهداء كربلاء أولى بالفضيلة.

وضرب الإمام عليه السلام المثل لهم بأهل بدر، إذ يقول: «إنك مضيت على ما مضى به البدريون». لا يوجب فضيلة أهل بدر عليهم، كما هي قاعدة التشبيه، وإنما ذلك من باب التقريب إلى الأفهام، كما في قوله تعالى: (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ...^(١)). وأين من النور الإلهي المشكاة ومصباحها، ولكن لما لم تُدرك الأبصار ذلك النور الأقدس، وإنما تُدركه البصائر، ضرب الله تعالى المثل بما يُدركونه؛ تقريباً للأذهان، وهكذا الحال فيما نحن فيه.

وإلى هذه الدقيقة وقع الإعزاز منه عليه السلام فيما بعد هذه الفقرة من الزيارة بقوله عليه السلام: «فجزاك الله أفضل الجزاء وأكثر الجزاء، وأوفر الجزاء وأوفى جزاء أحدٍ ممن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره»^(٢).

(١) سورة التور / ٣٥.

(٢) كامل الزيارات / ٤٤١، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦ / ٦٦، المنار للمفيد / ١٢٢، المنار

للمشهدى / ١٧٨.

فلو كان في المجاهدين مَنْ هو أوفر فضلاً من أبي الفضل العباس، لكان هذا الدعاء، أو الإخبار عن أمره شططاً من القول، خارجاً عن ميزان العدل، تعالى عنه كلامُ المعصوم، فإذا لم يكن غيره من المجاهدين مطلقاً أوفر فضلاً، ولا أكثر جزاءً، ولا أوفى بيعةً إلا مَنْ أخرجته الدليل من الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ثم إنَّ هناك مرتبة أخرى ثبتت لأبي الفضل، خصَّه بها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: « أشهد أنك قد بلغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود، فبعثك الله في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السُّعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً، وأفضلها عُرفاً »^(١).

فإنَّ المبالغة في أمثال المقام عبارة عن بلوغ الأمر إلى حدوده اللازمة، وكم له من نظير في استعمالات العرب ومحاوراتهم. ولا شكَّ أنَّ كُلاً واحداً من شهداء الطَّفِّ قد بالغ في النصيحة، ولم يأل جهداً في أداء ما وجب عليه، ولكلِّ منهم في ذلك المشهد الدامي شواهد من أقواله وأعماله.

ومن المسلم أنَّ المعروف بقدر المعرفة كمّاً وكيفاً، فصاحب السَّنام الأرفع في العرفان، المتربِّع على أعلى منصّة من الإيمان، لا بدّ وأنَّ يُقاسي أشدَّ ضروب الجهاد، ويتظاهر بأجمل مظاهرها؛ من الدَّووب على الحرب والضرب، وإنَّ طال المدى وبعد الأمد إنَّ كان الجهاد نضالاً، كما لا بدّ له من المثابرة على مكافحة النَّفس

(١) كامل الزيارات / ٤٤١، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦ / ٦٦، المنار للمفيد / ١٢٢، المنار

للمشهدى / ١٧٨.

الأتمارة وكسر شوكتها، وردّ صولتها وكبح جماحها، وترويض النفس بالطاعة، وإلزامها بلوازمها الشاقّة طيلة حياته إنّ كان الجهاد نفسياً.

وفي هذين الحالتين لا بدّ وأنّ يكتنف العمل المقارنات المطلوبة، مثل: نيّة القرية، والإخلاص فيها المنبعث عن حبّ المولى سبحانه، الهادي إلى معرفة تؤهله إلى الطاعة، وعن معرفة نعم الباري عزّ وجلّ الواجب شكره، وعن الهيبة الناشئة عن لحاظ عظمته، إلى أمثال هذه من الملحوظات.

وقصارى القول: كما أنّ مراتب الإيمان والمعرفة متفاوتة مقولة بالتشكيك، كذلك مراتب العمل متفاوتة حسب تفاوت تلك المراتب، فصاحب عمل كُملّ مرتبة محدود بمحدودها، وحينئذ فلا شكّ أنّ كُملّ واحد من شهداء الطّفّ، وإنّ بلغ الغاية في الجهاد وأدّى حقّ التّصيحة، لكنّ (شهيد العلقمي) لما كانت بصيرته أنفذ، وعلمه أوفر، وإيمانه أثبت، كان مداه أبعد، وغايته أسمى، وحدوده أوسع؛ ولذلك خاطبه الصادق عليه السلام بهذا الخطاب، وخصّه بالمبالغة في التّضحية، فكان هذا كفضيلة مخصوصة به؛ لأنّ هاتيك المراتب الراقية لم توجد في غيره.

ولعلّ من ناحية هذه المراتب الثلاث ثبت له عليه السلام حقّ في الدّين، وحقّ على الأمة، وحرمة لا تُنكر، فاستحقّ أن يُخاطبه الإمام عليه السلام في الإذن بقوله: « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ جَهَلَ حَقَّكَ، وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِكَ »^(١).

(١) المزار للشهيد الأوّل / ١٦٥.

وهناك درجة أرى وأربع أشار إليها الصادق عليه السلام بقوله: « وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عَلِيِّينَ »^(١).
 فإنَّ (حامى الشريعة) لم يبرح مواصلاً في الخدمات حتّى أقبل إلى الله تعالى مُتَلَفِعاً بدم
 الشّهادة، شهادة صكِّ نَبُؤِهَا مسامع الملكوت حتّى أشرب له هنالك من أنبياء ومُرسلين،
 وحُججٍ معصومين، وملائكة مُقَرَّبِينَ، وحوارٍ وولدان، وأرواح مُقدَّسة، ومُقدَّساتٍ زاكياتٍ
 طيّباتٍ، فلم يلقَ عليه السلام في صعوده إليهم إلاّ ثغوراً باسمه ووجوهاً مُستبشرةً، وايداناً له بالبشرى
 الخالدة ونعيم الأبد؛ فطفق يرفل بين ذلك الجيل القدسي، الزّاهر بنور العصمة ورونق العلم،
 وهيبة العظمة وسمات الجلالة، وشارات التّزاهة وبهجة العطف الإلهي، وبهاء النّظر إلى الجلال
 السّرمدي، والاتّصال بالرضوان الأكبر، وعليه أئمة الولاء وجلالة الطّاعة، وبلغ التّضحية
 ورُفَى المفادات، وزهو العلم والعمل، ولذكره في ذلك المُنْتدى الرهيب رفعةً ومنعةً، وإليه يُشير
 الإمام الصادق عليه السلام في لفظ الزيارة: « وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عَلِيِّينَ ».

فإنّ الغرض من هذا التعبير ليس إلاّ ما شرحناه، لا مجرد صعود ذكره الطّيب إلى ذلك
 الملأ الأرفع، شأن كلّ صالح في عالم الوجود، لكنّ الشأن كلّهُ أن يكون [لذكره المجيد]^(٢)
 هنالك بذخ وإكبار، فيرمقه كلّ طرفٍ بنظر الإجلال، ويسمع الهتافَ به بإذن التقدير،
 وتنعقد الضمائر على تقديسه، ولو أراد الإمام عليه السلام مجرّد ذكره إلى ذلك العالم القدسي،
 لقال في الخطاب: ورفع ذكرك إلى

(١) كامل الزيارات / ٤٤١، المزار للشهيد الأول / ١٣٣.

(٢) وردت العبارة في الأصل بهذا النّحو: (لذكر ما لمجيد) ولا معنى لها، ولعلّ الصحيح ما استقرنااه. (موقع

معهد الإمامين الحسينين)

عليّين، ولكن حيث إنّه أراد رفع الذكر بين أفراد أولئك الذين أختصّ محلّهم فيه، جاء بفاء الظرفيّة، فقال: « في عليّين ».

وأما قوله عليه السلام في الزيارة التي رواها المجلسي في مزار البحار ص ١٦٥، عن مزار الشيخ المفيد وابن المشهدي: « لعن الله أمة استحلّت منك المحارم، وانتهكت فيك حرمة الإسلام »^(١). فيرشدنا إلى مكانة سامية لأبي الفضل تصعد به إلى فوق مرتبة العصمة؛ فإنّنا لم نجد مثل هذا الخطاب في أيّ واحد من الشُّهداء، مع بلوغهم أعلى مرتبة الفضل التي لم يجزها أيّ شهيد غيرهم، حتّى استحقّوا أن يخاطبهم الإمام عليه السلام في زيارة التّصف من رجب بقوله: « السّلام عليكم يا مهديّون، السّلام عليكم يا طاهرون من الدّنس »^(٢). ويقول أيضاً: « طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم »^(٣).

بل لم يخاطب بمثل ذلك عليّاً الأكبر الذي لا شكّ في عصمته، ومنه يظهر أنّ للعبّاس منزلة ومقاماً يُشارف مقام الحجج المعصومين عليهم السلام، تُناط به حرمة الإسلام كما تُناط بهم صلوات الله عليهم، وإنّما تُنتهك بمثله كما تُنتهك بمثلهم عليهم السلام، وهذا مقام فوق العصمة المرجوة له.

(١) بحار الأنوار ٩٨ / ٢١٩، المزار للمفيد / ١٢٤، المزار للمشهدي / ٣٩١.

(٢) بحار الأنوار ٩٨ / ٣٣٠، والوارد في الزيارة: «... السّلام عليكم يا طاهرون، السّلام عليكم يا مهديّون...». نعم ورد في زيارات أخرى قوله عليه السلام: « وطهركم من الدّنس ». كامل الزيارات / ٥٢٧.

(٣) المزار للشهيد الأوّل / ١٢٩، المزار للمشهدي / ٤٦٥.

العبّاس في نظر الأئمة عليهم السلام:

إني لا أحسب القارئ في حاجةٍ إلى الإفاضة في هذه الغاية بعد ما أوقفناه على مكانة أبي الفضل عليه السلام من العلم والتقى، والملكات الفاضلة؛ من إباء وشمم، وتضحية في سبيل الهدى، وتمالك في العبادة؛ فإنّ أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام يُقدّرون لمن هو دونه في تلکم الأحوال فضله، فكيف به وهو من لحمهم وفرع أرومتهم، وغصن باسق في دوحهم؟! وقد أثبت له الإمام السّجاد عليه السلام منزلة كبرى لم يَتلها غيره من الشّهداء، ساوى بها عمّه الطيّار، فقال عليه السلام:

« رحمَ اللهُ عمّي العبّاسَ بنَ عليّ، فلقد آثرَ وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتّى قُطعت يداؤه، فأبدلَهُ اللهُ عزَّ وجلّ جناحين يطيرُ بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعلَ لجعفرِ بنِ أبي طالبٍ إنَّ للعبّاسِ عندَ اللهِ تبارك وتعالى منزلةً يعبّطُ عليها جميعُ الشّهداءِ يومَ القيامةِ »^(١).

ولفظ (الجميع) يشمل مثل حمزة وجعفر الشاهدين للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة، وقد نفى البُعد عنه العلامة المحقّق المثبّح في الكبرى الأحمري ص ٤٧ ج ٣.

(١) الأماي للشيخ الصدوق / ٥٤٨، الخصال / ٦٨.

ولعلّ ما جاء في زيارة الشُّهداء يشهد له: « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الرَّبَّانِيَّونَ، أَنْتُمْ لَنَا فِرْطٌ وَسَلْفٌ وَنَحْنُ لَكُمْ أَتْبَاعٌ وَأَنْصَارٌ، أَنْتُمْ سَادَةُ الشُّهَدَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »^(١). وكذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ: إِنَّهُمْ لَمْ يَسْبِقْهُمْ سَابِقٌ، وَلَا يَلْحَقْهُمْ لَاحِقٌ. فقد أثبت لهم السِّيادة على جميع الشُّهداء، أَمْهُمْ لَمْ يَسْبِقْهُمْ وَلَا يَلْحَقْهُمْ أَيُّ أَحَدٍ، وَأَبُو الْفَضْلِ فِي جَمَلَتِهِمْ بِهَذَا التَّفْضِيلِ، وَقَدْ انْفَرَدَ عَنْهُمْ بِمَا أَثْبَتَهُ لَهُ الْإِمَامُ السَّجَّادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ لِأَيِّ شَهِيدٍ.

ولهذه الغايات الثمينة والمراتب العُليا؛ كان أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدْخِلُونَهُ فِي أَعْمَالِي أُمُورِهِمْ مَا لَا يَتَدَخَّلُ فِيهِ إِنْسَانٌ عَادِي، فَمِنْ ذَلِكَ: مُشَاطَرَتُهُ الْحَسِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَسْلِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).

وَأَنْتَ بَعْدَ مَا عَلِمْتَ مَرْتَبَةَ الْإِمَامَةِ، وَمَوْقِفَ صَاحِبِهَا مِنَ الْعِظْمَةِ، وَأَنْتَ لَا يَلِي أَمْرَهُ إِلَّا إِمَامٌ مِثْلُهُ، فَلَا نَدْحَةَ لَكَ إِلَّا الْإِيمَانَ بِأَنَّ مَنْ لَهُ أَيٌّ تَدْخُلُ فِي ذَلِكَ - بِالْخِدْمَةِ مِنْ جَلْبِ الْمَاءِ وَمَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ - [هُوَ] أَعْظَمُ رَجُلٍ فِي الْعَالَمِ بَعْدَ أُمَّةِ الدِّينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَإِنَّ جِثْمَانَ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ سِيرِهِ إِلَى الْمَبْدَأِ الْأَعْلَى - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقْرَبَ أَوْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ مَنْ تَقَاعَسَ عَنِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ؛ إِذْ هُوَ مَقَامٌ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ

(١) كامل الزيارات / ٣٧٢، تحذيب الأحكام ٦ / ٦٥، المزار للمفيد / ١٢٠، المزار للمشهدي / ٣٨٨.

(٢) ورد في ذخائر العقبى / ١٤١، والذريعة الطاهرة للدولابي / ١٢٠، وكشف الغمّة ٢ / ١٧١، وبحار الأنوار ٤٤ / ١٣٧: وَوَلَّى غُسْلَهُ الْحَسِينَ وَمُحَمَّدَ وَالْعَبَّاسَ إِخْوَتَهُ... وَلَمْ يَرُدْ فِي مَصْدَرِ أَنَّ الْمُشَارِكَ لِلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَبَّاسَ فَقَطْ.

أذن، ذلك الذي لم يطق الروح الأمين أن يصل إليه حتى تهتقر، وغاب النبي الأقدس في سبحات الملكوت والجلال وحده إلى أن وقف الموقف الرهيب. وهكذا خلفاء النبي صلى الله عليه وآله المشاركون له في المآثر كلها ما خلا النبوة والأزواج^(١)، ومنه حال انقطاعهم عن عالم الوجود بانتهاء أمد الفيض المقدس.

ومما يشهد له أن الفضل بن العباس بن عبد المطلب كان يحمل الماء عند تغسيل النبي صلى الله عليه وآله، معاوناً لأمر المؤمنين عليه السلام على غسله، ولكنّه عصب عينيه؛ خشية العمى إن وقع نظره على ذلك الجسد الطاهر.

ومثله ما جاء في الأثر عن الإشراف على ضريح رسول الله صلى الله عليه وآله؛ حذراً أن يرى الناظر شيئاً فيعمى^(٢)، وقد اشتهر ذلك بين أهل المدينة، فكان إذا سقط في الضريح شيء أنزلوا صبيّاً وشدوا عينيه بعصابة فيخرجه.

وهذه أسرار لا تصل إليها أفكار البشر، وليس لنا إلا التسليم على الجملة، ولا سبيل لنا إلى الإنكار بمجرد بُعدنا عن إدراك مثلها، خصوصاً بعد استفاضة النقل في أن للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بعد وفاتهم أحوالاً غريبة ليس لسائر الخلق معهم شركة، كحرمة

(١) في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «كل ما كان للرسول صلى الله عليه وآله فلنا مثله، إلا النبوة والأزواج». المختصر / ٤٧.

(٢) فقه الإمام الرضا عليه السلام لابن بابويه / ١٨٨، مستدرک الوسائل ٢ / ١٩٧، المسترشد لابن جرير / ٣٣٦، بحار الأنوار ٢٢ / ٤٩٢.

لحومهم على الأرض، وصعود أجسادهم إلى السماء، ورؤية بعضهم بعضاً، وإحيائهم الأموات منهم بالأجساد الأصلية عند الاقتضاء؛ إذ لا يمنع العقل منه مع دلالة التقل الكثير عليه واعتراف الأصحاب به^(١)، فيصار التحصّل: إنّ الحواس الظاهرة العادية لا تتحمّل مثل تلك الأمثلة القدسية - وهي في حال صعودها إلى سبحات القدس - إلّا نفوس المعصومين عليهم السلام بعضها مع بعض دون غيرهم، مهما بلغ من الخشوع والطاعة.

لكنّ (عباس المعرفة) الذي منحه الإمام عليه السلام في الزيارة أسمى صفة حظي بها الأنبياء والمقرّبون عليهم السلام، وهي: (العبد الصالح) تسوّى له التوصل إلى ذلك المحل الأقدس من دون أن يُذكر له تعصيب عينٍ أو إغضاء طرفٍ، فشارك السبط الشهيد عليه السلام، والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ووصيه

(١) قال الشيخ المفيد في أوائل المقالات / ٧٢: والأئمة عليهم السلام من عترته خاصّة لا يخفى عليهم بعد الوفاة أحوال شيعتهم في دار الدنيا، بإعلام الله تعالى لهم ذلك حالاً بعد حال، ويسمعون كلام المناجي لهم في مشاهدتهم المكرّمة.

وقال العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٢٧ / ٣٠١، بعد ما نقل كلام الشيخ المفيد المتقدّم: وهذا مذهب فقهاء الإمامية كافة وحملة الآثار منهم، ولستُ أعرف فيه لميتكلميهم من قبل مقالاً.. وفي كنز الفوائد للكراچكي ١ / ٢٤٦، ومنهج الرّشاد لمن أراد السّداد / ٥٦٢، وبصائر الدرجات للصقار / ٤٤٥: إنّ لحومهم محرّمة على الأرض، وإنّها ترتفع إلى السماء بعد ثلاثة أيّام.

وحكي عن الشيخ الأعظم قدوة السّالكيّن المولى فتح علي ابن المولى حسن السّلطان آبادي: أنّه لما زار أمير المؤمنين عليه السلام ورجع إلى مشهد الحسين عليه السلام أسف على عدم مذاكرته مع علماء التّجف في مسألة بقاء جسد الإمام عليه السلام طريّاً أو أنّه يبلى، فرأى في المنام أنّه داخلٌ إلى الروضة، فرأى جسداً موضوعاً على الحصير والدّم يجري من أعضائه، فسأل عنه، فقيل: إنّ جسد الحسين عليه السلام، أما علمت أنّ أجسادهم لا تبلى.

المُتَمَدِّم مع الروح الأمين ﷺ ، وجملة الملائكة في غسل الإمام المجتبي الحسن السبط صلوات الله عليهم أجمعين^(١) . وهذه هي المنزلة الكبرى التي لا يحظى بها إلا ذوو النفوس القدسية من الحجج المعصومين ﷺ ، ولا غرو إن غبط أبا الفضل الصديقون والشهداء الصالحون .

وإذا قرأنا قول الحسين للعباس ﷺ ، لما زحف القوم على محيِّمه عشية التاسع من المحرم: « اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم... وتسالهم عما جاء بهم » . فاستقبلهم العباس في عشرين فارساً، فيهم حبيب وزهير، وسألهم عن ذلك، فقالوا: إن الأمير يأمر إمّا النزول على حكمه أو المنازلة .

فأخبر الحسين ﷺ ، فأرجعه ليرجئهم إلى غد^(٢) .

(١) روى الصَّفَّار في بصائر الدرجات / ٢٤٥ عن الباقر ﷺ : أن أمير المؤمنين ﷺ شاهد جبرائيل والملائكة يُعينونه على غسل النبي ﷺ وتكفينه، وحفر القبر ونزلهم معه في القبر، وكذا شاهدهم مع النبي ﷺ والحسين ﷺ يُعينونهما على غسل أمير المؤمنين ﷺ وتكفينه، وشاهدهم الحسين ﷺ مع النبي وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وأهلهما) يُعينونه على غسل الحسن ﷺ ، وشاهدهم الباقر ﷺ مع النبي وأمير المؤمنين، والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) يُعينونه على غسل أبيه السخَّاد ﷺ .

(٢) تاريخ الطبري، ونصّ العبارة، قال: وأقبل العباس بن عليّ يركض حتى انتهى إليهم، فقال: يا هؤلاء القوم، إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشيّة حتى ينظر في هذا الأمر؛ فإن هذا أمرٌ لم يجر بينكم وبينه فيه منطقيّ، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله؛ فإنما رضيناها فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه، أو كرهنا فرددناه . وإمّا أراد بذلك أن يردّهم عنه تلك العشيّة حتى يأمر بأمره ويوصي أهله، فلما أتاهم العباس بن عليّ بذلك، قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر؟ قال: ما ترى أنت؛ أنت الأمير والرأي رأيك . قال: أردت ألا أكون .

ثمّ أقبل على الناس، فقال: ماذا ترون؟ فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله! والله، لو كانوا من الدّيلم ثمّ سألك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تُجيِّبهم إليها... وكان العباس بن عليّ حين أتى حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد، قال: « ارجع إليهم، فإن استطعت أن تُؤخّرهم إلى غدوة وتدفعهم عن العشيّة؛ لعلنا نُصليّ لربنا الليلة ونُدعوه ونستغفره؛ فهو يعلم أنّي كنتُ أحبُّ الصلاة له وتلاوة كتابه، وكثرة الدُّعاء والاستغفار » .

فإنك ترى الفكر يسفُّ عن مدى هذه الكلمة، وأنتَ له أن يُخلِّق إلى ذروة الحقيقة من ذاتٍ مُطهَّرة تفتدى بنفس الإمام عليّ عليه السلام علة الكائنات، وهو الصادرُ الأوَّل، والمُمكنُ الأشرف، والفيض الأقدس للممكنات: « بكم فتح الله وكم يختم »^(١).

نعم، عرفها البصير الناقد بعد أن جرَّها بمحكِّ النَّزاهة، فوجدها غير مشوبة بغير جنسها، ثم أطلق تلك الكلمة الذهبية الثمينة (ولا يعرف الفضل إلا أهله).

ولا يذهب بك الظنّ - أيها القارئ الفطن - إلى عدم الأهمية في هذه الكلمة بعد القول في زيارة الشهداء من زيارة وارث: « بأبي أنتم وأمي! طُبِّتْ وطابت الأرض التي فيها دفنتم ». فإن الإمام عليّ عليه السلام في هذه الزيارة لم يكن هو المخاطب لهم، وإنما هو عليّ عليه السلام في مقام تعليم صفوان الجمال عند زيارتهم أن يُخاطبهم بذلك الخطاب؛ فإن الرواية جاءت - كما في مصباح المتهدِّد للشيخ الطوسي - أن صفوان قال: استأذنتُ الصادق عليّ عليه السلام لزيارة الحسين عليّ عليه السلام وسألته أن يُعرِّفني ما أعمل عليه.

فقال عليّ عليه السلام له: « يا صفوان، صمِّ قبل خروجك ثلاثة أيام... ». إلى أن

(١) الكافي ٤ / ٥٧٦، ح ٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٣٠٨، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦ /

قال: « ثُمَّ إِذَا أَتَيْتَ الْحَائِرَ، فَقُلْ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ». ثُمَّ سَأَقُ الزِّيَارَةَ إِلَى أَنْ قَالَ: « ثُمَّ أَخْرُجُ مِنْ الْبَابِ الَّذِي يَلِي رِجْلِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَتَوَجَّهْ إِلَى الشُّهَدَاءِ، وَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ... » إِلَى آخِرِهِ.

فَالصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَقَامِ تَعْلِيمِ صَفْوَانَ أَنْ يَقُولَ فِي السَّلَامِ عَلَى الشُّهَدَاءِ ذَلِكَ، وَلَيْسَ فِي الرَّوَايَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاذَا يَقُولُ لَوْ أَرَادَ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ. وَهَذَا ظَاهِرَةٌ أُخْرَى دَلَّتْ عَلَى مَنْزِلَةِ كُبْرَى لِلْعَبَّاسِ عِنْدَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْإِمَامَ الشَّهِيدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا اجْتَمَعَ بِعَمْرِ بْنِ سَعْدٍ لِيَلِيَ وَسَطَ الْعَسْكَرِينَ؛ لِإِرْشَادِهِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ، وَتَعْرِيفِهِ طَغْيَانَ ابْنِ مَيْسُونَ، وَتَذْكِيرَهُ بِقَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّهِ، أَمْرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ كَانَ مَعَهُ بِالْتَّنْحِي إِلاَّ الْعَبَّاسَ وَابْنَهُ عَلِيًّا، وَهَكَذَا صَنَعَ ابْنُ سَعْدٍ، فَبَقِيَ مَعَهُ ابْنُهُ وَغُلَامُهُ. وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مِيزَةَ أَبِي الْفَضْلِ عَلَى الصَّحْبِ الْأَكْرَامِ، وَسُرُورَاتِ الْمَجْدِ مِنْ آلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ شَهِدُوا لَهُمُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْيَقِينِ وَالصِّدْقِ فِي النَّيَّةِ وَالْوَفَاءِ^(١)، غَيْرَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يُوَعِّزَ إِلَى الْمَلَأَ مِنْ بَعْدِهِ مَا لِأَبِي الْفَضْلِ وَعَلِيِّ الْأَكْبَرِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَحْدُهَا الْعُقُولُ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ، لَمَّا خَطَبَ يَوْمَ الْعَاشِرِ، وَعَلَا صِرَاحَ النَّسَاءِ وَعَوِيلَ الْأَطْفَالِ حَتَّى كَانَ بِمَسَامِعِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مَائِلٌ أَمَامَ الْعَسْكَرِ، أَمْرَ أَخِيهِ الْعَبَّاسِ أَنْ يُسْكِتَهُنَّ؛ حِذَارَ شِمَاتَةِ الْقَوْمِ إِذَا سَمِعُوا ذَلِكَ الْعَوِيلَ، وَغَيْرَهُ عَلَى نَوَامِيسِ حَرَمِ النَّبَوَّةِ أَنْ يَسْمَعَ أَصْوَاتَهُنَّ الْأَجَانِبَ.

(١) لَعَلَّ جَوَابَ قَوْلِ الْمُصَنِّفِ: وَأَنْتَ تَعْلَمُ... وَارِدٌ هُنَا، وَقَدْ سَقَطَ مِنَ الطَّبَعَةِ السَّابِقَةِ، وَتَقْدِيرُهُ: (مَعْلُومَةٌ)، أَي: أَنَّ مَنْزِلَةَ أَبِي الْفَضْلِ... مَعْلُومَةٌ.

ولو رمت تحليلاً لتأخر شهادة العباس عن جميع الشهداء، وهو حامل تلك النفس النزاعة إلى المفادات والتهلكة دون الدين، فلا يمكنه حينئذ التأخر آنأ ما، فكيف بطيلة تلك المدّة، وبراءى منه مصارع آل الله ونشيج الفواطم، وإقبال الشرّ من جميع نواحيه، واضطهاد حجّة الوقت بما يراه من المناظر الشبكية؛ والواحدة من ذلك لا تترك (لحامل اللواء) مساعاً عن أخذ الترات آنأ ما.

لكن أهمية موقفه عند أخيه السبب عليه السلام هو الذي أرجأ تأخيره عن الإقدام؛ فإن سيد الشهداء عليه السلام يعدّ بقاءه من ذخائر الإمامة، وأن موته تفتت في العضد، فيقول له: «إذا مضيت تفرق عسكرى». حتّى إنّه في الساعة الأخيرة لم يأذن له إلا بعد أخذ وردّ.

وإنّ حديث (الإيقاد) لسيدنا المتبّع الحجّة السيد محمد علي الشاه عبد العظيم عليه السلام يوقفنا على مرتبة تضاهي مرتبة المعصومين عليه السلام؛ ذلك لما حضر السجّاد عليه السلام لدفن الأجساد الطاهرة، ترك مساعاً لبني أسد في نقل الجثث الزواكي إلى محلّها الأخير، عدى جسد الحسين وجثّة عمّه العباس عليه السلام، فتولّى وحده إنزالهما إلى مقرهما، أو اصعادهما إلى حضيرة القدس، وقال: «إنّ معي من يعينني».

أمّا الإمام عليه السلام فالأمر فيه واضح؛ لأنّه لا يلي أمره إلا إمام مثله، ولكن الأمر الذي لا نكاد نصل إلى حقيقته وكنهه، فعله بعمّه الصديق الشهيد مثل ما فعل بأبيه الوصي عليه السلام، وليس ذلك إلا لأنّ ذلك الهيكل المطهر لا يمسه إلا ذوات طاهرة في ساعة هي أقرب حالاته إلى المولى سبحانه، ولا يدنو منه من ليس من أهل ذلك المحلّ الأرفع.

ولم تنزل هذه العظمة محفوظةً له عند أهل البيت عليهم السلام دنيماً وآخرة، حتى إنّ الصديقة الزهراء سلام الله عليها لا تبدأ بالشكاية بأيّ ظلامٍ من ظلمات آل محمد صلى الله عليه وآله - وهي لا تُحصى - إلاّ بكفّي أبي الفضل المقطوعتين، كما في الأسرار ص ٣٢٥، وجواهر الإيقان ص ١٩٤، وقد ادّخرتهما [ليكونا] من أهم أسباب الشفاعة يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

العصمة:

إِنَّ مِنَ الْمُحْمَكِّ جِدًّا وَلَيْسَ بِمَحَالٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَنْ يُنْشِئَ كَيَانًا لَا تَقْتَرِبُ مِنْهُ الْعِيُوبُ، أَوْ يَخْلُقَ إِنْسَانًا لَا يَقْتَرِفُ الذُّنُوبَ، وَلَقَدْ أَوْجَدَ جَلَّ شَأْنُهُ ذَوَاتًا مُقَدَّسَةً، وَنَفُوسًا طَاهِرَةً، وَجَبَتْ فِيهِمُ الْعَصْمَةُ مِنَ الْآثَامِ، وَتَنَزَّهُوا عَنْ كُلِّ رَجْسٍ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ^(١). وقد اتَّفَقَ أرباب الحديث والتراجم على حصر هؤلاء المُتَزَهِّينَ بِالْخَمْسَةِ أصحاب الكساء، وهُم: مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ، وَفَاطِمَةُ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

تُحْمُ أَثَبَتْ أَصْحَابُ السِّيَرَةِ مَا يُضْحِكُ التَّكْلِي وَيَلْحَقُ بِالْخِرَافَاتِ، فَكَانَ لِلْغَيْرِ مَجَالُ الطَّعْنِ وَالْمُنَاقَشَةِ، ذَكَرُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ سِتِّينَ، وَكَانَ خَلْفَ الْبَيْتِ عِنْدَ بَنِي سَعْدٍ مَعَ أَتْرَابٍ لَهُ، أَتَاهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ، مَعَ أَحَدِهِمَا طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٌ ثَلْجًا، فَشَقَّ بَطْنَهُ وَقَلْبَهُ، وَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سُودَاءَ هِيَ مَعْمَزُ الشَّيْطَانِ!

وطربوا لذلك؛ حيث إنَّ الله بلطفه وكرمه قدس نبيه الكريم من هذه العلقة! ولكن ما أدري لماذا صنع به هذه العملية الدامية وهو طفلٌ صغير لا يقوى على تحمّل الآلام ومعانات الجروح الدامية؟! ألم

(١) سورة الأحزاب / ٣٣.

يَكُنْ فِي وَسْعِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ إِيجَادِ ذَاتٍ مَقْدَّسَةٍ طَاهِرَةٍ مِنَ الْأَرْجَاسِ حَتَّىٰ عَنْ هَذِهِ الْعَلَقَةِ الْمُنْفَسَّرَةِ بِمَغْمَزِ الشَّيْطَانِ؟! كَيْفَ لَا وَقَدْ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِ قُدْسِهِ، وَبَرَّاهُ مِنْ جَلَالِ عَظَمَتِهِ، وَاصْطَفَاهُ مِنْ بَيْنِ رِسَلِهِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ!

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي مِنْ صَفْوَةِ نُورِهِ، وَدَعَانِي فَأَطَعْتُهُ». وَحِينَئِذٍ فَهَلْ يُتَّصَرُّ نَقْصٌ فِي النَّوْرِ الْأَقْدَسِ؟! تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

تِلْكَ نَفْسٌ عَزَّتْ عَلَى اللَّهِ قَدْرًا فَارْتَضَاهَا لِنَفْسِهِ وَاصْطَفَاهَا
حَازَ مِنْ جَوْهَرِ التَّقْدِسِ ذَاتًا تَاهَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي مَعْنَاهَا
لَا تُجَلِّ فِي صِفَاتِ أَحْمَدَ فِكْرًا فَهِيَ الصُّورَةُ الَّتِي لَنْ تَرَاهَا
وَأَعْرَبَ مِنْ ذَلِكَ جَوَابَ السَّبْكِ عَنْ هَذِهِ الْمَشْكَلَةِ: بِأَنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ نَبِيَّهُ - أَوَّلًا -
كَامِلًا لَا نَقْصَانَ فِيهِ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ حَتَّىٰ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْعَلَقَةِ؛ لِكُونِهَا مِنَ الْأَجْزَاءِ، ثُمَّ بَعْدَ
ذَلِكَ طَهَّرَهُ مِنْهَا! وَالْعَجَبُ عَدَّ هَذِهِ الْعَلَقَةَ مِنْ أَجْزَاءِ بَدَنِ الْإِنْسَانِ الَّتِي يُوجِبُ فَقْدُهَا نَقْصَانَ
الْخَلْقَةِ، وَقَدْ تَنَزَّ عَنْهَا جَلَالُ التَّبَوُّةِ! عَلَى أَنَّهُ أَثْبَتَ وِلَادَةَ النَّبِيِّ ﷺ مَخْتُونًا، وَهَذَا أَظْهَرَ فِي
التَّقْصَانِ عَمَّا وَجَدَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ مِنَ الْعَلَقَةِ؛ لِكُونِهَا غَيْرَ مَرِيئَةٍ.

وَجَوَابُ الْحَلِيِّ فِي السِّيَرَةِ ج ١ ص ١١٥ بِأَنَّهُ إِنَّمَا وُلِدَ مَخْتُونًا لِئَلَّا يَطَّلَعَ عَلَيْهِ الْمَحْرَمُ
وَتَنَكَّشَفَ عَوْرَتُهُ، لَا يَرْفَعُ إِشْكَالَ التَّقْصَانِ عَمَّا عَلَيْهِ النَّاسُ.

وَكَيْفَ كَانَ فَقَدْ ثَبِتَ إِمْكَانَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى ذَوَاتًا مَقْدَّسَةً، مُنْزَهَةً عَنِ الْأَرْجَاسِ،
مَعْصُومَةً عَنِ الْخَطَا، وَقَدْ يَجِبُ ذَلِكَ كَمَا فِي الْهُدَاةِ الْمَعْصُومِينَ ﷺ؛ لِكَيْ يَهْدِيَ بِهِمُ
النَّاسَ^(١).

(١) السِّيَرَةُ الْحَلِيَّةُ ١ / ٨٧، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ٢ / ٣٢٥، إِمْتَاعُ الْأَسْمَاعِ لِلْمَقْرِزِيِّ ٤ / ٥٧، مَجْمَعُ الرِّوَايَاتِ
لِلْهَيْثَمِيِّ، وَهُوَ لَيْسَ تَعْلِيلًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّمَا حَدِيثٌ مَرْوِيٌّ عَنْهُ ﷺ وَرَدَ فِيهِ: «مِنْ كِرَامَتِي عَلَى رَبِّي عَزَّ
وَجَلَّ أَنْ وُلِدْتُ مَخْتُونًا، وَلَمْ يَرِ أَحَدٌ سِوَاتِي». وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي تَصْحِيحِ هَذَا الْخَبَرِ وَتَضْعِيفِهِ، فَفِي السِّيَرَةِ الْحَلِيَّةِ
فِي نَفْسِ الْمَصْدَرِ قَالَ: ... جَاءَتْ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: فَمِنْ الْحَقَائِقِ مَنْ صَحَّحَهَا،
وَمِنْهُمْ مَنْ ضَعَّفَهَا...

وأما في غيرهم من الأطهار فلا يجب، ولكنه غير ممتنع؛ فمن الممكن أن يمنح الباري سبحانه أفضلاً من البشر فيكونوا قدوة لمن هم دونهم، وتكون بهم الأسوة في عمل الصالحات، وإن كان في مرتبة نازلة عن منزلة الأنبياء المعصومين عليهم السلام؛ فإنهم وإن بلغوا بسبب التفكير والذكر المتواصل، والتصفية والرياضة إلى حيث لا يُباحون طريق الطاعة، ولا يسلكون إلى المعصية طريقاً، لكنهم في حاجة إلى من يسلك بهم السبيل الواضح، ويميز لهم موارد الطاعة وموادها عن مساقط العصيان والتهلكة، بخلاف الحجاج المقيضين لإنقاذ البشر، المعنيون بالعصمة ها هنا.

فمن كانت عصمته واجبة - كما في المعصومين عليهم السلام - سُميت عصمته استكفائية؛ لأنه لا يحتاج في سلوكه إلى الغير، لكونه في غنى عن أي حجة؛ لتوفر ما أفيض عليهم من العلم والبصائر، ومن لم تكن فيه العصمة واجبة، وكان محتاجاً إلى غيره في سلوكه وطاعته، سُميت عصمته غير استكفائية، على تفاوتٍ في مراتبهم من حيث المعرفة والعلم واليقين.

وحيث لا بد من البدع إذا قلنا: إن (قمر بني هاشم) كان مُتحلياً بهذه الحلية، بعد أن يكون مُصاغاً من نور القداسة الذي لا يمازجه أيُّ شين، وعلى هذا كان معتقد شيخ الطائفة وإمامها

الحجة الشيخ محمد طه نجف رحمته الله؛ فإنه قال بترجمة العباس من كتاب (إتقان المقال) ص ٧٥: هو أجل من أن يُذكر في المقام، بل المناسب أن يُذكر عند ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل التحية والسلام.

فتراه لم يقل عند ذكر رجال أهل بيته الأعظم، بل أثبت المعصومين عليهم السلام منهم، وليس هذا العدول إلا لأنه يرتأي أن يجعله في صفهم، ويعده منهم.

وتابعه على ذلك العلامة ميرزا محمد علي الأوردبادي، فقال من قصيدته المتقدمة:

أجلَّ عَبَّاسَ الْكِتَابِ وَالْهُدَى وَالْعِلْمُ وَالِدَيْنُ وَأَصْحَابُ الْعَبَا
عَنْ أَنْ يَطِيشَ سَهْمُهُ فَيَنْتَبِي وَالْإِثْمُ قَدْ أَثْقَلَ مِنْهُ مِنْكَ يَا
لَمْ نَشْتَرِطْ فِي ابْنِ التِّيِّ عَصْمَةً وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ قَدْ أَذْنَبَا
وَلَا أَقُولُ غَيْرَ مَا قَالَ بِهِ (طَهَ الْإِمَامُ) فِي الرَّجَالِ النَّجْبَا
فَأَفْعَلُ مِنْهُ حُجَّةٌ كَقَوْلِهِ فِي الْكُلِّ يَرُوي عَنْ ذَوِيهِ النَّقْبَا

وهذه النظرية في أبي الفضل لم ينكرها عالم من علماء الشيعة نعرفه بالثقافة العلمية، والتقدم بالأفكار الناضجة، وقد استضأنا من أرجوزة آية الله الحجة الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمته الله، التي ستقرأها في فصل المديح، حقائق راهنة وكرائم نفيسة سمت بأبي الفضل إلى أوج العظمة، وأخذت به إلى حظائر القدس، وصعدت به إلى أعلى مرتبة من العصمة.

ومما يزيدنا بصيرة في عصمته، ما ذكرناه سابقاً في شرح قول الصادق عليه السلام: «لَعَنَ اللَّهُ

أُمَّةً اسْتَحَلَّتْ مِنْكَ الْمَحَارِمَ، وَأَنْتَهَكْتَ فِي قَتْلِكَ حُرْمَةَ الْإِسْلَامِ».

فإنَّ حُرْمَةَ الإسلام لا تُنتهك بقتل أيِّ مسلم مهما كان عظيماً، ومهما كان أثره في الإسلام مشكوراً، إلاَّ أن يكون هو الإمام المعصوم عليه السلام، فلو لم يبلغ العباس المراتب السماوية في العلم والعمل لمقام أهل البيت عليهم السلام لما استحقَّ هذا الخطاب، وهذا معنى العصمة؛ نعم، هي غير واجبة.

ومَّا يستأنس منه العصمة له ما تقدّم من قول السجّاد عليه السلام: « وإنَّ لعمي العباس منزلةً يغطُّه عليها جميعُ الشهداء يومَ القيامةِ »^(١). ويدخل في عموم لفظ الشهداء صريحة بيت الوحي (أبو الحسن علي الأكبر) الذي أفضنا القول في عصمته.

وإذا كان العباس غير معصوم، كيف يغطُّه المعصوم عليه السلام على ما أعطي من رفعة ومقام عالي؛ لأنَّ المعصوم لا يغطُّ غيره؟! فلا بدَّ أن للعباس أعلى مرتبة من العصمة كما عرفت، ومن هنا غبط منزلته التي أعدت له جميع الشهداء حتَّى من كان معصوماً كعلي الأكبر وأمثاله، غير الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) الأمالي للشيخ الصدوق / ٥٤٨، الخصال / ٦٨، بحار الأنوار ٢٢ / ٢٧٤، والنص: « وإنَّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلةً عظيمةً يغطُّه بها جميعُ الشهداء يومَ القيامةِ ».

الكرامات:

من سُنن الله الجارية في أوليائه: (**وَلَنْ نَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**)^(١) إكرامهم بإظهار ما لهم من الكرامة عليه والزلفى منه، وذلك غير ما آذخره لهم من المثوبات الجزيلة في الآجلة؛ تقديراً لعملهم، وإصحاراً بحقيقة أمرهم ومبلغ نفوسهم من القوّة، وحثّاً للمأ على اقتفاء آثارهم في الطاعة.

ومهما كان العبد يخفي الصالحات من أعماله فالمولى سبحانه يراغم ذلك الإخفاء بإشهار فضله، كما يقتضيه لطفه الشامل ورحمته الواسعة وبرّه المتواصل، وأتّه - جلّت آلاؤه - يُظهر الجميل من أفعال العباد، ويزوي القبيح؛ رافة منه وحناناً عليهم.

ومن هذا الباب ما نجده على مشاهد المقرّنين وقباب المستشّهدين في سبيل طاعته؛ من آثار العظمة، وآيات الجلالة، من إنجاح المتوسّل بهم إليه تعالى شأنه، وإجابة الدعوات تحت قباهم المقدّسة، وإزالة المثّلات ببركاتهم، وتأكّد الحالة إذا كان المشهد لأحد رجالات البيت النبويّ؛ لأنّه جلّت حكمته ذراً العالمين لأجلهم، ولأنّ يعرفوا مكائنتهم، فيحتذوا أمثالهم في الأحكام والأخلاق، فكان من المُحتّم في باب لطفه وكرمه - عظمت نعمه - أن يصحّر النَّاسَ بفضلهم الظاهر.

(١) سورة فاطر / ٤٣ .

ومن سادات ذلك البيت الطاهر، الذي أذن الله أن يُرفع فيه اسمه، أبو الفضل العباس،
فإنه في الطليعة من أولئك السادات، وقد بذل في الله ما عزّ لديه وهان حتى أتصلت التوبة
إلى نفسه الكريمة التي لفظها نصب عينه - عزّ ذكره -، فأجرى سنته الجارية في الصديقين
فيه بأجلى مظاهره؛ ولذلك تجد مشهده المقدّس في آناء الليل وأطراف النهار مزدلف أرباب
الحوائح؛ من عافٍ يستمنحه برّه، إلى عليلٍ يتطلّب عافيته، إلى مُضطّهدٍ يتحرّى كشف ما
به من غمٍّ، إلى حائفٍ ينضوي إلى حمى أمنه، إلى أنواع من أهل المقاصد المتنوّعة، فينكفأ
ثلج الفؤاد بنجح طلبته، قرير العين بكفاية أمره إلى مُتنجّز بإعطاء سؤله، كلّ هذا ليس على
الله بعزيز، ولا من المُقرّبين من عباده ببعيد.

ولكنة كراماته وآيات مرقده التي لا يأتي عليها الحصر، نذكر بعضاً منها تيمناً؛ ولئلاّ يخلو
الكتاب منها، وتعريفاً للقراء بما جاد به قطبُ السّخاء على من لاذ به واستجار بتربته:

الأولى:

ما يُحدّث به الشيخ الجليل العلامة المتبحّر الشيخ عبد الرحيم التستري، المُتوفّي سنة
١٣١٣ هـ، من تلامذة الشيخ الأنصاري أعلى الله مقامه، قال:
زرتُ الإمام الشهيد أبا عبد الله الحسين عليه السلام، ثمّ قصدت أبا الفضل العباس عليه السلام، وبيننا
أنا في الحرم الأقدس إذ رأيتُ زائراً من الأعراب ومعه غلامٌ مشلولٌ، وربطه بالشباك، وتوسّل
به وتضرّع، وإذا الغلام قد نهض وليس به علة، وهو يصيح: شافاني العباس. فاجتمع الناس
عليه، وخرقوا ثيابه للتبرّك به.

فلما أبصرت هذا بعيني، تقدّمت نحو الشباك وعاتبته عتاباً مُقذعاً، وقلت: يغتتم (المعيدي) الجاهل منك المئى وينكفاً مسروراً، وأنا مع ما أحمله من العلم والمعرفة فيك، والتأدّب في المثول أمامك، أرجع خائباً لا تقضي حاجتي؟! فلا أزورك بعد هذا أبداً. ثم راجعتني نفسي، وتنبّهت لجائي عتي، فاستغفرت ربي سبحانه ممّا أسأت مع (عباس اليقين والهداية).

ولما عدت إلى النّحف الأشرف، أتاني الشيخ المرتضى الأنصاري، قدّس الله روحه الزاكية، وأخرج صرتين، وقال: هذا ما طلبته من أبي الفضل العباس، اشتري داراً، وحجّ البيت الحرام، ولأجلهما كان توسّلي بأبي الفضل^(١).

وَمَا عَجِبْتُ مِنْ أَبِي الْفَضْلِ كَمَا
لَأَنَّ شَيْبَلِ الْمُرْتَضَى لَمْ يَغْرِبِ
عَجِبْتُ مِنْ أَسْتَاذِنَا إِذْ عَلِمَا
بِكُلِّ يَوْمٍ بَلِّ بِكُلِّ سَاعَةٍ
لَمَنْ أَتَاهُ قَاصِدًا رِيَاءَهُ
وَهُوَ مِنَ الشَّيْخِ عَجِيبٌ بَيِّنٌ
لَكِنَّ نُورَ اللَّهِ يَرْتُو الْمُؤْمِنُ^(٢)

الثانية:

ما في أسرار الشهادة ص ٣٢٥، قال: حدّثني السيّد الأجل، العلامة الخبير، السيّد أحمد ابن الحجّة المُتَّبِعِ السيّد نصر الله المُدرّس الحائري، قال: بينا أنا في جمع من الخُدّام في صحن أبي الفضل عليه السلام، إذ رأينا رجلاً خارجاً من الحرم مُسرِعاً، واضعاً يده على أصل خنصره والدم يسيل منه، فأوقفناه نتعرّف خبره،

(١) طبعت هذه الكرامة مع صلاة الشيخ الأنصاري، وذكرها في الكبريت الأحمر ج ٣ ص ٥٠، قال: وذكرها

عنه جماعة من أكابر العلماء والتّقّات المتديّنين.

(٢) للعلامة الشيخ محمد السماوي.

فأعلمنا بأنَّ العباس قطعاه، فرجعنا إلى الحرم فإذا الخنصر معلّق بالشباك ولم يقطر منه دمٌ، كأنَّه قُطع من ميّت، ومات الرجل من الغد؛ وذلك لصدور إهانة منه في الحرم المقدّس.

الثالثة:

ما حدّثني به العلامة البارع الشيخ حسن دخيل حفظه الله عمّا شاهده بنفسه في حرم أبي الفضل عليه السلام، قال: زرت الحسين عليه السلام في غير أيّام الزيارة، وذلك في أواخر أيّام الدولة العثمانية في العراق، في فصل الصّيف، وبعد أن فرغت من زيارة الحسين عليه السلام توجهت إلى زيارة العباس عليه السلام قرب الزوال، فلم أجد في الصحن الشريف والحرم المطهّر أحداً، لحرارة الهواء، غير رجل من الخدّمة واقف عند الباب الأوّل، يُقدّر عمره بالسّتين سنة، كأنّهُ مراقبٌ للحرم، وبعد أن زرتُ صليت الظهر والعصر، ثمّ جلست عند الرّأس المقدّس مُفكّراً في الأهمّة والعظمة التي نالها قمر بني هاشم عن تلك التضحية الشريفة.

وبينا أنا في هذا إذ رأيت امرأةً مُحجّبة من القرن إلى القدم، عليها آثار الجلالة، وخلفها غلام يُقدّر بالسّنة عشر سنة بزّي أشرف الأكراد، جميل الصورة، فطافت بالقبر والولد تابع، ثمّ دخل بعدهما رجل طويل القامة، أبيض اللون مُشرباً بحمرة، ذو لحية، شعره أشقر يُخالطه شعرات بيض، جميل البزّة، كردي اللباس والرّزيّ، فلم يأت بما تصنعه الشيعة من الزيارة أو السّنة من الفاتحة، فاستدبر القبر المطهّر، وأخذ ينظر إلى السيوف والخناجر والدرق المُعلّقة في الحضرة، غير مُكترثٍ بعظمة صاحب الحرم المنيع، فتعجّبتُ منه أشدّ العجب، ولم أعرف الملة التي ينتحلها، غير أنّي اعتقدت أنّه من مُتعلّقي المرأة والولد،

وظهر لي من المرأة، عند وصولها في الطواف إلى جهة الرأس الشريف، التعجب مما عليه الرجل من الغواية، ومن صبر أبي الفضل عليه السلام عنه، فما رأيت إلا ذلك الرجل الطويل القامة قد ارتفع عن الأرض، ولم أر من رفعه وضرب به الشباك المظهر، وأخذ ينبح ويدور حول القبر وهو يقفز، فلا هو بملتصقٍ بالقبر ولا بمبتعدٍ عنه، كأنه مُتكهربٌ به، وقد تشنّجت أصابع يديه، وأحمرّ وجهه حمرةً شديدة، ثم صار أزرقاً، وكانت عنده ساعة علّقها برقبته بزنجيل فضّة، فكلمّا يقفز تضرب بالقبر حتى تكسّرت، وحيث إنّه أخرج يده من عباءته لم تسقط إلى الأرض؛ نعم، سقط الطرف الآخر إلى الأرض، وبتلك القفزات تحوّرت.

أمّا المرأة، فحينما شاهدت هذه الكرامة من أبي الفضل عليه السلام قبضت على الولد، وأسندت ظهرها إلى الجدار، وهي تتوسّل به بهذه اللهجة: (أبو الفضل دخيلك أنا وولدي).

فأدهشني هذا الحال، وبقيت واقفاً لا أدري ما أصنع، والرجل قويُّ البدن، وليس في الحرم أحدٌ يقبض عليه، فدار حول القبر مرتين وهو ينبح ويقفز، فرأيت ذلك السيّد الخادم الذي كان واقفاً عند الباب الأول دخل الروضة الشريفة، فشاهد الحال فرجع، وسمعتة يُنادي رجلاً اسمه جعفر - من السادة الخُدّام في الروضة - فجاء معاً، فقال السيّد الكبير لجعفر: اقبض على الطرف الآخر من الحزام - وكان طول الحزام يبلغ ثلاثة أذرع - فوقفا عند القبر حتى إذا وصل إليهما وضع الحزام في عنقه وأداراه عليه، فوقف طبعاً لكنّه ينبح، فأخرجاه من حرم العباس، وقالاً للمرأة: اتبعينا إلى (مشهد الحسين).

فخرجوا جميعاً وأنا معهم، ولم يكن أحدٌ في

الصحن الشريف، فلما صرنا في السوق بين (الحزمين) تبعنا الواحد والاثنان من الناس؛ لأن الرجل كان على حالته من التبجح والاضطراب، مكشوف الرأس، ثم تكاثر الناس. فأدخلوه (المشهد الحسيني) وربطوه بشباك (علي الأكبر)، فهدأت حالته ونام، وقد عرق عرقاً شديداً، فما مضى إلا ربع ساعة فإذا به قد انتبه مرعوباً، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة رسول الله بلا فصل، وأن الخليفة من بعده ولده الحسن، ثم أخوه الحسين، ثم علي بن الحسين. وعدّ الأئمة إلى الحجّة المهدي عجل الله فرجه.

فُسئِلَ عن ذلك، قال: إنّي رأيت رسول الله ﷺ الآن وهو يقول لي: « اعترف بهؤلاء وعدّهم عليّ، وإن لم تفعل يهلكك العباس ». فأنا أشهد بهم وأتبرأ من غيرهم. ثمّ سُئِلَ عمّا شاهده هناك، فقال: بينا أنا في حرم العباس إذ رأيت رجلاً طويلاً القامة قبض عليّ، وقال لي: يا كلب إلى الآن بعدك على الضلال. ثمّ ضرب بي القبر، ولم ينزل يضربني بالعصا في قفائي وأنا أفرّ منه.

ثمّ سألت المرأة عن قصّة الرجل، فقالت: إنّها شيعية من أهل بغداد، والرجل سُنيّ من أهل السليمانية ساكن في بغداد، مُتديّن بمذهبه، لا يعمل الفسوق والمعاصي، يُحب الخصال الحميدة، ويتنزّه عن الذميمة، وهو (بندرجي تُتن)، وللمرأة أخوان حرفتهما بيع التُّن، ومعاملتها مع الرجل، فبلغ ذنبه عليهما مئتا (ليرة عثمانية)، فاستقرّ رأيهما على بيع الدار منه والمهاجرة من بغداد،

فأحضره في دارهما (ظهرًا)، وأطلعاه على رأيهما، وعرفاه أنه لم يكن دين عليهما لغيره، فعندها أبدى من الشهامة شيئاً عجيباً، فأخرج الأوراق وحرّقها ثمّ أحرّقها، وطمأتهما على الإعانة مهما يحتاجان.

فطارا فرحاً، وأرادا مجازاته في الحال، فذاكرا المرأة على التزويج منه، فوجدا منه الرغبة فيه؛ لوقوفها على هذا الفضل مع ما فيه من التمسك بالدين واجتناب الدنيا، وقد طلب منهما مراراً اختيار المرأة الصالحة له، فلما ذكرا له ذلك زاد سروره، وانشرح صدره بحصول أمنيته، فعقدوا له من المرأة وتزوج منها.

ولما حصلت عنده، طلبت منه زيارة الكاظميين عليه السلام إذ لم تزرها مدّة كونها بلا زوج، فلم يجبهما، مُدّعياً أنه من الخرافات، ولما ظهر عليها الحمل سألته أن ينذر الزيارة إن رزق ولداً، ففعل، ولما جاءت بالولد طالبته بالزيارة، فقال: لا أفٍ بالنذر حتى يبلغ الولد. فأيست المرأة، ولما بلغ الولد السنة الخامسة عشر طلب منها اختيار الزوجة، فأبت ما دام لم يفٍ بالنذر، فعندها وافقها على الزيارة مكرهاً، وطلبت من الجوادين عليه السلام الكرامة الباهرة ليعتقد بإمامتهما، فلم ترّ منهما ما يسرّها، بل أساءها سخريته واستهزاؤه.

ثمّ ذهب الرجل بالمرأة والولد إلى العسكريين عليه السلام وتوسّلت بهما، وذكرت قصة الرجل، فلم تشرق عليه أنوارهما، وزادت السّخرية منه، ولما وصلا كربلاء قالت المرأة: نقدّم زيارة العباس عليه السلام، وإذا لم تظهر منه الكرامة، وهو أبو الفضل وباب الحوائج، لا أزور أخاه الشهيد، ولا أباه أمير المؤمنين، وارجع إلى بغداد. وقصّت على

أبي الفضل قصّة الرجل، وعرفته حال الرجل وسخريته بالأئمة الطاهرين عليهم السلام، وأنها لا تزور أحاه ولا أباه إذا لم يتلطّف عليه بالهداية وينقذه من الغواية، فأنجح سُؤلها، وفاز الرجل بالسعادة.

الرابعة:

ما في كتاب (إعلام الناس في فضائل العباس) تأليف الزاكي التقي السيّد سعيد بن الفاضل المهذّب الخطيب السيّد إبراهيم^(١) البهبهاني، قال:

تزوَّجت في أوائل ذي القعدة سنة ١٣٥١ هـ، وبعد أن مضى أسبوع من أيام الزواج أصابني زكامٌ صاحبه حمّى، وياشرني أطباء النَّجف فلم انتفع بذلك، والمرض يتزايد، ومن جملة الأطباء الطبيب المركزي (محمد زكي أباطة).

وفي أول جمادى الأولى من سنة ١٣٥٣ هـ خرجت إلى الكوفة وبقيت إلى رجب، فلم تنقطع الحمّى، وقد استولى الضعف على بدني حتّى لم أقدر على القيام، ثم رجعت إلى النَّجف وبقيت إلى ذي القعدة من هذه السنة بلا مراجعة طبيب؛ لعجزهم عن العلاج.

وفي ذي الحجة من هذه السنة اجتمع الطبيب المركزي

(١) هو ابن السيّد محمد ابن السيّد جعفر ابن سيّد محمد ابن سيّد هاشم ابن سيّد محمد ابن سيّد عبد الله ابن سيّد محمد الكبير ابن سيّد عبد الله البلادي ابن سيّد علوي، عتيق الحسين عليه السلام، ابن سيّد حسين الغرني ابن سيّد حسن ابن سيّد أحمد ابن سيّد عبد الله ابن سيّد عيسى ابن سيّد خميس ابن سيّد أحمد ابن سيّد ناصر ابن سيّد علي بن كمال الدّين ابن سيّد سلمان ابن سيّد جعفر بن أبي العشا موسى بن أبي الحمراء محمد بن علي الطاهر بن علي الضخم بن أبسي علي محمد الحسن بن محمد الحائري بن إبراهيم المُجاب بن محمد العابد ابن الإمام الكاظم عليه السلام؛ ولهذه الكرامة كتب السيّد سعيد كتاباً في أحوال العباس عليهم السلام يزيد على أربعمئة صفحة، أجهد نفسه، وسهر الليالي في جمعه وتبويه، جزاه الله خير الجزاء.

المذكور مع الدكتور محمد تقي جهان، وطبيين آخرين جاؤوا من بغداد وفحصوني، فاتفقوا على عدم نفع كلِّ دواء، وحكموا بالموت إلى شهر.

وفي محرّم من سنة ١٣٥٤ هـ خرج والدي إلى قرية القاسم ابن الإمام الكاظم عليه السلام للقراءة في المآتم التي تُقام لسيد الشهداء عليه السلام، وكانت والدي تُمرّضني، ودأبها البكاء ليلاً ونهاراً. وفي الليلة السابعة من هذه السنة رأيت في النوم رجلاً مهيباً، وسيماً جميلاً، أشبه الناس بالسيد الطاهر الزكي (السيد مهدي الرّشّتي)، فسألني عن والدي، فأخبرته بخروجه إلى القاسم، فقال: إذاً من يقرأ في عادتنا يوم الخميس؟ وكانت الليلة ليلة خميس، ثمّ قال: إذاً أنت تقرأ. ثمّ خرج وعاد إليّ، وقال: إنّ ولدي السيد سعيد^(١) مضى إلى كربلاء يعقد مجلساً لذكر مصيبة أبي الفضل العباس عليه السلام؛ وفاءً لنذر عليه، فامض إلى كربلاء واقراً مصيبة العباس. وغاب عني، فانتبهت من النوم، ونظرت إلى والدي عند رأسي تبكي، ثمّ نمت ثانياً، فأتاني السيد المذكور وهو يقول: ألم أقل لك إنّ

(١) ولد السيد مهدي الرّشّتي سنة ١٣٠٣ هـ، توفّي في النّحف يوم ١٤ رجب سنة ١٣٥٨ هـ، ودُفن في الحجرة الملاصقة لباب الصحن المعروفة بباب القزازين، وكان السيد عليه السلام باذلاً نفسه ونفيسه في خدمة أجداده الأئمة المعصومين عليهم السلام، وداره العامرة (حسينية) لأهل طرفه (البراق)، يُقيمون فيها مراسيم العزاء والفرح للأئمة عليهم السلام لا يعدلون بها بدلاً، وفقهم الله لما يرضيه.

وأما ولده السيد سعيد، فكانت ولادته في سنة ١٣٢٢ هـ، وتوفّي في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ هـ، ودُفن في الحجرة مع أبيه، وقام السيد صالح أبيه في إقامة الأفرح والمآتم، فنعم الخلف لذلك السيد الطاهر!

ولدي سعيد ذهب إلى كربلاء وأنت تقرأ في مأتم أبي الفضل؟ فأجبتَه إلى ذلك، فغاب عني، فانتبهت.

وفي المرّة الثالثة نمت فعاد إليّ السيّد المذكور، وهو يقول بزجر وشدة: ألم أقل لك امضِ إلى كربلاء، فما هذا التأخير؟! فهبته في هذه المرّة وانتبهت مرعوباً.

وقصصتُ الرؤيا من أولها على والدتي، وفرحت وتفاءلت بأنّ هذا السيّد هو أبو الفضل، وعند الصباح عَزِمْتُ على الدّهَاب بي إلى حرم العباس، ولكنّ كُلَّ مَنْ سمع بهذا لم يوافقها؛ لما يراه من الضعف البالغ حدّه، وعدم الاستطاعة على الجلوس حتّى في السيّارة، وبقيت على هذا إلى اليوم الثاني عشر من المُحَرَّم، فأصرتُ الوالدة على السّفر إلى كربلاء بكلِّ صورة، فأشار بعضُ الأرحام على أنّ يضعوني في تابوت، ففعلوا ذلك، ووصلتُ ذلك اليوم إلى القبر المقدّس، ونمت عند الضريح الطاهر.

وبينا أنا في حالة الإغماء في الليلة الثالثة عشر من المُحَرَّم، إذ جاء ذلك السيّد المذكور، وقال لي: لماذا تأخّرت عن يوم السّابع وقد بقي سعيد بانتظارك؟ وحيث لم تحضر يوم السّابع فهذا يوم دفن العباس - وهو يوم ١٣ - فقم واقراء. ثمّ غاب عني، وعاد إليّ ثانياً وأمرني بالقراءة وغاب عني، وعاد في الثالثة ووضع يده على كتفي الأيسر؛ لأني كنتُ مُضطجعاً على الأيمن، وهو يقول: إلى متى التّوم؟ قم واذكر (مُصيّتي). فقامت وأنا مدهوش مذعور من هيئته وأنواره، وسقطت لوجهي مغشياً عليّ، وقد شاهد ذلك مَنْ كان حاضراً في الحرم الأطهر.

وانتبهت من غشوتي وأنا أتصّبب عرقاً، والصحة ظاهرة عليّ، وكان ذلك في الساعة الخامسة من الليلة الثالثة عشر من المحرم سنة ١٣٥٤ هـ.

فاجتمع عليّ من في الحرم الشريف، وأقبل من في الصحن والسوق، وازدحم الناس في الحضرة المنورة، وكثر التكبير والتهليل، وخرق الناس ثيابي، وجاءت الشرطة فأخرجوني إلى البهو الذي هو أمام الحرم، فبقيت هناك إلى الصباح.

وعند الفجر تطهّرت للصلاة، وصليت في الحرم بتمام الصحة والعافية، ثم قرأت مصيبة أبي الفضل عليه السلام، وابتدأت بقصيدة السيّد راضي ابن السيّد صالح القزويني، وهي:

أبا الفضلِ يا مَنْ أسسَ الفضلَ والإبا أبا الفضلِ إلا أن تُكونَ له أبا
والأمرُ الأعجبُ، أيّ لما خرجت من الحرم قصدتُ داراً لبعض أرحامنا بكربلاء، وبعد أن قرأت مصيبة العباس خلوتُ بزوجتي، وبركات أبي الفضل حملت ولداً سمّيته (فاضل)، وهو حيٌّ يُرزق، كما رُزقتُ عبدَ الله وحسناً ومحمّداً، وفاطمة كنيّتها أمّ البنين.

هَذِهِ مِنْ غُلَاهِ إِحْدَى الْمَعَالِي وَعَلَى هَذِهِ فَقَسْنَا مَا سَوَاهَا
وذكر أنّ السيّد الطاهر الزاكي السيّد مهدي الأعرجي - وكان خطيباً نائحاً، له مدائح ومراثي لأهل البيت عليه السلام كثيرة - ورد التحف يوم خروجي إلى كربلاء، فبات مُفكراً في الأمر، وكيف يكون الحال؟! وفي تلك الليلة الثالثة عشر رأى في المنام كأنّه في كربلاء ودخل حرم العباس، فرأى الناس مجتمعين عليّ وأنا أقرأ مصيبة العباس، فارتجل في المنام:

لَقَدْ كُنْتَ بِالسَّلِّ الْمُبْرَحِ دَاوُهُ فشافايَ العَبَّاسُ مِنْ مَرَضِ السَّلِّ
فَقُضِلْتُ بَيْنَ النَّاسِ قَدْرًا وَإِمَّا لي الفضلُ إذ أَيْ عَتِيقُ أَبِي الفضلِ
وانتبه السيّد من التّوم يحفظ البيتين، فقصد دارنا وعرفهم بما رآه، وفي ذلك اليوم وضح
لهم الأمر.

وقد نظم هذه الكرامة جماعة من الأدباء الذين رأوا السيّد سعيد في الحالين؛ الصحة
والمرض، فمنهم السيّد الخطيب العالم السيّد صالح الحلبي رحمته الله.

بِأَبِي الفَضْلِ اسْتَجَرْنَا فَحَبَانَا مِنْهُ مُنْحَهُ
وطلَبْنَا أَنْ يُـدَاوِي أَلَمَ القَلْبِ وَجُرْحَهُ
فَكَسَا اللّهُ سَعِيدًا بَعْدَ سُقْمِ نَوْبِ صِحَّةِ
بَدَلَ الرِّحْمِ مِنْهُ قَرَحَةَ القَلْبِ بِفَرَحِهِ

وقال الخطيب الفاضل الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي:

بِأَبِي الفَضْلِ زَالَ عَنِّي سِقَامِي مُدْكَسَانِي مِنَ الشُّفَاءِ بُرُودًا
وَحَبَانِي مِنَ السَّعَادَةِ حَتَّى صُرْتُ فِي النَّشَاطِينَ أُدْعَى سَعِيدًا
وقال العلامة الشيخ علي الجشي أيده الله:

سَعِيدٌ سُعِدَتْ وَجَزَتْ الخَطِرُ مِنْ السَّلِّ فِي مِثْلِ لَمَحِ البَصْرِ
غَدَاةَ التَّجَاةِ لِمَثْوَى بِهِ أَبُو الفضلِ حَلَّ فَرْدَ القَدْرِ

وقال السيّد حسون السيّد راضي القزويني البغدادي:

سَعِيدٌ لَقَدْ نَالَ الشُّفَا مِنْ أَبِي الفَضْلِ وَلَوْلَاهُ كَانَ السَّقْمُ يَأْذُنُ بِالْقَتْلِ

ولا غرور أن نال الشفا منه أنه أبو الفضل أهل للمكارم والفضل
وله أيضاً:

ذا سعيد بالبرء أضحى سعيداً وحباه الإله عمراً جديداً
من أبي الفضل بالشفا نال فضلاً وامتناناً ونال عيشاً رغيداً
ولالأديب الكامل السيد محمد بن العلامة السيد رضا الهندي رحمته الله:

لم أنس فضلك يا أبا الفضل الذي هيات أن يحصى ثناه مفصلاً
يكفيك يوم الطف موقفك الذي قد كان ألمع ما يكون وأفضلاً
ولقد نصرت به النبي بسبطه وغدوت في دنيا الشهادة أولاً
وأنا الذي قد كان دائي مهلكاً وأجرتني لما استجرت مؤملاً
ألبستني ثوب الشفاء وعدت حي ياً فيك يا ساقى عطاشى كربلاً
وللخطيب الذاكر الفاضل الشيخ عبد علي الشيخ حسين:

سعيد التحى من ضره وسقامه بقبر أبي الفضل المتمدى فعافاه
لعمري ترى الأقدار طوعاً يمينه كوالديه الكرار يمناه

فآب وإبراهيمُ قُورَت عيونُهُ
سعيدٌ سعيداً عَش بظلِّ لوائِهِ
بفضلِ أبي الفضلِ الفضيلةَ حُزَمَها
وللشيخ جعفر الطّريفي:

عجَزَ الطيبُ لعلّتي وقلايني
هجرَ الصّديقُ زيارتي وكأني
حتّى إذا قالوا فقلّوا خفيّةً
فقصدتُ باباً للحوائجِ والشّفا الـ
لـولاهُ وارانِي الشُّرابُ بحفرتي
وللشيخ كاظم السّوداني:

فكَم لأبي الفضلِ الأبيِّ كراماتُ
وشارتُهُ كالشَّمسِ في الأفقِ شوهدتُ
لهاتُليتُ عند البريّةِ آياتُ
لهامن نباتِ المجدِ أومتُ إشاراتُ

سعيداً سعيداً عادَ منها إلى الشِّفا به انسلَّ عنه السِّلُّ إذ كمَّ به ماتُوا
أبو الفضلِ كمَّ فضلٌ له ومناقبٌ فيا جاحديه مثلَ بُرهانِه هاتُوا
هو الشُّبْلُ شبلٌ من عليٍّ وفي الوَعَى له أثرٌ من بأسِه وعلاماتُ
لقد شَعَّتِ الأكوأُ من بدرِ فضلِه بأنواره أرخُ: (وفيها مُضيئاتُ)
وللخطيب الشيخ حسن سبتي:

ألا عشْ سعيداً يا سعيدُ منعماً مدى الدهرِ إذ عُوفيتَ من فتكةِ السِّلِّ
عتيقٌ حُسينٌ كان جدُّك أولاً لذا صرتَ ثانيه عتيقَ أبي الفضلِ
وللسيد نوري ابن السيد صالح ابن السيد عباس البغدادي:

بُشْرَى لإبراهيمَ في نجلِه مِنْ مرضِ السِّلِّ غدا سالماً
أبرأه العباسُ من فضلِه وفضلُه بينَ الوريِّ دائماً
الخامسة:

حدَّثني الشيخ العالم الثقة الثبت الشيخ حسن ابن العلامة الشيخ محسن ابن العلامة
الشيخ شريف آل الشيخ المقدَّس، صاحب الجواهر رحمته، عن حاج منيشد بن سلمان آل
حاج عبودة، من أهل الفلاحية، وكان ثقة في التقل، عارفاً بصيراً، شاهد الكرامة بنفسه،
قال:

كان رجل من عشيرة البراجعة يُسمّى (مخيلف) مصاباً بمرض في رجله، وطال ذلك حتّى يस्ता وصارتا في رفع الإصبع، وبقي على هذا ثلاث سنين، وشاهده الكثير من أهل (المحمّرة)، وكان يحضر الأسواق ومجالس عزاء الحسين عليه السلام ويستعين بالناس، وهو يزحف على إتيه ويديه، وقد عجز عن المباشرة ويمس.

وكان للشيخ خزعل بن جابر الكعبي في المحمّرة (حُسينية) يُقيم فيها عزاء الحسين عليه السلام في العشرة الأولى من المُحرّم، ويحضر هناك خلق كثير حتّى النّساء يجلسن في الطابق الأعلى من الحُسينيّة، والعادة المُتّردة في تلك البلاد ونواحيها أنّ (الخطيب النَّائح) إذا وصل في قراءته إلى الشّهادة قام أهل المجلس يلطمون بلهجاتٍ مُختلفة وهكذا النّساء، وفي اليوم السّابع من المُحرّم كان المتعارف أن تذكر مصيبة أبي الفضل العباس، وهذا الرجل أعني (مخيلف) يأتي الحُسينيّة (ويجلس تحت المنبر؛ لأنّ رجله ممدودتان)^(١)، وحينما وصل الخطيب إلى ذكر المصيبة، أخذت الحالة المعتادة من في المجلس رجالاً ونساءً، وبينما هم على هذا الحال إذ يرون ذلك المصاب بالزمانه في رجله (مخيلف) واقفاً معهم يلطم، ولهجته: (أنا مخيلف قيمني العباس).

وبعد أنّ تبين النّاس هذه الفضيلة من أبي الفضل تهافتوا عليه وخرقوا ثيابه للتبرّك بها، وازدحموا عليه يُقبّلون رأسه ويديه، فأمر الشيخ خزعل غلماناً أن يرفعوه إلى إحدى العُرف ويمنعوا النّاس

(١) هذه الجملة التي بين قوسين حدّثني بها في دار الشيخ الجليل الشيخ حسن المذكور ملاً عبد الكريم، وقد شاهد الرجل بعينه ذلك اليوم.

عنه، وصار ذلك اليوم في المحمّرة أعظم من اليوم العاشر من المُحرّم، وصار البكاء والعيويل والصراخ من الرجال، وأمّا النّساء فمَنهنّ من تُهلّهل، وأخرى تصرخ، وغيرها تلطم. وذكر لي ملاّ عبد الكريم الخطيب من أهل المحمّرة - وكان حاضراً وقت الحديث - أنّ الشيخ خزعل في كلّ يوم يصنع طعاماً لأهل المجلس في الظهر، وفي ذلك اليوم تأخّر الغداء إلى السّاعة التاسعة من النّهار لبكاء النّاس وعوديلهم.

وقال العلامة الشيخ حسن المذكور: ثُمَّ إِنَّهُ سُئِلَ مَخِيلِفَ عَمَّا رَأَاهُ وَشَاهِدَهُ، فَقَالَ: بَيْنَا النَّاسُ يَلْطَمُونَ عَلِيَّ الْعَبَّاسَ أَخَذْتَنِي سَنَةً وَأَنَا تَحْتَ الْمَنبَرِ، فَرَأَيْتُ رِجَالاً جَمِيراً طَوِيلَ الْقَامَةِ عَلِيَّ فَرَسٍ أَبْيَضٍ عَالٍ فِي الْمَجْلِسِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَخِيلِفَ، لِمَ لَا تَلْطَمُ عَلِيَّ الْعَبَّاسَ مَعَ النَّاسِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَغَاثِي، لَا أَقْدِرُ وَأَنَا بِهَذَا الْحَالِ. فَقَالَ لِي: قُمْ وَالْطَّمْ عَلِيَّ الْعَبَّاسَ. قُلْتُ لَهُ: يَا مَوْلَايَ، أَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَيَّ الْقِيَامَ. فَقَالَ لِي: قُمْ وَالْطَّمْ. قُلْتُ لَهُ: يَا مَوْلَايَ، أَعْطَنِي يَدَكَ لِأَقُومَ. فَقَالَ: أَنَا مَا عِنْدِي يَدَيْنِ. فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ أَقُومُ؟ قَالَ: الزَّمْ رِكَابَ الْفَرَسِ وَقُمْ. فقبضت على ركب الفرس، وأخرجني من تحت المنبر وغاب عني، وأنا في حالة الصّحة، وعاش سنتين أو أكثر ومات.

وحدّثني المُهذّب الكامل ميرزا عباس الكرمانی، أنّه تعسّرت عليه حاجة، فقصد أبا الفضل عليه السلام واستجار بضريحه، فما أسرع أن فُتحت له باب الرحمة وعاد بالمسرة بعد اليأس مدّة طويلة، فأنشأ:

أبا الفضلِ إني جئتُك اليومَ سائلاً لتيسيرَ ما أرجو فأنتَ أخو الشّبلِ
فلا غرورَ إن أسعفتَ مثلي بائساً لأنّك للحاجاتِ تُدعى أبا الفضلِ
هذا ما أردنا إثباته من الكرامات، وهو قطرة من بحر؛ فإنّ الإتيان عليها كلّها يحتاج إلى مجلّد كبير؛ لأنّ الله سبحانه منح (حامي الشريعة) جزيلاً الفضل، وأجرى عليه من الفيض الأقدس ما لم يحوه بشر غير الأنبياء المقربين والأئمة المعصومين عليهم السلام؛ جزاءً لذلك الموقف الباهر الذي لم يزل يرنّ رجع صدهاء المؤلم في مسامع القرون والأجيال، مُذكراً بما أبداه أبو الفضل من إباء وثمّم، وكّر وإقدام، وتضحية دون الشرع القويم.

اللواء:

اللواء: ما يُعقد على رمح أو عصا، ويُقال له: (الراية)، كما يُطلق عليهما (العَلَم)، هذا عند أهل اللغة.

وعند المؤرخين: أهما شيئان، فذكروا أنّ الرسول الأعظم ﷺ عقد لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في رمضان أول الهجرة، وفيه يقول حمزة:

فما برحوا حتى انتدبت لغارةٍ لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافقٍ عليه لواءٌ لم يكن لاح من قبلي
لواءً لديه النصر من ذي كرامةٍ إليه عزيزٍ فعله أفضل الفعل
وأول راية عقدها للمسلمين في سؤال من هذه السنة^(١).

والمعقود على رمح أو غيره؛ إن كان واسعاً فهو الراية، وإلا فاللواء، ويُقال للعلم الكبير: البند والعقاب، وإن خُصّ الثاني بما

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٢٨، الاستيعاب لابن عبد البر ١ / ٣٧٠، تاريخ خليفة بن خياط / ٣٤، المعارف لابن قتيبة / ٤٢٢، تاريخ الطبري ٢ / ١٢١. لكن ابن هشام وغيره قالوا: وقد زعموا أنّ حمزة قد قال في ذلك شعراً يذكر فيه أنّ رايته أول راية عقدها رسول الله ﷺ، فإن كان حمزة قد قال ذلك، فقد صدق إن شاء الله... فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة بن الحارث أول من عُقد له.

يُعقد للولادة^(١)، والتَّسمية بالعقاب اقتبسها العرب من الروم؛ فإنَّ العقاب والنَّسر شارة الرومان، يرمونها على أعلامهم، وينقشونها على أبنيتهم^(٢).
وكانت أعلام الروم كباراً، تحت كُلِّ علم عشرة آلاف أو أكثر^(٣).
وكانت راية كسرى يوم الجسر سنة ١٣ هجرية من جلود النمر في عرض ثمانية أذرع، وطول اثني عشر ذراعاً، وهي المُسمَّاة (درفش كايان)^(٤).
وهذه الراية كانت محفوظة في خزائهم، ولم تكن بهذه السَّعة، وإنما زادوا عليها تبرَّكاً، والأصل فيها: إنَّ الضحَّاك بيوراسف خرجت من منكبَّيه سلعتان، فكان إذا اشتد عليه الألم طلاهما بدماع إنسان يذبجه، فلاقى النَّاس منه عناءً ونكداً وجوراً، فأخذ ابنين لرجل من أهل أصبهان اسمه (كابي) فشقَّ عليه، فدعا النَّاس للخروج على الضحَّاك، وأخذ عصا وعلَّق عليها جراباً وتبعه النَّاس، فتغلَّب على الضحَّاك وخلعوه عن المُلْك واستراحوا من جوره، فعظَّموا ذلك العَلَم وتغالَّوا به، وزادوا فيه حتَّى صار عند ملوك العجم العَلَم الأكبر الذي يتبرَّكون به، وسمَّوه (درفش كايان)^(٥).

(١) تاج العروس بمادة عقب ٢ / ٢٥٣، نقلاً عن لسان العرب لابن منظور ١ / ٦٢١.

(٢) المصدر غير موجود.

(٣) لسان العرب ٣ / ٩٧، تاج العروس ٤ / ٣٦٦.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٦٣٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ٤٣٨.

(٥) تاريخ الطبري ١ / ١٣٦، البداية والنهاية لابن كثير ٧ / ٣٣.

كما احتفظ الأمويون براية ابن زياد التي أخرجها يوم الطَّفِّ، ففي تاريخ (يزد) لآبتي ص ٧٢: إنَّ أبا العلاء الطُّوفي كان هو وأبوه من عمَّال الأمويِّين، طاف البلاد لأخذ البيعة لهم فلُقِّب (بالطُّوفي)، وكان مُعلِّماً لهشام بن عبد الملك، فلما ولي هشام الملك أراد أن يُكافئه على خدمته، فبعثه عاملاً على (يزد) ودفع إليه تلك الراية، فسار أبو العلاء إلى (يزد)، ونصب الراية في البُستان المشهور باسمه، ودعا أهل يزد إلى بيعة الأمويِّين، وكانوا على طريقة أهل البيت ﷺ، وأخذهم على ذلك أخذاً شديداً، وعاملهم بالقسوة والجور، وبقوا يتقلَّبون على حسك الظلم إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني أتيام مروان الحمار، وتصرَّف في خراسان وفارس سنة ١٣٢ و سنة ١٣٣ هجرية، فراسله اليزديون وطلبوا إنقاذهم من مخالب الطُّوفي، فبعث أبو مسلم محمَّد الزمحي إلى أصفهان ويزد.

وبلغ الطُّوفي إقباله بجيش جرَّار وأنَّ اليزديين معه، فخرج ليلاً من يزد إلى قرية (ابرند آباد)، فبعث محمَّد الزمحي جماعة فقبضوا عليه وأتوا به إلى يزد، وتحمهر اليزديون رجالاً ونساء عليه، واستقرَّ الرأي على إحراقه والراية معه، ففعل بهما ذلك، وانتهبوا القصر والبُستان. وإنَّ المصادر التاريخية لم تُرشدنا إلى أوَّل مَنْ رفع اللِّواء، ويقوي في الظنِّ أنَّ (كابي) المُتقدِّم أوَّل مَنْ اتَّخذه، كما أنَّ الخليل إبراهيم عليَّلاً أوَّل من اتَّخذ الرايات؛ وذلك لما غلب الرومُ على لوط

وأُسروه، رفع الخليلُ رايةً وسار لمحاربة الروم، فغلبهم واسترجع لوطاً^(١). ولما جاء الإسلام، وانتشر العرب في أنحاء الشام وفارس ومصر، وتعددت دُولهم، كثرت ضروب الألوية عندهم وتنوعت أشكالها، وتعددت ألوانها وأطالوها، وسموها بأسماء مختلفة حتى تفاخروا بتعدادها، فقد بلغت رايات العزيز بالله الفاطمي لما خرج إلى فتح الشام خمسمئة راية، ومثلها البوقات.

وكانوا ينقشون على راياتهم أسماء الخلفاء والسلاطين والقواد؛ إرهاباً وإعزازاً وتفاؤلاً بالظفر، فقد كتب ابن بشكم على رايته (الرائقي) نسبة إلى ابن رائق، وربما كتبوا آيات القرآن عليها، فقد وُجد في دير الظاهر بمدينة برغوس في الأندلس راية من الحرير الخالص مُطرزة بالنقوش الجميلة، وعليها آيات قرآنية^(٢).

وكتب أبو مسلم الخراساني بالحرير على لوائه: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)^(٣). ثم إنّه عقد لواء بعثه إليه إبراهيم الإمام اسمه (الظل) على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد آخر بعث به إليه اسمه (السحاب) على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً^(٤).

(١) تهذيب الأحكام ٦ / ١٧٠، باب التواد، مُستدرَك الوسائل ١١ / ٩.

(٢) التمدن الإسلامي ١ / ١٩٦، وفي الصفحة ١٦٨ ذكر اهتمام الفاطميين بالولاية والرايات والدق، فمن ذلك أنهم صنعوا بيتاً بمصر يُقال له: (خزانة البنود)، اختزنوا فيها الأعلام والرايات، والأسلحة والسروج، واللحم المذمبة والمُنقضة، وكانوا يُنفقون عليها في كل سنة ثمانين ألف دينار، ولما احترقت الدار بما فيها، قُدرت الخسارة بثمانية ملايين دينار، وكان في جملتها لواء يُسمونه: لواء الحمد.

(٣) سورة الحج / ٣٩.

(٤) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥.

أما ألوان الألووية والرايات، فلا يُعرف عنها شيء في الجاهليّة سوى راية العقاب فإنّها سوداء، وكذلك راية النبيّ ﷺ، ويُقال: إنّ رايات العرب كانت بيضاء^(١).
أما رايات النبيّ ﷺ في مغازيه فمختلفة؛ ففي بدر كانت راية حمزة حمراء، وراية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صفراء، ويوم أحد وخيبر اللّواء والراية أبيضان^(٢)، وفي عين الوردة الراية بلقاء^(٣).
وكانت أعلام بني أميّة حمراء، وكلُّ من دعا إلى الدولة العلويّة فعلمه أبيض، ومن دعا إلى الدولة العبّاسيّة فعلمه أسود، ويقرب في الظنّ أنّ شعار العلويّين الخضره حتّى في راياتهم؛ فإنّ المأمون لما عقد ولاية العهد للإمام الرضا عليّ بن موسى أُلزم النّاس بالخضره وترك شعار العبّاسيّين. نعم، لما عقد المتوكّل لبنيه البيعة عقد لكلّ واحد منهم لوائين؛ أحدهما أسود وهو لواء العهد، والآخر أبيض وهو لواء العمل^(٤).

وكيف كان، فالراية: عقد نظام العسكر وآية زحفهم، فلا يخالون انجفلاً ما دامت تسري أمامهم، فهي بتقدّمها شارة الظفر وعلامة الفوز، فلنّ تجد جحفاً مثلاً، وفيلقاً ملثناً إلاّ إذا انكفأت الراية أو أصيب حاملها فخرّت، ولذلك لا تُعطى إلاّ للأكفأ الحماة الغيارى على المبدأ ممّن لا يُجبنه الحور، أو يُفشله الضعف، أو يخذله الطمع.

(١) آثار الدول للقرماني.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٨٤.

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٤٦٩.

(٤) التمدّن الإسلامي ١ / ١٦٦.

وفي قول سيّد الوصيّن عليّ عليه السلام شاهد عدل على هذا؛ فإنّه كان يحرض النّاس يوم صفين، ويقول: « ولا تميلوا بريائتكم ولا تزيلوا، ولا تجعلوها إلاّ مع شجعانكم؛ فإنّ المانع للدمار، والصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ... واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحتفون بريائتهم ويكتنفونها، ويصيرون حفايفها وورائها وأمامها، ولا يضيّعونها، ولا يتأخرون عنها فيسلمونها، ولا يتقدمون عنها فيفردونها»^(١).

ولقد كان حملة الرايات يتهالكون دون حملها إلى آخر قطرة تسقط من دمائهم؛ حذراً من وصمة الجبن وشية العار وسمية الخزي، ولا يدع لهم ثبات الجأش وحمى الدمار واصرة الشرف أنّ يلقوها ما دامت أيديهم تقلّها.

لا عيب فيهم غير قبضهم اللوا عند اشتباك السمر قبض ضنين من أجل ذلك كانت راية الإسلام مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في جميع مغازي الرسول صلّى الله عليه وآله، ولم يفته مشهد إلاّ تبوك حيث لم يقع فيها قتال^(٢)، وإلاّ لما تركه النبي صلّى الله عليه وآله في المدينة مع ما يعلمه من بلائه وإقدامه.

وفي يوم بدر أعطاه الرسول صلّى الله عليه وآله (راية الإسلام)، فزحف بها والمسلمون خلفه ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، فأظهر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فيها من البسالة والتّجدة والبأس ما أطاش

(١) الكافي للكليني ٥ / ٣٩، ونحوه في نهج البلاغة ٢ / ٣، تاريخ الطبري ٤ / ١١.

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ١١٩، إمتاع الأسماع للمقريزي ٩ / ٢٦٤، وكذلك يظهر من تاريخ الطبري ٢ /

الألباب وحيّر العقول، وجبّن الشجعان ووضع من قدرها، فطار (أبو الحسن عليه السلام) بذكرها، وحاز مجدها، واستأثر بفضلها.

وإنّ عمله في هذا اليوم الذي كسر الله به شوكة المشركين وفلّ خدّهم، لَمِنْ خوارق العادة وأجلّ الكرامات؛ إذ لم يُباشِر قبله حرباً ولا نازل قرناً، فعمل في ذلك الجمع من التكاية والقتل الذريع ما لم يُشاهد مثله، مع أنّ أكثر الجمع قد مارس الحرب وقاسى الأهوال، وخاض الغمرات وبارز الشجعان.

وأما يوم أحد، فكان اللّواء مع مصعب بن عمير من بني عبد الدار، وإتّما أعطاه النبي ﷺ جبراً لقلوب مَنْ آمن به من بني عبد الدار، خصوصاً لما كان لواء المشركين مع قومهم من بني عبد الدار، وبعد أن فعل مصعب ذلك اليوم ما يبهر العقول، وأدّى حقّ اللّواء حتّى قُطعت يده اليمنى ثمّ اليسرى، وإذ قُطعت ضمّ اللّواء إلى صدره حتّى طُعن بالرمح في ظهره فسقط إلى الأرض قتيلاً، دفع النبي ﷺ اللّواء إلى صاحبه (أبي الربيعانين عليه السلام)، فكان لأمر المؤمنين عليه السلام من البلاء العظيم والمقامات المحمودة ما لم يكن لأحد قط، حتّى عجبت من ثباته وحمالاته الملائكة بقتله أصحاب الألوية.

ولما كانت الدبرة على المسلمين كان له الموقف المشهود، [حيث] أبصر النبي ﷺ جماعة، فقال لعليّ عليه السلام: « فرّقهم ». ففرّقهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، ثمّ أبصر جماعة أخرى، فقال عليه السلام له: « فرّقهم ». فحمل عليهم، وقتل شيبة بن مالك، فقال جبرائيل عليه السلام: هذه المواساة!

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وما يَمْنَعُهُ؛ إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ».

فقال جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: وأنا منكما.

وسمعوا صوتاً:

لَا سَـمَّيْفَ إِلَّا ذُو الْفِقْـمِـا رِ وَلَا فِـقْـمِي إِلَّا عَلِيٌّ^(١)

وفي يوم خيبر، لما شاهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خور المسلمين وضعفهم وانتصار اليهود؛ لانكسار (الرجلين) في اليوم الأول والثاني، ساءه ذلك، فقال: « لأعطينَ الرّايةَ غدًا رجلاً يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَهُ، ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورسولُهُ ».

فاستطالت لها أعناق الرجال رجاءً أن يُدْعَوْا لها، فيحظّون بالفتح والسّعادة الخالدة.

فأتاه الوصيُّ أرمَدَ عَيْنٍ فسقاها من ريقه فشفاها

ومضى يطلبُ الصُّفوفَ فولّت عنه عِلْمًا بأنّه أمضاها

وبرى مرجباً بكفِّ اقتدارٍ أقوياءُ الأقدارِ مِنْ ضِعفاها

ودحى باهما بقوةٍ بأسٍ لو حمتها الأفلاكُ منه دحاها

وأما يوم حنين، فلم يلقَ المسلمون أشدَّ منها، فلقد ضاقتْ عليهم الأرض بما رحبت، وبلغت القلوب الحناجر، وعاتبهم الله على فرارهم عن حبيبه وخاتم رسله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن ظهرت في هذا اليوم عظمة (صاحب الراية)، ومكانته من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وموقفه من الدّين، ومبلغه من الدفاع، وثباته في وجه الخطوب حتّى تراجع المسلمون.

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢ / ٧٦، تاريخ الطبري ٢ / ١٩٧، شرح إحقاق الحقّ للمرعشي ٦

/ ١٥٧، وقد نقل المصادر التي ذكرت ذلك.

ثُمَّ لُقِّتْ هَذِهِ الرَّايَةَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَنَشَرَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ (الْجَمَلِ)، وَأَعْطَاهَا لَوْلَدِهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنَفِيَّةِ، وَقَالَ لَهُ: « هَذِهِ رَايَةُ رَسُولِ اللَّهِ لَا تُرَدُّ قَطُّ ». فَزَحَفَ بِهَا ابْنُ حِيدَرَةَ وَالْجَيْشَ خَلْفَهُ، وَقَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ يَقُولُ^(١):

هَذَا اللَّوَاءُ الَّذِي كُنَّا نَخْفُ بِهِ مَعَ النَّبِيِّ وَجَبْرِئِلَ لَنَا مَدْدُ
مَا ضَرَّ مَنْ كَانَتْ الْأَنْصَارُ عَيْتَهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا أَحَدُ
قَوْمٍ إِذَا حَارَبُوا طَالَتْ أَكْفُهُمْ بِالْمَشْرِفِيَّةِ حَتَّى يُفْتَحَ الْبَلَدُ

وَأَدَّى شَبْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَقَّهَا حَتَّى كَانَ الْفَتْحَ، كَمَا أَتَى كَانَتْ مَعَهُ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ.

أَمَّا يَوْمَ صَفِّينَ، فَكَانَتْ رَايَةُ الْهَمْدَانِيِّينَ مَعَ سَفْيَانَ بْنِ يَزِيدٍ، فَلَمَّا قُتِلَ أَخَذَهَا أَخُوهُ عُبَيْدٌ، ثُمَّ أَخُوهُ كَرْبٌ، ثُمَّ عَمِيرُ بْنُ بَشِيرٍ، ثُمَّ الْحَرِثُ بْنُ بَشِيرٍ، ثُمَّ وَهْبُ بْنُ كَرْبٍ، وَكُلُّهُمْ قُتِلُوا دُونَهَا^(٢).

وَفِي هَذَا الْيَوْمِ الْبَاهِرِ كَانَ لِحَمَلَةِ الرَّايَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْمَقَامِ الْمَشْكُورِ، حَتَّى تَضَعُضِعَ مِنْ أَقْدَامِهِمْ عَرْشَ مَعَاوِيَةَ لَوْلَا الْقَضَاءُ وَإِبْرَامُ الْخَتْمِ.

(١) كِتَابُ الْجَمَلِ لِلشَّيْخِ الْمَفِيدِ / ١٦٥، وَيُظْهِرُ مِنْ مَنَاقِبِ الْخَوَارِزْمِيِّ / ١٩٥، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَأَتَى قِيلَتْ فِي صَفِّينَ كُلِّ مَنْ: أَسَدُ الْغَابَةِ ٤ / ٢١٦، الْوَاقِعُ بِالْوُفْيَاتِ ٢٤ / ٢١٣، كِتَابُ الْفَتْوحِ لِابْنِ أَعْيُنٍ ٣ / ١٦١.

(٢) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤ / ١٤، رِجَالُ الطُّوسِيِّ ٦٧، خِلَاصَةُ الْأَقْوَالِ لِلْحَلِيِّ ١٥٩، رِجَالُ ابْنِ دَاوُدَ / ١٠٤، نَقْدُ الرِّجَالِ لِلتَّنْفَرِشِيِّ ٢ / ٣٣٨، وَقَعَةُ صَفِّينَ لِلْمَنْقَرِيِّ ٢٥٢، شَرْحُ نَجْمِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٥ / ٢٠١، وَاسْمُ أَبِي سَفْيَانَ لَمْ يُحَدِّدْ بِيَزِيدٍ، بَلْ اِخْتَلَفَ بَيْنَ كَوْنِهِ زَيْدٌ أَوْ يَزِيدٌ كَمَا فِي الْمَصَادِرِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

فكان ذوو الألويات يحرصون على رفعها؛ لكونها معقد الجيش، وبها يتم نظامهم وتتطامن نفوسهم، ولم ينكسر الجيش إلا بقتل صاحب الراية وسقوطها.

ومن هنا نعرف مكانة أبي الفضل من البسالة، وموقفه من الشهامة، ومحله من الشرف، ومبوءه من الدين، ومنزلته من الغيرة، ومرتقاه من السؤدد يوم عبأ الحسين عليه السلام أصحابه، فأعطى رايته أخاه (العبّاس) مع أنّ للعبّاس إخوة من أمّه وأبيه، وهناك من أولاد أبيه من لا يُسلم اللّواء، كما أنّ في الأصحاب من هو أكبر سنّاً منه، مع صدق المفادات، ولكن سيّد الشهداء عليه السلام وجد أخاه أبا الفضل أكفى ممّن معه لحملها، وأحفظهم لذمامه وأرافهم به، وأدعاهم إلى مبدئه وأوصلهم لرحمه، وأحماهم لجواره وأثبتهم للطعان، وأربطهم جأشاً وأشدّهم مراساً.

فكان (صاحب الراية) عند معتقد أخيه الإمام عليه السلام، ثابت الجأش في ذلك الموقف الرهيب، ثبات الأسد الخادر، وهذا بيان مُطرد تلهج به الألسن، وإلاّ فما موقف الأسد منه! ومن أين له طمأنينة هذا البطل المغوار الثابت فيما يفرّ عنه الصرغام؟!

وَلَوْلَا إِحْتِقَارُ الْأَسَدِ شَبَّهَتْهَا بِهِمْ وَكَانَتْهَا مَعْدُودَةً فِي الْبَهَائِمِ

نعم، أنسب تشبيه يليق بمقامه: أنّه كان يصول ومعه صولة أبيه المرتضى عليه السلام.
وللعبّاس مزينة على من حمل اللّواء وبارز الأبطال وتقدّم للطعان؛ فإنّه عليه السلام قد ألمت به الكوارث والحنن من نواحي مُتعدّدة؛ من جروح وعطش، وفئة صرعى وحرائر ولهى، وأطفال أمضّ

بها الظماً، والواحدة منها كافية في أن تهدي إلى البطل ضعفاً، وإلى الباسل فراراً، لكن (صريخة بني هاشم) بالرغم من كُله هاتيك الرزيا كان يزحف بالراية في جحفل من بأسه، وصارم من عزمه، وكان في حدّ حسامه الأجلّ المئاح، وملك الموت طوع يمينه، إذا فليس من الغريب إذا ظهر في غصن الخلافة ما يبهر العقول!

قَسماً بِصَارْمِهِ الصَّقِيلِ وَإِنِّي فِي غَيْرِ صَاعِقَةِ السَّيِّمِ لَا أُقْسِمُ
لَوْلَا الْقَضَا لَمْحَى الْوُجُودِ بِسَيْفِهِ وَاللَّهِ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ

موقفه قبل الطَّفِّ:

يسترسل بعض الكتاب عن موقفه قبل الطَّفِّ، فيثبت له منازل الأقران والضرب والظعن، وبالغوا في ذلك حتى حُكي عن (المنتخب) أنه يقول: كان كالجبل العظيم، وقلبه كالطود الجسيم؛ لأنه كان فارساً هماماً، وجسوراً على الضرب والظعن في ميدان الكفار. ويُحدث صاحب الكبريت الأحمر ج ٣ ص ٢٤ عن بعض الكتب المعتبرة لتتبع صاحبها: أنه عليه السلام كان عضداً لأخيه الحسين عليه السلام يوم حمل على الفرات، وأزاح عنه جيش معاوية ومَلِك الماء.

قال: ومما يُروى: أنه في بعض أيام صقّين خرج من جيش أمير المؤمنين عليه السلام شابٌ على وجهه نقاب، تعلقه الهيبة، وتظهر عليه الشجاعة، يُقدّر عمره بالسبع عشرة سنة، يطلب المبارزة، فهابه الناس، وندب معاوية إليه أبا الشعثاء، فقال: إن أهل الشام يعدّوني بألف فارس، ولكن أرسل إليه أحد أولادي - وكانوا سبعة - وكلّما خرج أحد منهم قتله حتى أتى عليهم، فساء ذلك أبا الشعثاء وأغضبه، ولما برز إليه ألحقه بهم، فهابه الجمع ولم يجرأ أحد على مبارزته، وتعجّب أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من هذه البسالة التي لا تعدو الهاشميين، ولم يعرفوه لمكان نقابه، ولما رجع إلى مقرّه دعاه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام وأزال النقاب عنه، فإذا هو (قمر بني هاشم) ولده العباس عليه السلام.

قال صاحب الكبريت بعد هذه الحكاية: وليس ببعيد صحة الخبر؛ لأنّ عمره يقدر بالسبع عشرة سنة، وقد قال الخوارزمي: كان تاماً كاملاً.

وهذا نصّ الخوارزمي في المناقب ص ١٤٧: خرج من عسكر معاوية رجل يُقال له: كُريب، كان شجاعاً قوياً يأخذ الدرهم فيغمزه بإبهامه فتذهب كتابته، فنادى: ليخرج إليّ عليّ. فبرز إليه مرتفع بن وضّاح الزبيدي فقتله، ثمّ برز إليه شرحبيل بن بكر فقتله، ثمّ برز إليه الحرث بن الحلاج الشيباني فقتله، فساء أمير المؤمنين عليه السلام ذلك، فدعا ولده العباس عليه السلام، وكان تاماً كاملاً من الرجال، وأمره أن ينزل عن فرسه وينزع ثيابه، فلبس عليّ عليه السلام ثياب ولده العباس وركب فرسه، وألبس ابنه العباس ثيابه وأركبه فرسه؛ لئلا يجبن كُريب عن مبارزته إذا عرفه، فلما برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام ذكره الآخرة، وحذّره بأس الله وسخطه.

فقال كُريب: لقد قتلتُ بسيفي هذا كثيراً من أمثالك، ثمّ حمل على أمير المؤمنين عليه السلام، فاتّقه بالدرة وضربه عليّ عليه السلام على رأسه فشقه نصفين، ورجع أمير المؤمنين عليه السلام وقال لولده محمد بن الحنفية: «قف عند مصرع كُريب؛ فإنّ طالب وتروه يأتيك». فامتثل محمدٌ أمر أبيه عليه السلام، فأتاه أحد بني عمّه وسأله عن قاتل كُريب، قال محمد: أنا مكانه. فتجاولا ثمّ قتله محمدٌ، وخرج إليه آخر فقتله محمد حتى أتى على سبعة منهم^(١).

وفي ص ١٠٥ من المناقب ذكر حديث العباس بن الحارث بن عبد المطلب: وقد برز إليه عثمان بن وائل الحميري فقتله

(١) المناقب للخوارزمي / ٢٢٨، والنقل بالمعنى.

العبّاس، فبرز إليه أخوه حمزة - وكان شجاعاً قوياً - فنهاه أمير المؤمنين عليه السلام عن مبارزته، وقال له: « انزع ثيابك وناولني سلاحك وقف مكانك، وأنا أخرج إليه ». فتكرّ أمير المؤمنين عليه السلام وبرز إليه وضربه على رأسه، فقطع نصف رأسه ووجهه وإبطه وكتفه، فتعجّب اليمانيون من هذه الضربة وهابوا العبّاس بن الحارث^(١).

هذا ما حدّث به في المناقب، ومنه نعرف أنّ هناك واقعتين جرتا لأمير المؤمنين عليه السلام مع ولده العبّاس ومع العبّاس بن الحارث؛ فإنكار شيخنا الجليل المحدث النّوري في حضور العبّاس في صقّين، مُدّعياً اشتباه الأمر على بعض الرواة بالعبّاس بن الحارث، في غير محلّه؛ فإنّ الحجّة على تفنيد الخبر غير تامّة؛ لأنّ آحاد هذا البيت ورجالاتهم قد فاقوا الكلّ في الفضائل جميعها، وجاؤوا بالخوارق في جميع المراتب، فليس من البِدع إذا صدر من أحدهم ما يمتنع مثله عن الشجعان وإنّ لم يبلغوا مبالغ الرجال.

فهذا القاسم بن الحسن السّبط عليه السلام لم يبلغ الحلم يوم الطّفّ، وقد ملأ ذلك المشهد الرهيب هيبةً، وأهدى إلى قلوب المقارعين فرّقا، وإلى الفرائص ارتعاداً، وإلى النفوس خوراً، غير مبالٍ بالجحفل الجرّار، ولا بمكترثٍ بمزدحم الرجال حتّى قتل خمسة وثلاثين فارساً^(٢)، وبطبع الحال فيهم من هو أقوى منه، لكنّ البسالة وراثته بين أشبال (علي عليه السلام) على حدّ سواء، فهم فيها كأسنان المشط،

(١) المناقب للخوارزمي / ٢٣١، والنقل بالمعنى.

(٢) لواعج الأشجان للأمين / ١٧٤، بحار الأنوار ٤٥ / ٣٤، وفيه: فقتل على صغر سنّه خمسة وثلاثين

رجلاً. بدل فارس.

صغيرهم وكبيرهم، كما أتهم في الأنفة عن الدنية سيان، فلم يغتالوا الشبل الباسل حتى وقف يشدُّ شسع نعله، وهو لا يزن الحرب إلا بمثله، وقد أنف (شبل الوصي) أن يحتفي في الميدان.

أهوى يشدُّ حذاءه والحربُ مُشرعةٌ لأجله
ليسومها ما إن غلست هيجاؤها بشراك نعلها
مُتقلِّداً صنصمامه مُتفياً بظلال نصيلة
لا تعجبن لفعليه فالفرعُ مُرهنٌ بأصله
السحب يخلقها الحيا والليث منظرٌ بشيلة
يُردي الطليعة منهم ويُريهم آيات فعله^(١)

وهذا عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، بارز يوم الطَّفِّ الألوْف مع صغر سنه حتى قتل منهم - على رواية محمد بن أبي طالب - ثلاثة وتسعين رجلاً، بثلاث حملات. وهذا محمد بن الحنفية، فإن له مواقفاً محمودة في الجمل وصفين والنهروان، وكانت الراية معه، فأبلى بلاءً حسناً سجَّله له التاريخ وشكره الإسلام، وكان صغير السن على ما يظهر من السَّبَط في تذكرة الخواص، وابن كثير في البداية ج ٩ ص ٣٨^(٢)، فإتخما نصاً على وفاته سنة ٨١ عن خمس وستين، فتكون ولادته سنة ١٦ للهجرة، وله يوم البصرة الواقع سنة ٣٦ هـ عشرون سنة.

(١) للعلامة السيد مير علي أبو طبيخ رحمته الله.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٩ / ٣٢، تذكرة الخواص ٢ / ٢٩٨.

وحيثُ فلا غرابة في التحدّث عن موقف أبي الفضل عليه السلام وما أبداه من كَرِّ وإقدام؛ خصوصاً بعد ما أوقفنا النصَّ النبوي الآتي على ما حواه وُلْدُ أبي طالب من بسالة وبطولة. وأما يوم شهادة أخيه الإمام المجتبي عليه السلام فله أربع وعشرون سنة، وقد ذكر صاحب كتاب (قمر بني هاشم) ص ٨٤: أنه لما رأى جنازة سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام تُرمى بالسّهام، عظمَ عليه الأمر، ولم يطق صبراً دون أن جرّد سيفه وأراد البطش بأصحاب (البغلة) لولا كراهية السّبط الشهيد عليه السلام الحرب؛ عملاً بوصية أخيه عليه السلام: « لا تُهرق في أمرِي مَحْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ »^(١).

فصبر أبو الفضل عليه السلام على أحرّ من جمر الغضا، ينتظرُ الفرصة ويترقّبُ الوعدَ الإلهي، فأجهد النَّفس، وبذل النَّفس في مشهد (التّواويس)، وحاز كلتا الحسنيين.

(١) دلائل الإمامة / ١٦٢، الإرشاد للشيخ المفيد / ١٧، عمدة الطالب لابن عنبه / ٦٧ باختلاف

الألفاظ.

موقفه في الطّف:

ربما يستعصي البيان عن الإفاضة في القول في هذا الفصل لشدة وضوحه، وربما أعقب الظهور خفاءً؛ فإنّ من أبرز الصفات الحميدة في الهاشميين الشجاعة، وقد جُبلوا عليها، وبالأخص الطالبين، وقد أوقفنا على هذه الظاهرة الحديث النبوي: « لو ولدَ النَّاسُ أبو طالبٍ كُلُّهُمْ لكانوا شُجعاناً »^(١).

إذاً فما ظنك بطالبيّ أبوه أمير المؤمنين عليه السلام قاتل عمر بن عبد ود، ومزهق مرحب، وقالع باب خيبر، وقد عرق في ولده البسالة كلّها والشهامة بأسرها، وعلمه قراع الكتائب، فنشأ بين حروب طاحنة وغارات شعواء، وخوئلته العامريّون الذين شهد لهم عقيل بالفروسية؟! وللخوولة كالعومة عرق ضارب في الولد، ومن هنا قالت العرب: (فلان مُعَمُّ مُخَوَّلٌ) إذا كان كريمهم، وحوى المزايا الحميدة عنهما^(٢)، ولم يعقد أمير المؤمنين عليه السلام على أمّ البنين إلّا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠ / ٧٨، كشف الغمّة ٢ / ٢٣٥ باختلاف ألفاظ الرواية بلفظ: « لله درّ أبي طالب! لو ولدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ كانوا شُجعاناً ». كما في كشف الغمّة للأربلي، أو: « لو ولدَ أبو طالب النَّاسُ كُلُّهُمْ لكانوا شُجعاناً ». كما في شرح النهج.

(٢) لسان العرب ١١ / ٢٢٤، تاج العروس ١٤ / ٢١٦. وقد نظم هذه الخاصّة أبو بكر محمّد بن العباس الخوارزمي، المتوفى سنة ٣٧٣، ففي مُعجم البلدان ١ / ٥٧ مادة (أمل) أنّه قال:

بأملٍ مولدي وبُنُو جريـرٍ فأخوالي ويحكّي المرءُ حاله
فها أنا رافضيٌّ عن ثـراثٍ وغيري رافضيٌّ عن كلاله

عرّض بابن جرير صاحب التاريخ؛ فإنّه أخو أمه، وكان من أهل السُنّة، وإنّما نسبه إلى التشيع الحنابلة لتصحيحه حديث الغدير، فتشيّعه ادّعائي، وهو المُعْتَر عنه ب (الكلاله)؛ فإنّها في اللغة: ما لم يكن من النسب لحاً. فقول الحموي في المُعجم: (كذب الخوارزمي؛ لأنّ ابن جرير من أعلام السُنّة) مبنيٌّ على عدم فهمه الغرض من البيت، فالخوارزمي لم يعترف بتشيّعه.

وقال الذهبي في تاريخه ٢٧ / ٦٨، وقال الحاكم في تاريخه: كان واحد عصره في حفظ اللغة والشعر، وكان يُذاكرني بالأسماء والكنى حتّى يُحَيّرني حفظه...

لتلد له هذا الفارس المغوار والبطل المُجَرَّب، فما أخطأت إرادته الغرض، ولا عدى سهمه المرمى.

فكان أبو الفضل رمز البطولة ومثال الصولات، يلوح البأس على أسارير جبهته، فإذا يَمَّ كميّاً قصده الموت معه، أو التقى بمقبل ولاه دبره، ولم يبرح هكذا تشكره الحرب والضرب، وتشكوه الهامات والأعناق، ما خاض ملحمة إلاّ وكان ليلها المعتكر، ولم يلفَ في معركة إلاّ وقابل ببشره وجهها المُكفهر.

يُمَثِّلُ الكَرَّارَ فِي كَرَّاتِهِ بَلْ فِي المَعَانِي العُرِّ مِنْ صِفَاتِهِ
لَيْسَ يَدُ اللّهِ سِوَى أَبِيهِ وَقُدْرَةُ اللّهِ بَجَلَّتْ فِيهِ
فَهُوَ يَدُ اللّهِ وَهَذَا سَاعِدُهُ تُغْنِيكَ عَنِ إِثْبَاتِهِ مَشَاهِدُهُ
صَوَلْتُهُ عِنْدَ النَّزَالِ صَوَلْتُهُ لَوْلَا العُلُوُّ قُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ
وهل في وسع الشاعر أن ينضد خياله، أو يتسنى للكاتب أن يسترسل في وصف تلك
البسالة الحيدريّة، وجوهر الحقيقة قائم بنفسه، ماثلٌ أمام الباحث بأجلى من كلّ هاتيك
المعرفات في مشهد يوم الطّفّ؟!!

وأعمري، إنّ حديث كربلاء لم يُيق لسابقٍ في الشجاعة سبقاً، ولا للاحقٍ طريقاً إلاّ الالتحاق به، فلقد استملينا أخبار الشجعان في الحروب والمغازي يوم شأوا الأقران في الفروسية، فلم يعدهم في الغالب الاستظهار بالعدد، وتوفّر العتاد، وتحمي ممدّات الحياة من المطعم والمشرب، وفي الغالب إنّ الكفاية بين الجيشين المتقابلين موجودة.

يسترسل المؤرّخون لذكر شجعان الجاهلية والحالة كما وصفناها، واهتزّوا طرباً لقصة ربيعة بن مكرم، وهي: إنّ ربيعة بن مكرم بن عامر بن حرثان من بني مالك بن كنانة كان أحد فرسان مضر المعدودين، خرج بالظعينة وفيها أمّه أمّ سنان من بني أشجع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة، وأخته أمّ عزة، وأخوه أبو القرعة، ورأى الظعينة دُرَيْد بن الصمّة، فقال لرجل معه: صح بالرجل أنّ خلّ الظعينة وانج بنفسك. وهو لا يعرفه.

فلما رأى ربيعة أنّ الرجل قد ألحّ عليه، ألقي زمام الناقة وحمل على الرجل فصرعه، فبعث دريد آخر فصرعه ربيعة، فبعث الثالث ليعلم خبر الأوّلين فقتله ربيعة وقد انكسر رمحه، فلما وافاه دُرَيْد ورأى الثلاثة صرعى ورمحه مكسوراً، قال له: يا فتى، مثلك لا يُقتل، وهؤلاء يثأرون ولا رمح لك، ولكنّ خذ رمحي وانج بنفسك والظعينة. ثمّ دفع إليه رمحه ورجع دريد إلى القوم، وأعلمهم أنّ الرجل قتل الثلاثة وغلبه على رمحه، وقد منع بالظعينة، فلا طمع لكم فيه^(١).

هذا الذي حفظته السيرة مآثرة لربيعة بن مكرم بتهالكه دون الطعائن حتّى انكسر رمحه، ولكنّ أين هو من (حامى الظعينة) يوم

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٦ / ٣١٢.

قاتل الألو، وزعزع الصفوف عن المشرعة حتى ملك الماء وملاً القربة، والكُلَّ يرونه
ويحذرونه؟!

وأى لريعة من بواسل ذلك المشهد الرهيب فضلاً عن سيدهم أبي الفضل عليه السلام، فلقد
كان جامع رأيهم، فلم يقدمهم إلا إلى محلّ الشرف، مُنكباً بهم عن خطّة الخسف والضّعة،
على حين أنّ الأبطال تتقاذف بهم سكرات الموت؟!

هذا وللسيط المقدّس عليه السلام طرف شاخص إلى صنوه البطل المقدّام كيف يرسب ويطفو
بين نُجم الرجال، ووجهه مُتهلّل لكرّاته، ولحرائر بيت النبوّة أملّ موطدّ لحامية الطعائن.
واليك مثلاً من بسالته الموصوفة في ذلك المشهد الدامي، وهي لا تدعك إلا مُدعناً بما له
من ثبات ممنع عند الهزاهز، وطُمأنينة لدى الأهوال.

الأوّل: في اليوم السّابع من المحرّم حوَصر سيّد الشهداء عليه السلام ومَن معه، وسدّ عنهم باب
الورود، ونفذ ما عندهم من الماء، فعاد كُلُّ منهم يعالج لُهب الأوام^(١)، وبطبع الحال كانوا بين
أنّة وحنّة، وتضوّر ونشيج، ومُتطلّب للماء إلى متحرّ ما يبيل غلته، وكُلُّ ذلك بعين (أبي علي
عليه السلام) والغياري من آله، والأكارم من صحبه، وما عسى أن يجدوا لهم وبينهم وبين الماء
رماحُ مُشرعة وبوارقُ مُرهفة في جمعٍ كثيف يرأسهم عمرو بن الحجاج، لكنّ (ساقِي العِطاشِ
) لم يتطامن على تحمّل تلك الحالة.

أَوْ تَشْتَكِي الْعَطَشَ الْفَوَاطِمُ عِنْدَهُ وَبَصْدِرٍ صَعَدَتْهُ الْفِرَاثُ الْمُنْمَعُمُ
وَلَوْ اسْتَقَى نَهْرَ الْمَجْرَةِ لَارْتَقَى وَطَوِيلُ ذَابِلِهِ إِلَيْهَا سُلْمُ

(١) الأوام: العطش. راجع: لسان العرب ١٢ / ٣٨، القاموس المحيط ٤ / ٧٧، مجمع البحرين للطّريحي ١ /

١٣٥، تاج العروس ١٦ / ٣٨.

لَوْ سَادُّ ذِي الْقَرْنَيْنِ دُونَ وِرْوِدِهِ نَسَفْتُهُ هَمَّتُّهُ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ
فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى السَّقَاءُ يَقْلُهُ وَبِكَفِّهِ الْيَمْنَى الْحَسَامُ الْمِخْدَمُ
مِثْلَ السَّحَابَةِ لِلْقَوَاطِمِ صَوْبُهُ وَيُصِيبُ حَاصِبُهُ الْعَدُوَّ فَيُرْجَمُ

هناك قيض الحسين عليه السلام لهذه المهمة أحياه العباس، في حين أنّ نفسه الكريمة تنازعه إلى ذلك قبل الطلب، ويجدوه إليه حفاظه المتر، فأمره أن يستقي للحرائر والصبية وإن كان دونه شقّ المرائر وسفك المهج، وضمّ إليه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم عشرين قرية، وتقدّم أمامهم نافع بن هلال الجملي، فمضوا غير مبالين وكلّ بحفظ الشريعة؛ لأنّهم محتفون بشتيم من آل محمد صلى الله عليه وآله، فتقدّم نافع باللواء، وصاح به عمرو بن الحجاج: من الرجل؟ وما جاء بك؟

قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلاّتمونا عنه. فقال له: اشرب هنيئاً. قال نافع: لا والله، لا أشرب منه قطرة والحسين ومن ترى من آله وصحبه عطاشى. فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، وإنما وضعنا هاهنا لنمنعهم الماء. ثمّ صاح نافع بأصحابه: املاؤا قريكم. وشدّ عليهم أصحاب ابن الحجاج، فكان بعض القوم يملأ القرب وبعض يُقاتل، وحاميههم (ابنُ بجدتها) مُسدّد الكماة، المترّي في حجر البسالة الحيدريّة والمترّضع من لبانها (أبو الفضل)، فجاؤوا بالماء وليس في القوم المناوئين من تُحدّثه نفسه بالدنوّ منهم؛ فرقاً من ذلك البطل المغوار، فبلّت غلّة الحرائر والصبية الطيبة من ذلك الماء، وابتهجت به النفوس^(١).

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٢، مقتل الحسين لأبي مخنف / ٩٨.

ولكن لا يفوت القارئ معرفة: إنّ تلك الكميّة القليلة من الماء ما عسى أن تُجدي أولئك الجمع الذي هو أكثر من مئة وخمسين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، أو أنّهم ينيفون على المتّين على بعض الروايات؟! ومنّ المقطوع به أنّه لم تروِ أكبادهم إلاّ مرّة واحدة، أو أنّها كمصّة الوشل، فسرعان أن عاد إليهم الظمّ، وإلى الله سبحانه المُشْتكى.

الثاني: كان أصحاب الحسين عليه السلام بعد الحملة الأولى التي استشهد فيها خمسون، يخرج الاثنان والثلاثة والأربعة، وكلُّ يحمي الآخر من كيد عدوّه، فخرج الجابريان وقاتلا حتّى قُتلا، وخرج الغفاريان فقاتلا معاً حتّى قُتلا، وقاتل الحُرّ الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره حتّى فعلا ذلك ساعة، فكان إذا شدّ أحدهما واستلحم، شدّ الآخر واستنقذه حتّى قُتل الحُرّ^(١).

وفي تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٥: إنّ عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه، وجابر بن الحارث السلمي، ومجمع بن عبد الله العائذي شدّوا جميعاً على أهل الكوفة، فلمّا أوغلوا فيهم عطف عليهم النَّاس من كلّ جانب وقطعوه عن أصحابهم، فندب إليهم الحسين عليه السلام أخاه العباس، فاستنقذهم بسيفه، وقد جرحوا بأجمعهم، وفي أثناء الطريق اقترب منهم العدو، فشدّوا بأسيافهم مع ما بهم من الجراح وقاتلوا حتّى قُتلوا في مكان واحد، وفازوا بالسّعادة الخالدة.

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٠، مقتل الحسين لأبي مخنف / ١٦٠.

الشهادة:

لم يفتأ لقمر بني هاشم دؤب على مناصرة الحقّ في شتم وإبءاء عن النّزول على حكم الدنيّة، منذ كان يرتضع لبان البسالة، وترى في حجر الإمامة، فترعرع ونُصّب عينه أمثلة الشجاعة والتضحية دون التّواميس الإلهيّة، لمطاردة الرجال ومجالدة الأبطال؛ فإمّا فوز بالظفر أو ظفر بالشهادة، فمن الصعب عنده النّزول على الضيم، وهو يرى الموت تحت مشتبك الأسنة أسعد من حياة تحت الاضطهاد، فكان لا يرى للبقاء قيمةً و (إمام الحقّ) مكثور، وعقائل بيت الوحي قد بلغ منهمنّ الكرب كُلاًّ مبلغ.

ولكنّ لما كان - سلام الله عليه - أنفَس الذخائر عند السّبط الشهيد عليه السلام وأعرّ حاتمته لديه، وطمأنينة الحرم بوجوده وبسيفه الشاهر، ولوائه الخفاق وبطولته المعلومة، لم يأذن له إلى النّفس الأخير من التّهضة المقدّسة، فلا الحسين عليه السلام يسمح به، ولا العائلة الكريمة تألف بغيره، ولا الحالة تدعه لأن يُغادر وحرائر أبيه بين الوحوش الكواسر.

هكذا كان أبو الفضل بين نزوع إلى الكفاح بمقتضى غريزته، وتأخّر عن الحركة لباعثٍ دينيٍّ وهو طاعة الإمام عليه السلام، حتّى بلغ الأمر نصابه، فلم يكن لجاذب الغيرة أو دافعها مكافئ، وكان ملء سمعه ضوضاء الحرم من العطش تارة، ومن البلاء المقبل أخرى، (ومركز الإمامة) دارت عليه الدوائر، وتقطّعت عنه خطوط المدد، وتفانى صحبه وذووه.

هنالك هاج (صاحب اللّواء) - ولا يلحقه الليث عند الهياج - فمثل أمام أخيه الشهيد يستأذنه، فلم يجد أبو عبد الله عليه السلام بُدّاً من الإذن، حيث وجد نفسه لتسبق جسمه؛ إذ ليس في وسعه البقاء على تلك الكوارث المثلّمة من دون أن يأخذ ثأره من أولئك المردة، فعزّفه الحسين عليه السلام أنه مهما ينظر اللّواء مرفوعاً كأنّه يرى العسكر مُتّصلاً والمدد مُتتابعاً، والأعداء تحذر صولته وترهب إقدامه، وحرائر النّبوة مطمئنة بوجوده، فقال له: « أنت صاحب لوائي، ولكن اطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء ».

فذهب العباس عليه السلام إلى القوم ووعظهم وحدّثهم غضب الجبار، فلم ينفع، فرجع إلى أخيه وأخبره، فسمع الأطفال يتصارخون من العطش، فنهضت ب (ساقى العطاشى) غيرته الشّماء وأخذ القرية، وركب فرسه وقصد الفرات، فلم يرعه الجمع المتكاثر، وكشفهم شبليّ عليّ عن الماء ومَلَك الشريعة، ومدّ أحسن برده تذكّر عطش الحسين عليه السلام، فرأى من واجبه ترك الشرب؛ لأنّ الإمام عليه السلام ومن معه أضربّ بهم العطش، فرمى الماء من يده وأسرع بالقرية محافظاً على مهجة الإمام عليه السلام ولو في آن يسير، وقال^(١):

يا نفسُ من بعد الحسينِ هُويي وبعده لا كُنْتِ أن تكوئي
هذا الحسينُ وارِدُ المنونِ وتشيرينَ ببارد المعينِ
تالله ما هذا فعألُ ديني

فتكاثروا عليه وقطعوا طريقه، فلم يُبالِ بهم، وجعل يضرب فيهم بسيفه، ويقول:

(١) بحار الأنوار ٤٥ / ٤٢، مقتل الحسين لأبي مخنف / ١٧٩، ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ٣ /

لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتى أوارى في المصاليت لقي
 إني أنا العباس أعدو بالسقا ولا أهاب الموت يوم الملتقى
 فكمن له زيد بن الرقاد الجهني، وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي، فضربه على يمينه
 فقطعها، فأخذ السيف بشماله وجعل يضرب فيهم، ويقول:
 واللّه إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني
 وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين
 فكمن له حكيم بن الطفيل من وراء نخلة، فضربه على شماله فبرأها، فضم اللواء إلى
 صدره.

فعند ذلك أمنوا سطوته وتكاثروا عليه، وأتته السهام كالمطر؛ فأصاب القرية سهم وأريق
 ماؤها، وسهم أصاب صدره، وسهم أصاب عينه، وحمل عليه رجل بعمود من حديد وضربه
 على رأسه المقدس.

وهوى بجنب العلقمي فليته للشارين به يداف العلقم
 ونادى بصوت عالٍ: عليك مني السلام يا أبا عبد الله^(١). فأتاه الحسين عليه السلام، ويا ليتني
 علمت بماذا أتاه، أبحياة مستطارة منه بذلك الفادح الجلل، أو بجاذب من الأحوّة إلى مصرع
 صنوه المحبوب!

نعم، حصل الحسين عليه السلام عنده وهو يُبصر هيكل البسالة وقربان القداسة فوق الصعيد،
 وقد غشيتة الدماء السائلة وجلّته التبال، ورأى ذلك الغصن الباسق قد ألم به الذبول، فلا
 يمين تبطش ولا

(١) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ٣ / ٦٨.

منطقٌ يرتجز، ولا صولةٌ ترهبُ ولا عينٌ تُبصر، ومرتكز الدماغ على الأرض مبددٌ.
أصحيح أنّ الحسين عليه السلام ينظر إلى تلکم الفجائع ومعه حياة تقدمه، أو عافية تنهض به؟
لا والله، لم يبق الحسين عليه السلام بعد أبي الفضل إلا هيكلًا شاخصاً مُعرى عن لوازم الحياة،
وقد أعرب سلام الله عليه عن هذا الحال بقوله: «الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي، وشمّت
بي عدوي».

وبان الانكسار في جبينه فانددت الجبال من حنينه
كافل أهله وساقى صبيته وحامل اللوا بعالي همته
وكيف لا وهو جمال بهجته وفي تحياه سرور مهجته
ورجع إلى المخبيم منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكمه كي لا تراه النساء^(١)، وقد
تدافت الرجال على مخيمه، فنادى بصوت عالٍ: «أما من مجير يجيرنا؟ أما من مغيث يغيثنا؟
أما من طالب حق ينصُرنا؟ أما من خائف من النار فيذب عنا؟».
كُلّ هذا لإبلاغ الحجة، وإقامة العذر حتى لا يعتذر أحدٌ بالغفلة يوم يقوم الناس لربّ
العالمين.

ولما رآته سكينه مُقبلاً أخذت بعنان جواده، وقالت: أين عمي العباس، أراه أبطأ بالماء؟
فقال لها: «إنّ عمك قُتل». فسمعت زينب فنادت: وا أخاه! وا عباساه! وا ضيعتنا بعدك!
وبكين النسوة وبكى الحسين عليه السلام معهنّ، ونادى: «وا ضيعتنا بعدك أبا الفضل».

(١) بحار الأنوار ٤٥ / ٤٢.

المشهد المُطَهَّر:

مَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الْإِمَامَ الشَّهِيدَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَتْرِكِ الْقِتْلَى فِي حَوْمَةِ الْمِيدَانِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَأْمُرُ بِحَمْلِهِمْ إِلَى الْفَسْطَاطِ الَّذِي يُقَاتِلُونَ دُونَهُ، وَهَذَا وَإِنْ لَمْ نَجِدْهُ صَرِيحاً فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْتَشْهِدِينَ إِلَّا أَنَّ التَّأَمُّلَ فِيهَا يُوَثِّرُ فِي الْوَاقِعَةِ يَقْتَضِيهِ، وَإِنَّ طَبْعَ الْحَالِ يَسْتَدْعِيهِ، وَيُوَيِّدُهُ مَا فِي الْبَحَارِ مِنْ حَمْلِ الْحُرِّ حَتَّى وَضِعَ بَيْنَ يَدَيْ الْحُسَيْنِ ﷺ، وَعِنْدَ سَقُوطِ عَلِيِّ الْأَكْبَرِ أَمَرَ الْحُسَيْنَ ﷺ فِتْيَانَهُ أَنْ يَحْمِلُوهُ إِلَى الْفَسْطَاطِ الَّذِي يُقَاتِلُونَ دُونَهُ، وَقَدْ حَمَلَ الْقَاسِمُ بِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةَ حَتَّى وَضَعَهُ مَعَ ابْنِهِ الْأَكْبَرِ، وَقَتَلَى حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ.

هذا لفظ ابن جرير وابن الأثير، ومن البعيد جداً أن يحمل سيّد الشهداء ﷺ أهل بيته خاصّة إلى الفسطاط ويترك أولئك الصفوة الأكارم الذين قال فيهم: « لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ». ففضّلهم على كلّ أحد حتّى على أصحاب جدّه وأبيه (صلوات الله عليهما وآلهما)، وإنّ كلّ أحد لا يرضى من نفسه هذه الفعلة، فكيف بذلك السيّد الكريم الذي علّم الناس الشّمم والإباء والغيرة؟!

على أنّ الفاضل القزويني يحكي في تظلم الزهراء ﷺ ص ١١٨ عن غيبة النعماني: أنّ أبا جعفر الباقر ﷺ يقول: « كان الحسين يضع قتلاه بعضهم مع بعض، ويقول: قتلة مثل قتلة النّبیین وآل النّبیین »^(١).

(١) الغيبة للنعماني / ٢١٩، والنص: « كان الحسين بن عليّ يضع قتلاه بعضهم إلى بعض، ويقول: قتلانا قتلى النّبیین ». »

نعم، ممّا لا شكّ فيه أنّه عليه السلام ترك أخاه العباس في محلّ سقوطه قريباً من المسنّاة، لا لما يمضي في بعض الكتب من كثرة الجروح وتقطع الأوصال، فلم يقدر على حمله؛ لأنّ في وسع الإمام عليه السلام أن يُحرّك ذلك الشلو المُبضع إلى حيث أراد ومتى شاء؛ وإلاّ لما قيل: من أنّ العباس أقسم عليه بجدّه الرسول ﷺ أن يتركه في مكانه؛ لأنّه وعد سكينه بالماء ويستحي منها^(١)؛ لعدم الشاهد الواضح على كلّ منهما.

بل إنّما تركه لسرّ دقيق، ونكتة لا تخفى على المتأمل ومَن له ذوق سليم، ولولاه لم يعجز الإمام عليه السلام عن حمله مهما يكن الحال، وقد كشفت الأيّام عن ذلك السرّ المصون، وهو: أن يكون له مشهد يُقصد بالحوائح والزيارات، وبقعة يزدلف إليها النَّاس وتترلّف إلى المولى سبحانه تحت قبته التي تحك السّماء رفعةً وسناءً؛ فتظهر هنالك الكرامات الباهرة، وتعرف الأُمَّة مكانته السّامية ومنزلته عند الله؛ فتُقدِّره حقّ قدره، وتؤدّي ما وجب عليهم من الحبّ المتأكّد والزورة المتواصلة، ويكون عليه السلام حلقة الوصل بينهم وبين الله تعالى، وسبب الزلفى لديه.

فشاء المهيمن تعالى شأنه، وشاء وليّه وحجّته أن تكون منزلة أبي الفضل الظاهريّة شبيهة بالمنزلة المعنويّة الأخرويّة، فكان كما شاء وأحبّ.

(١) الدمعة السّاكبة ٤ / ٣٢٤، قال: أقول: وفي بعض الكتب المعتبرة: إنّ من كثرة الجراحات الواردة على العباس عليه السلام لم يقدر الحسين عليه السلام أن يحملهُ إلى محلّ الشُّهداء، فترك جسده في محلّ قتله ورجع باكياً حزيناً إلى الخيام.

ولو حمله سيّد الشهداء عليه السلام إلى حيث مجتمع الشهداء في الحائر الأقدس لغمره فضل الإمام الحجّة عليه السلام، ولم تظهر له هذه المنزلة التي ضاهت منزلة الحجج الطاهرين عليهم السلام، خصوصاً بعد ما أكّد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بإفراد زيارة مُختصّة به، وإذناً بالدخول إلى حرمة الأطهر كما شرّع ذلك لأئمّة الهدى عليهم السلام، غير ما يُزار به جميع الشهداء بلفظ واحد، وليس هو إلّا لمزايا اختصّت به.

وقد أرشدتنا آثار أهل البيت عليهم السلام على هذا الموضع من مرقد الطيّب، ففي كامل الزيارات لابن قولويه ص ٢٥٦ بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي، عن الصادق عليه السلام قال: « إذا أردت زيارة العباس بن عليّ وهو على شطّ الفرات بحذاء الحير، فقف على باب السقيفة، وقل: سلام الله وسلام ملائكتيه... ».

وحكى المجلسي - أعلى الله مقامه - في مزار البحار، عن الشيخ المفيد وابن المشهدي زيارةً أخرى له في هذا المشهد الذي أشار إليه الصادق عليه السلام، برواية غير مُقيّدة بوقت من الأوقات. وهكذا حُكي عن المفيد والشهيد والسيد ابن طاووس في زيارة النصف من رجب، وليلة القدر، ويومَي العيدين، ومثله العلامة التّوري في تحية الزائر.

وعبارة المفيد في الإرشاد صريحة فيما نصّت به رواية أبي حمزة الثمالي؛ فإنّه قال عند ذكر مَنْ قُتل من آل الحسين عليه السلام: وكلّهم مدفونون ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام في مشهده، حُفر لهم حفيرة وألقوا فيها جميعاً... إلّا العباس بن عليّ رضوان الله عليه، فإنّه دُفن في موضع مقتله على المسناة بطريق الغاضريّة، وقبره ظاهرٌ،

وليس لقبور إخوته وأهله الذين سمّيناهم أثرٌ، وإمّا يزورهم الزائر من عند قبر الحسين عليه السلام، ويومئ إلى الأرض التي نحو رجليه بالسلام، وعلي بن الحسين في جملتهم، ويُقال: إنّه أقرهم دفناً إلى الحسين عليه السلام. فأما أصحاب الحسين عليه السلام الذين قُتلوا معه، فإنّهم دُفِنوا حوله، ولسنا نحصل لهم أجداناً على التحقيق، إلاّ أنا لا نشكّ أنّ الحائر محيطٌ بهم^(١).

وعلى هذا مشى العلماء المحقّقون والمُتقبّون في الآثار من كون مشهده بجذاء الحائر الشريف، قريباً من شطّ الفرات، نصّ عليه الطبرسي في إعلام الوري ص ١٤٧، والسيد الجزائري في الأنوار التعمانيّة ص ٣٤٤، والشيخ الطريحي في المنتخب، والسيد الداودي في عمدة الطالب ص ٣٤٩، وحكاها في رياض الأحزان ص ٣٩ عن كامل السقيفة^(٢).

وهو الظاهر من ابن إدريس في السرائر، والعلامة في المنتهى، والشهيد الأول في مزار الدروس، والأردبيلي في شرح الإرشاد، والسبزواري في الذخيرة، والشيخ آقا رضا في مصباح الفقيه؛ فإنّهم نقلوا كلام المفيد ساكتين عليه^(٣).

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ / ١٢٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢٥٦.

(٣) السرائر ١ / ٣٤٢، منتهى المطلب ١ / ٣٩٥، ذخيرة العباد ٤١٣، غنائم الأيام ٢ / ١٣٢، جواهر الكلام ١٤ / ٣٤٠، مصباح الفقيه ٢ / ٧٦١، كتاب الصلاة للشيخ الحائري ٦٥٥، مُستمسك العروة الوثقى للحكيم ٨ / ١٨٨.

وفي مزار الدروس ٢ / ٢٥: ... ثمّ يزور الشُّهداء، ثمّ يأتي العباس بن عليّ عليه السلام فيزوره...

ملاحظة:

تقدّم في نقل البحار أنّ الحُرَّ الرياحي حُمِل من الميدان ووُضع أمام الحسين عليه السلام، وعليه يكون مدفوناً في الحائر الأطهر.

ولكن في الكبريت الأحمر ج ٣ ص ١٢٤ جاءت الرواية عن مدينة العلم للسيد الجزائري: إنّ السجّاد عليه السلام دفنه في موضعه، مُنحازاً عن الشُّهداء. وفي ص ٧٥ ذكر أنّ جماعة من عشيرته نقلوه عن مصرع الشُّهداء؛ لئلا يُوطأ بالخيل إلى حيث مشهده، ويُقال: إنّ أمّه كانت معه، فأبعدته عن مجتمع الشُّهداء.

وإذا صحَّ حمل العشيرة إياه إلى حيث مشهده، فلا يتمّ ما في مدينة العلم من دفن السجّاد عليه السلام له؛ فإنّه من البعيد جداً أن تحمله العشيرة ثمّ تترك عميدها في البيداء عرضة للوحوش، بل لم يعهد ذلك في أي أمة وملة.

وعلى كلّ، فهذا المشهد المعروف له ممّا لا ريب في صحته؛ للسيرة المستمرة بين الشيعة على زيارته في هذا المكان، وفيهم العلماء والمتديّنون.

ويظهر من الشهيد الأوّل المصادقة عليه؛ فإنّه قال في مزار الدروس: وإذا زار الحسين عليه السلام فليزر عليّ بن الحسين، وهو الأكبر على الأصح، وليزر الشُّهداء وأخاه العباسَ والحُرَّ بنَ يزيد^(١).

(١) الدروس للشهيد الأوّل ٢ / ١١ والعبارة بالمعنى، الينابيع الفقهيّة ٣٠ / ٤٩٣.

ووافقهُ العلامة النّوري في اللؤلؤ والمرجان ص ١١٥، واعتماد السّلطنة محمّد حسن المراغي - من رجال العهد النّاصري - في حجّة السّعادة على حجّة الشّهادة ص ٥٦ طبع تيريز. وقال المجلسي في مزار البحار عند قوله عليه السلام في زيارة الشّهداء العامّة: فإنّ هناك حومة الشّهداء. المراد منه معظمهم أو أكثرهم، لخروج العباس والحُرّ عنهم^(١).

ويشهد له ما في الأنوار التّعمانية ص ٣٤٥: إنّ الشاه إسماعيل لما ملك بغداد، وزار قبر الحسين عليه السلام، وبلغه طعن بعض العلماء على الحُرّ، أمر بنبشه لكشف الحقيقة، ولما نبشوه رآه بهيئته لما قُتل، ورأى على رأسه عصابة قيل له: إنّها للحسين عليه السلام، فلما حلّها نبع الدّم كالميزاب، وكلّما عالج قطعة بغيرها لم يتمكّن، فأعادها إلى محلّها، وتبيّنت الحقيقة، فبنى عليه قبةً وعيّن له خادماً، وأجرى لها وقفاً.

(١) بحار الأنوار ٤٥ / ٦٥، و ٩٨ / ٣٦٩، المزار للمشهدي / ٤٨٦، إقبال الأعمال ٣ / ٧٣.

الحائز:

جاء في حديث الصادق عليه السلام لفظ الحَيْر، فإنه قال: « وهو على شطِّ الفُراتِ بحذاء الحَيْر

».

والحَيْر، بالفتح فالسكون كالحائر: هو المكان المُخفَض الذي يسيل إليه ماء الأمطار
ويجتمع فيه. وفي تاج العروس بمادة حور: الحائر: اسمٌ موضع فيه مشهد الإمام المظلوم
الشهيد أبي عبد الله الحسين^(١).

ولم تحدث التسمية بالحائر من استدارة الماء حول القبر المُقدَّس حين أُجري عليه بأمر
المُتوكِّل العباسي؛ لأنَّ لفظ الحائر والحَيْر وقع في لسان الصادق والكاظم عليهما السلام قبل
استخلاف المُتوكِّل.

نعم، إنَّ الله سبحانه أكرم حُجَّته وولَّيه المذبح دون دينه القويم، ممنوعاً من ورود الماء
الذي يُجعل شرعاً سواء لعامة المخلوقات، باستدارة الماء حول قبره يوم أُجري عليه؛ لإغفاء
أثره ومحو رسمه (ولن يزداد أثره إلا علواً)^(٢).

(١) لسان العرب ٤ / ٢٢٣، تاج العروس ٦ / ٣٢١، مجمع البحرين ١ / ٦٠٥.

(٢) أقول: (وأنا العبد الفقير إلى الله تعالى مُحقق هذا الكتاب محمد الحسون) من بعد غيبة طويلة وفراق
مرير انجلت سُحب الآهات عن قلبي، وارتوى ضمائي بمعين النَّظَر إلى قبرٍ ضمَّ حَيْرٍ ناصرٍ لأبي الأحرار الحسين
عليه السلام، وشُفي غليلي بالنزول بقعوة مُعَيَّبه، فاستشممتُ عطرَ الملائكة الحافين بترتبه؛ حيث وَقَّني الباري تعالى أن
أزور قبر قمر بني هاشم أبي الفضل العباس عليه السلام، الواقع في السرداب المُقدَّس الكائن تحت القبة الشريفة،
فتغشيتني رحمة ربِّي تعالى بمُشاهدة الماء الذي يأتي في ساقيةٍ من جهة قبر سيِّد الشُّهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام
- الذي لم يذق من برده شربةً، وقد مضى بقلبٍ حزَّته أشفاؤُ الظما كما حزَّ خنجرُ الضبابي منخره الشريف - ثم
يدور حول قبر السَّقَاء الذي آثر ألم الظما على الرواء، وارتوى بروح الوفاء لأخيه وابن بنت رسول الله
صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حيث الكلمة الخالدة:

يا نفسُ من بعد الحسينِ هُوبي وبعدهُ لا كُنْتِ أنْ تكـُـوبي
هـذا حُسـُـيٌّ وارِدُ المنـُـونِ وتَشـُـرِّينَ بـارِدَ المعـُـينِ
والله ما هـذا فعـالٌ ديبـي ولا فعـالٌ صـادقِ اليقـينِ

ومن بعد قرون متطاوله يستمر دوران الماء دورةً كاملة حول قبر الشهيد الظامي، والأخ المواسي لأخيه، ثم
يخرج من خلال ساقية إلى خارج كربلاء المُقدَّسة.

ولقد شَعَت هذه الآية الباهرة، فاستضاءت منها الحقب والأعوام، واهتَزَّت لها الأندية والمحافل ارتياحاً، وتناقلها العلماء المُتَقَبُونَ في حوامعهم، منهم الشهيد الأوَّل في الذكرى، والأردبيلي في شرح الإرشاد، والسبزواري في الذخيرة، والشيخ الطُّرَيْحِي في المنتخب، والشيخ المُحَقِّق في الجواهر.

وكم لآل الرسول ﷺ من براهين كاثرت النَّجْمُ بكثرتها، وقد اجتهد أهل العناد في إغفالها أو افتعال نظائرها لأئمتهم؛ حقداً وحسداً: (وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورَهُ)^(١).

مَنْ يُبَارِيهِمْ فِي الشَّمْسِ مَعْنَى مُجْهِدٌ مُتَعَبٌ لِمَنْ بَارَاهَا
وَرُثُوا مِنْ مُحَمَّدٍ سَبَقَ أَوْلَا هَا وَحَازُوا مَا لَمْ تَحْزُ أَخْرَاهَا
قَادَةٌ عِلْمُهُمْ وَرَأْيُ حِجَاهُمْ مُسْمِعاً كُلَّ حِكْمَةٍ مِنْظَرَاهَا
عِلْمَاءُ أُمَّةٍ حُكْمَاءُ يَهْتَدِي النَّجْمُ بِاتِّبَاعِ هُدَاهَا

(١) سورة التوبة / ٣٢.

يتحدّث اليفعي في مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٧٣ عن كرامةٍ لأحمد بن حنبل، فيقول: زادت دجلة زيادة مفرطة حتّى خربت مقبرة أحمد بن حنبل، سوى البيت الذي فيه ضريحه؛ فإنّ الماء دخل في الدهليز علوّ ذراع ووقف بإذن الله، وبقيت البواري عليها الغبار حول القبر، صحّ الخبر.

هكذا يرتاح لهذه الكرامة ويصحّح الخبر، ولكنّه يتوقّف عن إثبات تلك الكرامة لسيد شباب أهل الجنّة، وفلذة كبد الإسلام، وريحانة النّبّيّ الأعظم ﷺ. وما أدري بماذا يعتذر يوم جرفت دجلة قبر ابن حنبل ومحت أثره حتّى لم يُعرف له ضريح إلى اليوم^(١)!

وقد أجاد العلامة الشيخ محمّد السماوي، إذ يقول:

ألا من عذيري يا بنيّ العليم والحجّي من اليفعيّ الحنبليّ المجلّل
يكدّبني إن قلت قبر ابن فاطم عليه استدار الماء للمتوكّل
ويزعم حار الماء ولم تجلّ غبرة على حصر كانت بقبر ابن حنبل
وإنّ لأمثال ذلك في كتبهم أنشأ الكثير، أرادوا به المقابلة لما صدر من آل النّبّيّ المعصومين عليه السلام، والإشارة إلى بعض ما أوقفنا البحث عليه وإنّ يُخرجنا عن وضع الرسالة، إلّا أنّ الغرض تعريف القارئ بأنّ العداء كيف يأخذ بالشخص إلى إنكار البديهي، والتّعامي عن التّيرات!

(١) بغداد في عهد العباسيّين / ١٤٦.

ذكر الياضي في مرآة الجنان ج ٣ ص ١١٣: إنّ أبا إسحاق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هجرية لما ورد بلاد العجم، خرج أهلها إليه بنسائهم وأطفالهم للتبرك به، فكانوا يمسحون أردانهم به، ويأخذون من تراب نعله فيستشفون به.

وإذا صحّ مثل هذا، فلماذا كان الاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام، وهو سيّد شباب أهل الجنة، بدعة وضلالة؟!

ثمّ في ج ٣ ص ١٣٣ منه، يعدّ من فضائل أحمد وكراماته، وما حباه الله عن خدمته في الدّين: إنّ إبراهيم الحري رأى في المنام بشر الحافي خارجاً من مسجد الرصافة وفي كفه شيء، فسأله عنه، فقال: لما قدم علينا روح أحمد بن حنبل نثر عليه الدر والياقوت، فهذا ممّا التقطته!

أصحيح أنّ تعدّ هذه الرؤيا من الكرامات، ويُعدّ من الباطل حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في حقّ سيّد الوصيّين عليه السلام، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى، ولولاه لما قام للدّين عمود، ولما أخضّر له عود؛ وذلك لما تزوّج أمير المؤمنين من سيّدة نساء العالمين عليها السلام، بأنّ الله تعالى أمر شجرة طوبى أن تحمل صكاً فيها براءة لمحيّ علي وفاطمة عليهما السلام من النار، وأنشأ تحتها ملائكة التقطوا ما نثرته عليهم، يحفظونه إلى يوم القيامة؛ كرامة لعلي وفاطمة عليهما السلام؟!

ثمّ يرمي راوي هذه الكرامة بالجهالة والرفض، ويعدّ الحديث من الموضوعات^(١)، مع شهرة الحديث بين المُحدّثين والمُتنبّين في الآثار.

(١) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١ / ٣٦٤.

وجاء السبكي فعداً في طبقات الشافعية ج ١ ص ٢١٥ من فضائل أحمد بن نصر الخزاعي، الذي قتله الوثائق على مسألة خلق القرآن: تكلم رأسه بالقرآن لما قُطع، وبقي يقرأه إلى أن ألحق بالجسد ودُفن.

وإذ سمعوا بأن رأس الحسين عليه السلام الذي قُتل في سبيل الدعوة الإلهية وإحياء الدين، يتكلم بالقرآن؛ لإتمام الحجّة، وتعريفاً للأمة طغيان أولئك الأمراء، ولئلا تذهب تلك التضحية المقدّسة أدراج التمويهات، طعنوا في الحديث، ونسبوا روايه إلى الرفض والجهالة، مع أنّ الحسين عليه السلام لم يخرج عن كونه ابن الرسول صلى الله عليه وآله، وقد شهد الصادق الأمين له ولأخيه المجتبي (صلوات الله عليهم) بأنّهما إماما هذه الأمة إنّ قاما وإنّ قعدا، وأنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة، ولم يخرج أشراً ولا بطراً، ولا ظالماً للعباد، ولا غاصباً للحقوق.

ولم يقتنع بذلك حتّى ادّعى كرامة لإسماعيل الحضرمي، وأنّها من المستفيض، قال في ج ٥ ص ٥١ من طبقات الشافعية: إنّ إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل الحضرمي كان في سفر ومعه خادمه، فأشرفت الشمس على الغروب، فقال لخادمه: قُلْ للشمس تقف حتّى نصل المنزل ونُصلّي! فقال الخادم: إنّ الفقيه إسماعيل يقول لك: قفي. فوقفت حتّى بلغ المنزل وصلّي، ثمّ قال للخادم: أما تطلق ذلك المحبوس؟! فأمرها الخادم بالغروب، فغابت وأظلم الليل في الحال!!

هكذا يقول الخبر من المستفيض في رجل قصارى ما يتخيّل فيه أنّه أحد الأولياء، وينكر حديث ردّ الشمس لأمر المؤمنين عليهم السلام، وكان من أعلام النبوّة!

ويرتاح الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٤ ص ٤٢٣ إلى حديث الوركاني بوقوع المآثم والتّوح في أربعة أصناف من النّاس: المسلمين، واليهود، والنّصارى، والمجوس، يوم وفاة أحمد بن حنبل^(١)، ولا يكون هذا من البدعة والشناعة والخروج عن أخلاق المؤمنين! كما تحاملوا بذلك على الشيعة في إقامتهم المآثم والنّياحة على سليل الرسول ﷺ وريحانته حتى قال الغزالي في مكاشفة القلوب ص ١٨٧: إيتاك أنّ تشتغل ببذع الرافضة من التّدب والنّياحة والحزن؛ فإنّ ذلك ليس من أخلاق المؤمنين!! وضرب على وتره غير واحد من المؤرّخين.

وما ذنب الشيعة والمشرّع الأعظم ﷺ بكى على ولده الحسين عليه السلام وهو حيّ يُرزق لمجرّد تذكّر ما يجري عليه، فيخرج إلى المسجد ودموعه جارية، فتبكي الصحابة لبكائه، وفيهم: أبو بكر وعمر، وأبو ذر وعمّار، ويُسأل عن سبب بكائه، فيقول ﷺ: «الآن حدّثني جبرائيل بما يجري على الحسين»^(٢).

وتمرّ أمير المؤمنين عليه السلام بوادي كربلاء في ذهابه إلى صفّين، فيقف هناك ويرسل عبرته، ويقول: «هذا مناخُ ركبهم، ومهراقُ دماهم، طوبى لك من تُربة تُراق عليك دماء الأحيّة!»^(٣).

-
- (١) تاريخ بغداد ٥ / ١٨٨، الجرح والتعديل للرازي ١ / ٣١٣، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٥ / ٣٣٣، تهذيب الكمال للمزي ١ / ٤٦٨.
- (٢) الخصائص الكبرى للسيوطي ٢ / ١٢٥.
- (٣) قرب الإسناد ٢٦ / ٢٦، كامل الزيارات ٤٥٣ / ٩٧، ذخائر العقبى ٩٧ / ٩٧، بحار الأنوار ٤١ / ٢٩٥، كشف الغمّة ٢ / ٢٢٢، الخصائص الكبرى للنسائي ٢ / ١٢٦، الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي ٧٦١ / جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ للدمشقي ٢٦٣ / باختلاف الألفاظ.

إذاً، فهلاًّ تحسن مواساة صاحب الشريعة ووصيه المقدم بعد وقوع الحادثة على فلذة كبده صاحب التهضة المقدسة، والله عز وجل يقول: (لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)^(١)! على أن الأحاديث الصحيحة عندهم عن أمتهم تحثهم على التظاهر بما فيه إحياء أمرهم؛ من الدعوة إلى سبيل الدين، وإظهار الجزع والبكاء والتّوح على سيد شباب أهل الجنة عليه السلام .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في دعائه الطويل وهو ساجد: « اللهم، ارحم تلك الصرخة التي كانت لنا. اللهم، إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم إلينا فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا؛ رغبة في برنا، وصلة لرسولك، وخلافاً منهم على ما خالفنا. اللهم، أعطهم أفضل ما يأملون في غربتهم عن أوطانهم، وما أثرونا به على أبنائهم »^(٢).

ويقول عليه السلام لحماد الكوفي: « بلغني أن أناساً من الكوفة وغيرهم من نواحيها يأتون قبر الحسين في التصف من شعبان؛ فبين قارئ يقرأ، وقاص يقص، ومادح يمدح، ونساء يندبنه؟ ». فقال حماد: قد شهدت بعض ما تصف. فقال عليه السلام: « الحمد لله الذي جعل في شيعتنا من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل في عدونا من يقبح ما يصنعون »^(٣).

(١) سورة الأحزاب / ٢١ .

(٢) كامل الزيارات / ٢٢٨ ، والدعاء فيه تقلّم وتأخير .

(٣) كامل الزيارات / ٥٣٩ ، وسائل الشيعة ١٤ / ٥٩٩ ، بتقدّم وتأخير .

ولمّا قال له ذريح المحاربي: إني إذا ذكرتُ فضل زيارة الحسين عليه السلام لقومي وبني كذبوني!
فقال عليه السلام: « دَعُ النَّاسَ يَذْهَبُونَ حَيْثُ شَاءُوا وَكُنْ مَعَنَا »^(١).

فإذا كان هذا وأمثاله الكثير ممّا أوجب فعل الشيعة لتلك المظاهر، فلماذا يُطعن عليهم عند إيمانهم بها؟! وما ذنبهم؟! أفلا يتأوّل عملهم - والحال هذا - كما أوّلوا عمل خالد وغيره؟! أين المُتصِفون؟!

نعم، ليس السُّرُّ فيما حكموا به على الشيعة من الرياء والتصنّع، والشنعة والبدعة إلاّ قيامهم بهذه الشعائر التي فيها إظهار مظلوميّة أهل البيت العلوي، وتفضيع أعمال المناوئين لهم، وإعلام الملأ بما نشره من الجور، واسترداد الجاهليّة الأولى، كما اعترف به ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٢، قال: إنّ الشيعة لم يُريدوا بهذه الأعمال إلاّ أن يُشَنِّعوا على دولة بني أميّة؛ لأنّه قُتِلَ في دولتهم^(٢).

وعليه فلا يكون العمل المستنزم للتشنيع على عمل الجبابة وطواغيت الأمّة بقتلهم سيّد شباب أهل الجنّة، وتلاعبهم بالدّين الحنيف تلاعب الصبيان بالإكر؛ مُقرّباً للمولى زلفه، ورضى لربّ العالمين.

(١) كامل الزيارات / ٢٧٢، بحار الأنوار ٩٨ / ٧٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ٢٢٠.

نهز العلقمي:

لم يذكر أصحاب المعاجم هذا الوصف، وأهمله المؤرّحون، كما لم يصفه حديث الصادق عليه السلام في الزيارة المتقدمة؛ فإنّ فيها: « وهو مدفونٌ بشطّ الفُراتِ بحذاء الحَيْرِ »^(١). لكنّ شيخنا الطريحي ذكر في المنتخب ص ٩١: أنّ رجلاً من أهل الكوفة حدّاداً قال: خرجت في البعث الذي سار إلى كربلاء، فخيّمنا على شاطئ العلقمي، وحمو الماء عن الحسين ومن معه حتّى قُتلوا وأهله وأنصاره عطاشى، ثمّ رجعنا إلى الكوفة، وبعد أن سيّر ابن زياد السبايا إلى الشام رأيت في المنام كأنّ القيامة قامت، والناس يموجون وقد أخذهم العطش، وأنا أعتقد بأنّي أشدهم عطشاً، مع شدّة حرارة الشمس والأرض تغلي كالقار، إذ رأيت رجلاً عمّ الموقف نوره، وفي إثره فارسٌ وجهه أنور من البدر، وبيننا أنا واقفٌ إذ أتاني رجلٌ وقادني بسلسلة إليه، فقلتُ له: أقسم عليك بمن أمرك، من تكون؟

قال: أنا من الملائكة.

قلتُ: ومن هذا الفارس؟

قال: هذا عليّ أميرُ المؤمنين.

قلتُ: ومن ذلك الرجل؟

قال: محمّدٌ صلّى الله عليه وآله.

(١) كامل الزيارات / ٤٤٠، بحار الأنوار ٩٨ / ٢٧٧، والعبارة: « إذا أردتَ زيارةَ قبرِ العباس عليه السلام،

وهو على شطّ الفُراتِ بحذاءِ الحائر... ».

ثُمَّ رَأَيْتَ عَمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَقَوْمًا لَمْ أَعْرِفْهُمْ فِي أَعْنَاقِهِمْ سِلَاسِلٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَالتَّارُ تَخْرُجُ مِنْ
أَعْيُنِهِمْ وَأَذَانِهِمْ، وَرَأَيْتَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ قَدْ أَحْدَقُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لِعَلِيِّ: « مَا صَنَعْتَ؟ ». قَالَ: « لَمْ أَتْرُكْ أَحَدًا مِنْ قَاتِلِي الْحُسَيْنِ إِلَّا جِئْتُ بِهِ ». فَقَدَّمُوهُمْ أَمَامَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَسْأَلُهُمْ عَمَّا صَنَعُوا بَوْلَدِهِ يَوْمَ كَرْبَلَاءَ، فَوَاحِدٌ يَقُولُ: أَنَا حَمَيْتُ الْمَاءَ
عَنْهُ، وَالْآخَرُ يَقُولُ: أَنَا رَمَيْتُهُ، وَالثَّلَاثُ يَقُولُ: أَنَا وَطَأْتُ صَدْرَهُ، وَرَابِعٌ يَقُولُ: أَنَا قَتَلْتُ وَلَدَهُ.
وَهُوَ يَبْكِي حَتَّى بَكَى مَنْ حَوْلَهُ لِبُكَائِهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ.

وَجِيءَ بِرَجُلٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُ: « مَا صَنَعْتَ؟ ». قَالَ كُنْتُ بُخَارًا، وَمَا حَارِثٌ وَلَا [قَاتِلٌ
]. فَقَالَ: « لَقَدْ كَثُرَتِ السُّوَادَ عَلَى وَلَدِي ». فَأَمَرَ بِهِ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ قَدَّمُوهُ إِلَيْهِ، فَحَكَيْتُ لَهُ
فِعْلِي، فَأَمَرَ بِي إِلَى النَّارِ.

فَلَمَّا قَصَّ الرَّؤْيَا عَلَى مَنْ حَضَرَ عِنْدَهُ، يَبْسُ لِسَانَهُ وَمَاتَ نَصْفُهُ، وَهَلَكَ بِأَسْوَأِ حَالٍ، وَقَدْ
تَبَرَّأَ مِنْهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَ وَشَاهَدَ.

وَفِي مَدِينَةِ الْمَعَاجِزِ ص ٢٦٣ بَاب ١٢٧: رَوَى عَنْ رَجُلٍ أَسَدِيِّ قَالَ: كُنْتُ زَارِعًا عَلَى نَهْرِ
الْعَلْقَمِيِّ بَعْدَ ارْتِحَالِ عَسْكَرِ بَنِي أُمَيَّةَ، فَرَأَيْتُ عَجَائِبًا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَحْكِيَ إِلَّا بَعْضًا مِنْهَا: إِذَا
هَبَّتِ الرِّيحُ تَمَرَّ عَلَى نَفْحَاتِ كَنْفَحَاتِ الْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ، وَأَرَى نَجْمًا تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَتَصْعَدُ
مِثْلَهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ عِنْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ أَسْدًا هَائِلًا الْمَنْظَرُ يَتَخَطَّى الْقَتْلَى حَتَّى وَقَفَ
عَلَى جَسَدِ جَلَّلَتِهِ الْأَنْوَارِ،

فكان يُمرِّغ وجهه وجسده بدمه، وله صوت عالٍ، ورأيت شموعاً مُعلّقة وأصواتاً عالية، وبكاءً وعويلًا، ولا أرى أحداً^(١).

وفي مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٩٠: روى جماعة من الثقات: أنه لما أمر المتوكل بحرث قبر الحسين عليه السلام، وأن يجري عليه الماء من العلقمي، أتى زيد المجنون وبهلول المجنون إلى كربلاء ونظرا إلى القبر لم يتغيّر بما صنعوا^(٢).

وفي هذا دلالة على وصف النهر بالعلقمي في تلك الأيام، ويؤكد ذلك ما في مزار البحار ص ١٦١ عن مزارى المفيد وابن المشهدي من ورود رواية زيارة العباس عليه السلام غير مُقيّدة بوقت، وفيها: إذا وردت أرض كربلاء فانزل منهما بشاطئ العلقمي، ثم اخلع ثياب سفرك واغتسل غسل الزيارة مندوباً، وقل...^(٣).

وفي تحية الزائر ص ١٣٥، ذكر عنهما وعن الشهيد الأول وابن طاووس ورود رواية زيارة للحسين عليه السلام، وقالوا: إذا وردت قنطرة العلقمي، فقل: إليك اللهم قصد القاصد...^(٤). والظاهر منه ورود لفظ العلقمي في الرواية وليس من كلام العلماء؛ خصوصاً بعد العلم بأنهم لا يذكرون إلا ما يعتمدون عليه في الروايات، ومنه نعرف أنّ نهر العلقمي كان معروفاً في الأزمنة السابقة على زمان ابن [طاووس] الذي هو في القرن السابع.

(١) مدينة المعاجز ٤ / ٧٠، الباب ١٢٧، بحار الأنوار ٤٥ / ١٩٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢٢١، وعنه بحار الأنوار ٤٥ / ٤٠١، والعوالم ٧٢٧.

(٣) المزار للشيخ المفيد / ٩٩، المزار للمشهدي / ٣٧٠.

(٤) المزار للمشهدي / ٤١٨، بحار الأنوار ٩٨ / ٢٣٢.

وجاء في نصّ الشيخ الطوسي، ففي مصباح المتهجد ص ٤٩٩: إنّ الصادق عليه السلام قال لصفوان الجمّال: « إذا أتيت الفرات (أعني شرعة الصادق بالعلقي)، فقل: اللهم، أنت خيرٌ مَنْ وفَد... »^(١).

وعلى هذا يكون قول الفاضل السيّد جعفر الحلّي على الحقيقة:

وَهَوَى بِجَنْبِ الْعَلْقَمِيِّ فَلَيْتَهُ لِلشَّارِبِينَ بِهِ يُدَافُ الْعَلْقَمُ

نعم، لم يُعرف السبب في التسمية به، وما قيل في وجهه: (إنّ الحافر للنّهر رجلٌ من بني علقمة، بطن من تميم، ثمّ من دارم جدّهم علقمة بن زرارة بن عدس) لا يُعتمد عليه؛ لعدم الشاهد الواضح.

ومثله في ذكر السبب: كثرة العلقم حول حافتيّ النّهر، وهو كالقول بأنّ عضد الدولة أمر بحفر النّهر ووكله إلى رجل اسمه علقمة؛ فإنّها دعاوى لا تعضدها قرينة، على أنّك عرفت أنّ التسمية كانت قبل عضد الدولة.

وحُكي في الكبريت الأحمر ج ٢ ص ١١٢ عن السيّد مجد الدّين محمّد المعروف بمجدي - من معاصري الشيخ البهائي - في كتابه زينة المجالس، المؤلّف سنة ١٠٠٤: أنّ الوزير السعيد ابن العلقمي لما بلغه خطاب الصادق عليه السلام للنّهر: « إلى الآن تجري وقد حُرّم جدّي منك! ». أمر بسدّ النّهر وتخريبه، ومنّ أجله حصل خراب الكوفة؛ لأنّ ضياعها كانت تُسقى منه.

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي / ٧١٨، المزار للشهيد الأوّل / ١١٨.

مشهد الرأس:

ذكر أرباب المقاتل: أنّ عمر بن سعد أمر بالرؤوس ففُطعت، فكانت ثمانية وسبعين رأساً، أخذت كندة ثلاثة عشر [رأساً]، وأقبلت هوازن باثني عشر [رأساً]، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وأقبلت بنو أسد بستة عشر رأساً، واختصّت مذحج بسبعة، ولسائر الجيش ثلاثة عشر رأساً^(١).

وساروا بها إلى الكوفة، ثمّ سيرّ ابن زياد رأس الحسين عليه السلام ورؤوس من قُتل معه من أهله وصحبه مع السبّايا إلى يزيد بالشام^(٢).

(١) اللهوف في قتلى الطفوف / ٨٥، لواعج الأشجان / ١٩٧.

(٢) تاريخ الطبري / ٤ / ٣٥١، الكامل في التاريخ لابن الأثير / ٤ / ٨٣، الثقات لابن حبان / ٢ / ٣١٣، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي / ٣ / ٢٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد / ١٤ / ٢٨٠، بلاغات النساء لابن طيفور / ٢١، البداية والنهاية لابن كثير / ٨ / ٢٠٩.

وقد تعصّب ابن تيمية فأنكر بعث ابن زياد للسبّايا والرؤوس إلى يزيد، وهو إنكارٌ باطلٌ ردّه كثيرٌ من المُحدّثين والمؤرّخين.

قال الذهبي في السير ٣ / ٣١٩: أحمد بن محمد بن حمزة: حدّثني أبي عن أبيه، قال: أخبرني أبي حمزة بن يزيد الحضرمي، قال: رأيت امرأة من أجمل النساء وأعقلهنّ، يُقال لها: (ريّا)، حاضنة يزيد - يُقال: بلغت مئة سنة - ، قالت: دخل رجلٌ على يزيد، فقال: أبشر، فقد أمكنك الله من الحسين، وحيء برأسه. قالت: فوضع في طست، فأمر الغلام فكشف، فحين رآه خمر وجهه كأنه شمّ منه. فقلّت لها: أفرغ ناياه بقضيبٍ؟ قالت: أي واللّه. وقد حدّثني بعض أهلنا أنّه رأى رأس الحسين مصلوباً بدمشق ثلاثة أيّام، وحدّثني ريّا أنّ الرأس مكث في خزائن السّلاح حتّى ولي سلمان، فبعث فجيء به، وقد بقي عظاماً أبيض، فجعله في سبط وطّيه وكفّنه ودفنه في مقابر المسلمين، فلما دخلت (المسوّدة) سألوها عن موضع الرأس فنبشوه وأخذوه، فاللّه أعلم ما صنّع به.

وذكر باقي الحكاية، وهي قوية الإسناد. يحيى بن بكير، حدّثني الليث قال: أبي الحسين عليه السلام أنّ يستأسر حتّى قُتل بالطّفّ، وانطلقوا ببنيه عليّ وفاطمة وسكينة إلى يزيد، فجعل سكينة خلف سريره لئلا ترى رأس أبيها، وعليّاً في غلّ، فضرب عليّ ثبّيّ الحسين وتمثّل بذلك البيت... وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩ / ١٩٥ رواية الليث المتقدّمة، وقال عقبها: رواه الطبراني ورجاله ثقات. والرواية في المعجم الكبير للطبراني ٣ / ١٠٤، وكذلك في تاريخ الإسلام للذهبي ٧ / ٤٤٢، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٧٠/١٥، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٤/٨٦. وفي الإصابة ٢ / ٧١: كان آخر ذلك أنّ قُتل وأُتي برأسه إلى عبيد اللّه، فأرسله ومَن بقي من أهل بيته إلى يزيد، ومنهم عليّ بن الحسين وكان مريضاً، ومنهم عمّته زينب، فلما قدموا على يزيد أدخلهم على عيالهم.

وكذلك في تاريخ الطبري ٤ / ٣٥٢، وغيرها من المصادر الكثيرة التي نطقت بهذا الأمر، فالتعلّل بعدم إرسالهم إليه تعلّلٌ باطلٌ لم يُستند إلى دليل بعدما أثبت المُحدّثون والمؤرّخون ذلك.

ولم يترك سيّد الشهداء عليه السلام الدعوة إلى الدين، وتفنيّد عمل الظالمين حتّى في هذا الحال، وهو مرفوع على القناة، فكان مُتمّماً لنهضته المقدّسة التي أراق فيها دمه الطاهر، وقد استضاء خلق كثير من إشراقات رأسه الأزهر.

لهفي لرأسك فوق مسلوبِ الفنا يكسوه من أنوارِه جُلبابا
يتلو الكتاب على السّنانِ وإمّا رفعوا به فوق السّنانِ كتابا

ولا غرابة بعد أن كان سيّد الشهداء عليه السلام دعامة من دعائم الدّين ومنار هداة، وعنه يأخذ تعاليمه ومنه يتلقّى معارفه، وهو صراطه المستقيم ومنهجه القويم، دونه كانت مفاداته، وفي سبيله سبقت تضحيتة، فهو حليف القرآن منذ أنشئ كيانه؛ لأنّهما ثقلاً رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته على أمتة، وقد نصّ المشرّع الأعظم صلى الله عليه وآله بأنّهما لن يفترقا حتّى يرثي الله الحوض؛ فبذلك كان سلام الله عليه غير مبارح تلاوته طول حياته؛ في تهذيبه وإرشاده، في دعوته وتبليغه، في حلّه ومرتحله حتّى في موقفه يوم الطّفّ - ذلك المأزق الحرج بين ظهري أولئك الطغاة المتجمهرين عليه - ليتّم عليهم الحجّة، ويوضّح لهم الحجّة.

هكذا كان يسير إلى غايته المقدّسة سيراً حثيثاً، حتّى طفق يتلو القرآن رأسه الكريم فوق عامل السنان، عسى أن يحصل من يكهره نور الحقّ، غير أنّ داعية الحقّ والرشد لم يُصادف إلاّ قصرأ في الإدراك، وطبعأ في القلوب، وصممأ في الآذان: (**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**)^(١).

وبلغ من غلواء ابن زياد وتبهه في الضلال أن أمر بالرأس الشريف فطيف به في شوارع الكوفة وسككها^(٢).

يقول زيد بن أرقم: كنتُ في غرفة لي، فمرّوا بالرأس على رمح، فسمعتة يقرأ: (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**)^(٣). فوقف شعري، وقلتُ: رأسك أعجب وأعجب^(٤)!

(١) سورة البقرة / ٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٨.

(٣) سورة الكهف / ٩.

(٤) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ / ١١٧، إعلام الوري بأعلام الهدى للطبرسي / ٤٧٣، الدرّ النظيم / ٥٦١.

ولمّا صُلب في سوق الصّيارفة، وهناك ضوضاء، فأراد ﷺ لفت الأنظار نحوه، تنحنح تنحنحاً عالياً، فأبَّجِه النَّاسُ نحوه، وأبْجِههم الحال، فشرع في قراءة سورة الكهف إلى قوله تعالى: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى)^{(١)(٢)}. وعجب الحاضرون؛ إذ لم تعهد هذه الفصاحة والإتيان على مقتضى الحال من رأس مقطوع، وبقي النَّاسُ واجمون لا يدرون ما يصنعون.

ولمّا صُلب على شجرة بالكوفة، شُمع يقرأ قوله تعالى: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)^(٣).

قال هلال بن معاوية: سمعت رأس الحسين ﷺ يخاطب حامله، ويقول: « فرقت رأسي وبدني، أفرق الله بين لحمك وعظمك، وجعلك آيةً ونكالا للعالمين ». فرغ اللعيرُ سوطاً وأخذ يضرب بين رأسه المَطَّهَّرِ^(٤).

وحدّث سلمة بن الكهيل: أنه سمع رأس الحسين ﷺ بالكوفة يقرأ، وهو مرفوع على الرمح: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)^{(٥)(٦)}.

(١) سورة الكهف / ١٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢١٨.

(٣) سورة الشعراء / ٢٢٧.

(٤) مدينة المعاجز للبحراني ٤ / ١٠٠.

(٥) سورة البقرة / ١٣٧.

(٦) نهاية الدراية للصدر / ٢١٧، الوابي بالوفيات للصفدي ١٥ / ٢٠١، نَقَسَ الرحمن في فضائل سلمان

للطبرسي / ٣٦٢، شرح إحقاق الحقّ للمرعشي ٣٣ / ٦٩٤.

كما سمعه ابن وكيدة يقرأ القرآن فشكَّ أنّه صوتته؛ حيث لم يعهد مثله يتكلّم، فإذا الإمام عليه السلام يخاطبه: « يابن وكيدة، أما علمت أنّ معاشر الأئمة أحياء عند ربّهم يُرزقون ». فزاد تعجّبه وحدث نفسه أنّ يسرق الرأس ويدفنه، فنهاه الإمام عليه السلام وقال: « يابن وكيدة، ليس إلى ذلك سبيل، إنّ سفكهم دمي أعظم عند الله من إشهارهم رأسي، فذرهم: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ) »^(١).

وفي طريقهم إلى الشام نزلوا عند صومعة راهب، وفي الليل أشرف عليهم الراهب فرأى نوراً ساطعاً من الرأس الشريف، وسمع تسييحاً وتقديساً وتهليلاً، وقائلاً يقول: السلام عليك يا أبا عبد الله. فتعجّب الراهب ولم يعرف الحال، حتّى إذا أصبح وأراد القوم الرحيل سألهم عن الرأس، فأخبروه أنّه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمّه فاطمة، وجدّه محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله، فطلب الرأس من خولي الأصبحي، فأبى عليه، فاسترضاه بمال كثير دفعه إليه، وأخذ الراهب الرأس الشريف وقبّله وبكى، وقال: تبا لكم أيّها الجماعة، لقد صدقت الأخبار في قوله: إذا قُتل هذا الرجل تمطر السماء دماً.

ثمّ أسلم ببركة الرأس الطاهر، وبعد أنّ ارتحلوا نظروا إلى الدراهم فإذا هي خزف مكتوب عليها: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)^(٢).

(١) مدينة المعاجز للبحراني ٣ / ٤٦٢، [والآية هي من سورة غافر/ ٧٠ - ٧١].

(٢) مدينة المعاجز ٤ / ١٠٤.

وحدّث المنهال بن عمر قال: رأيت رأس الحسين عليه السلام بدمشق أمام الرؤوس ورجل يقرأ سورة الكهف، فلما بلغ: (**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**). وإذ الرأس يخاطبه بلسان فصيح: « **وَأَعْجَبٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ قَتْلِي وَحَمْلِي** »^(١). وفي هذا الحال كُله لم ينقطع الدّم من الرأس الشريف، وكان طرياً، ويُسّم منه رائحة طيبة^(٢). وبالرغم من جدّ يزيد في محو آثار أهل البيت عليهم السلام، واحتقار حرم النبوة حتّى أنزلهم في الخربة التي لا تكتنهم من حرّ ولا برد^(٣)، واستعماله القسوة بالرأس المقدّس؛ من صلبه على باب الجامع الأموي^(٤)، وفي البلد ثلاثة أيّام^(٥)، وعلى باب داره^(٦).

لم يزل أهل الشام - ومن حضر فيها من غيرهم - يُشاهدون كراماتٍ باهراتٍ من الرأس الزاهر لا تصدر إلا من نبيٍّ أو وصيٍّ نبيٍّ، فأخرجهم الموقف؛ خصوصاً بعد ما وقفت العقيلة زينب الكبرى سلام الله عليها في ذلك المجلس المغمور بالتمويهات والأضاليل، فأفادت الناس بصيرة بنوايا ابن ميسون السيئة، وموقفه من الشريعة الطاهرة، وأنّه لم يرد إلا استئصال آل الرسول صلّى الله عليه وآله؛ حيث لم يُعهد في

-
- (١) الخرائج والجرائح للراوندي ٢ / ٥٧٧، الصراط المستقيم للعالمي / ١٧٩، فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمتاوي ١ / ٢٦٥، سُبُل الهدى والرّشاد للصالح الشامي ١١ / ٧٦.
- (٢) الخطط المقرّية ٤ / ٢٨٤.
- (٣) الأماي للشيخ الصدوق / ٢٣٢، روضة الواعظين / ١٩٢، إقبال الأعمال لابن طاووس ٣ / ١٠١، الأنوار التعمانية ٣ / ٢٤٦.
- (٤) الأماي للشيخ الصدوق / ٢٣٠، روضة الواعظين / ١٩١.
- (٥) الخطط المقرّية ٢ / ١٢٩.
- (٦) العوالم / ٤٤٣.

الإسلام مثل هذا الفعل الشنيع خصوصاً مع عيال النبي الكريم ﷺ، ذلك الذي ما زال يهتف في مواقفه الكريمة باحترام المرأة وعدم التعرّض لها بسوء، وكان ﷺ يُشدّد التّكبير إذا بلغه في مغازيه قتل النساء^(١)، حتّى إنّ جماعة من المسلمين لما استأذنوه لقتل ابن أبي الحقيق أذن لهم، وأمرهم بعدم التعرّض للنساء والصبيان وهم مشركون^(٢).

وعلى سيرته مشى المسلمون، وإنّ سيدهم أمير المؤمنين عليّاً لما أنزل عائشة في الدار، قال له رجل من الأزد: واللّه، لا تفلتنا هذه المرأة. فغضب أمير المؤمنين عليّاً وقال: «صه، لا تهتكن سترأ، ولا تدخلن داراً، ولا تهيجن امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسفهن أمراءكم وصلحاءكم؛ فإنهن ضعاف، ولقد كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وإنهنّ لمشركات، وإنّ الرجل ليكافئ المرأة بالضرب فيعير بها عقبه من بعده، فلا يبلغني عن أحد تعرّض لامرأة فأكل به»^(٣).

من هذا عرف الناس ضلال يزيد وتيهه في الباطل؛ فاكثروا اللائمة عليه حتّى من لم ينتحل دين الإسلام.

وحديث رسول ملك الروم مع يزيد في مجلسه أحدث هزّة

-
- (١) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٢٥٦، صحيح مسلم ٤ / ٢١ و ٥ / ١٤٤، سنن ابن ماجه ٢ / ٩٤٧، وغيرها من المصادر.
- (٢) تاريخ الطبري ٢ / ١٨٤، البداية والنهاية لابن كثير ٤ / ١٥٧، السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٧٤٧.
- (٣) تاريخ الطبري ٣ / ٥٤٤، الكامل في التاريخ ٣ / ٢٥٧، وقسم منه في نهج البلاغة بشرح محمد عبده ٣ / ٥١٥، الكافي للكليني ٥ / ٣٩.

في المجلس، وعرف يزيد الإنكار منهم، وأنه لم يُجد فيهم تلك التمويهات؛ وكيف تُجدي وقد سمع من حضر المجلس صوتاً عالياً من الرأس المقدّس لما أمر يزيد بقتل ذلك الرسول: « لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ »^(١). وأيُّ أحد رأى أو سمع قبل يوم الحسين عليه السلام رأساً مقطوعاً ينطق بالكلام الفصيح؟ وهل يقدر ابنُ ميسون أن يقاوم أسرار الله، أو يُطفئ نوره تعالى شأنه؟! كلاً.

ولقد أنكرت عليه زوجته هند بنت عمرو بن سهيل، وكانت عند عبد الله بن عامر بن كريز، وهو ابن خال عثمان بن عفان، فإنّ عامراً وأروى أمّ عثمان أمّهم أمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فأجبره معاوية على طلاقها لرغبة يزيد بها^(٢)؛ فإنّها لما أبصرت الرأس الزاهي مصلوباً على باب دارها، ورأت الأنوار النبويّة تتصاعد إلى عنان السماء، وشاهدت الدّم يقطر منه طرياً، أدهشها الحال، وعظم مصابه في قلبها، فلم تتمالك دون أن دخلت على يزيد في مجلسه، مهتوكة الحجاب، وهي تصيح: رأس ابن بنت رسول الله على دارنا!

فقام إليها وغطّأها، وقال لها: أعولي وابكي على الحسين؛ فإنّه صريحة بني هاشم، عجل عليه ابن زياد^(٣).

(١) العوالم / ٤٤٣.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ٨١، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٦٢ / ٨٥، تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٦، الكامل في التاريخ ٤ / ٨٤، وفي هذه المصادر وغيرها اسمها هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وليس عبد الله بن عامر زوجها بل أبوها.

(٣) المصادر المتقدمة باختلاف في بعض الألفاظ.

ورأت في منامها كأنّ رجالاً نزلوا من السماء وطافوا برأس الحسين عليه السلام يُسلمون عليه،
ولمّا انتبهت جاءت إلى الرأس فأبصرت نوراً حوله، فطلبت يزيد لتقصّ عليه الرؤيا، فإذا هو
في بعض الغرف يكي ويقول: مالي وحسين! وقد رأى مثل ما رأيت^(١)، فأصبح يزيد ومِلاء
أذنه حديث الأندية عن القسوة التي استعملها والجور الشديد، فلم يرَ مناصاً من إلقاء التبعة
على عاتق ابن زياد وتبعيداً للسبّة عنه، ولكنّ الثابت لا يزال، وهذا هو السرُّ في إنشاء كتاب
صغير وصفه المؤرّخون بأنّه مثل (أذن الفأرة)، أرفقه بكتابه الكبير إلى الوالي بأخذ البيعة من
المدينة عاقمة، وفي الكتاب الصغير إلزام الحسين عليه السلام بالبيعة وإنّ أبي تضرب عنقه^(٢).

وليس الغرض من إنشاء الكتاب الصغير إلا أنّ يزيد لما كان عالماً بأنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يجعله
خليفة، ولا كانت بيعته ممّا اتّفق عليها صلحاء الوقت وأشراف الأمة، وما صدر من الموافقة
منهم، يوم أرادها أبوه معاوية، إنّما هو للوعيد والتهديد، فأراد يزيد أن يُخلّي رسمياته عن الأمر
بقتل الحسين عليه السلام، بحيث لو صدر ذلك من عامله ولامه الناس وخطّوه، تدرّع بالعدر بخلوّ
كتابه للعامل بهذا الفعل، وإنّما هو شيء جاء به من قبيل نفسه، وكان له المجال حينئذ في إلقاء
التبعة على العامل.

ولكن هلمّ واقراً العجيب الغريب في إحياء العلوم ج ٣ ص ١٠٦، في الآفة الثامنة من
آفات اللسان، فهناك ترى الغزالي تائهاً

(١) بحار الأنوار ٤٠ / ٨٠.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٢٥٠، الكامل في التاريخ ٤ / ١٤، البداية والنهاية ٨ / ١٥٧.

في الغلواء لما وشجت عليه عروق النَّصب والتَّحيز إلى الأمويين، فأبى أن يلعن قاتل الحسين عليه السلام حتى على الإجمال، فيقال: (لعنة الله على قاتل الحسين)، مُعللاً باحتمال موته بعد التوبة! وقد فاته أن التائب إن قُبلت توبته لا يشملُه اللعن، فإذا أيّ بأس إذا قيل: لعنة الله على قاتل الحسين عليه السلام، لولا ذلك العداء المحتدم بين الحوائج والبغض لأهل هذا البيت الطاهر عليه السلام؟!!

وأغرب من ذلك قياسه يزيد بوحشي قاتل حمزة أسد الله وأسد رسوله، فقال فيه: إنَّ وحشي تاب عن الكفر والقتل جميعاً، ولا يجوز أن يُلعن مع أن [القتلة] كبيرة، فإذا لم يُقيده بالتوبة وأطلق كان فيه خطر. . . إلى آخره^(١).

لا قياس بين يزيد ووحشي؛ فإنَّ وحشياً قتل حمزة وهو كافر، فلمَّا أسلم سقطت عنه كُلُّ تبعة كانت عليه؛ لأنَّ الإسلام يجب ما قبله، بخلاف يزيد؛ فإنه قتل الحسين عليه السلام وهو يظهر الإسلام، وقد ارتدَّ بقتله؛ إمَّا لأنَّ الحسين عليه السلام إمامٌ معصومٌ، أو لتشقيهِ بذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله بما صنعه مع خاله وجدّه يوم بدر.

على أنَّ من المقطوع به أنَّ من بء بذلك الإثم العظيم، وهو قتلُ الحسين عليه السلام، لا يتوقَّف للتوبة نهائياً؛ فإنه من الذنوب التي لا تدع صاحبها أن يتحيز إلى خير أبداً. كما أنَّ من المقطوع به أنَّ وحشياً وإنَّ أظهر الإسلام أمام الرسول صلى الله عليه وآله

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٣ / ١٨٦، الآفة الثامنة في اللعن.

وسكت عنه النبي، وقال: « غَيْبٌ وَجْهَكَ عَنِّي »^(١). فلا يَحْتَم له بالصَّلاح والسَّعادة أبداً، ولا يأتي يوم القيامة وعليه شارة الهدى، وقد قتل سيِّد الشُّهداء حمزة بن عبد المطلب الشاهد للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة.

كيف لا يُلعن يزيد وقد جَوَّز العلماء المُتَّقِبون لعنه، وصرَّحوا بخروجه عن طريقة الإسلام، كما أفصح عن ذلك شعره؛ فإنَّه لما وردت عليه سبايا آل الرسول ﷺ وأشرفوا على ثنية جيرون، ونعب الغراب، قال^(٢):

لَمَّا بَدَتْ تَلْكَ الحُمُولُ وَأَشْرَقَتْ تَلْكَ الشُّمُوسُ عَلَى رُبَى جَيْرُونِ
نَعَبَ العُرَابُ فَقَلْتُ قُلْ أَوْ لَا تُقُلْ فَقَدْ اقْتَضَيْتُ مِنَ الرَّسُولِ دُيُونِي

(١) فتح الباري ٧ / ٢٨٤، المعجم الأوسط للطبراني ٢ / ٢٢٢، الاستيعاب لابن عبد البر ٤ / ٦٥، أسد الغابة لابن الأثير ٥ / ٨٤، تهذيب التهذيب لابن حجر ١١ / ١٠٠، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ٢٥١، الواقي بالوفيات للصفدي ٢٧ / ٢٥٣، وذكر ابن الأثير في أسد الغابة ٥ / ٨٤: قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: مات وحشي في الخمر. أخرجه الثلاثة، وفي شرح مسند أبي حنيفة لملا علي القاري / ٥٢٨، وابن كثير في البداية والنهاية ٤ / ٢٢، السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٥٩٢، السيرة الحلبية للحلي ٢ / ٥٣٨، واللفظ للأول، وقال ابن الهمام: بلغني أنّ وحشياً لم يزل يُحدِّ في الخمر حتّى نخلع من الديوان، فكان ابن عمر يقول: لقد علمت أنّ الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة ﷺ هذا..

(٢) روح المعاني للآلوسي ٢٦ / ٧٢، في تفسير قوله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) .

فمن أولئك العلماء القاضي أبو يعلى، وأحمد بن حنبل، وابن الجوزي^(١)، والكنيا الهراسي^(٢)، والشيخ محمد البكري، وسعد

(١) قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ٢ / ٢٦٦: وذكر جدّي أبو الفرج في كتاب الردّ على المعتصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد، وقال: سألتني سائل، فقال: ما تقول في يزيد بن معاوية؟ فقلت له: يكفيه ما به. فقال: أجمّز لعنته؟ فقلت: قد أجازها العلماء الورعون، منهم أحمد بن حنبل؛ فإنّه ذكر في حقّ يزيد ما يزيد على اللعنة. قال جدّي: وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار، أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، أنبأنا أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر، أنبأنا أحمد بن محمد الخلال، حدّثنا محمد بن علي عن مهنا بن يحيى، قال: سألت أحمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية، فقال: هو الذي فعل ما فعل! قلت: وما فعل؟ قال: نهب المدينة! قلت: فتدكّر عنه الحديث؟ قال: لا، ولا كرامة، لا ينبغي لأحد أن يكتب عنه الحديث.

وحكى جدّي أبو الفرج عن القاضي أبي يعلى الفراء في كتابه (المعتمد في الأصول) بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل، قال: قلت لأبي: إنّ قوماً ينسبوننا إلى توالي يزيد، فقلت: فلم لا تلعه؟ فقال: فمئى رأيتني لعنتُ شيئاً؟ يا بُنيّ، لم لا يُلعن من لعنه الله في كتابه؟ فقلت: وأين لعن الله يزيد في كتابه؟ فقال: في قوله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) سورة محمد / ٢٢ - ٢٣. فهل يكون فساداً أعظم من القتل؟ وفي رواية: لما سأله صالح، فقال: يا بُنيّ، ما أقول في رجل لعنه الله في كتابه؟! وذكره.

قال جدّي: وصنّف القاضي أبو يعلى الفراء كتاباً ذكر فيه بيان من يستحقّ اللعن، وذكر منهم يزيد، وقال في الكتاب المذكور: الممتنع من جواز لعن يزيد؛ إمّا أن يكون غير عالم بذلك، أو منافقاً يريد أن يُوهم بذلك، وربما استفزّ الجهال بقوله عليه السلام: «المؤمن لا يكون لعاناً».

قال القاضي أبو الحسن: وهذا محمول على من لا يستحقّ اللعن. فإن قيل: فقوله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) نزلت في منافقي اليهود؟ قلت: فقد أجاب جدّي عن هذا في كتابه (الردّ على المعتصّب العنيد) وقال في الجواب: إنّ الذي نقل هذا مقاتل بن سليمان، ذكره في تفسيره، وقد أجمع عامة المحدثين على كذبه؛ كالبخاري، ووكيع، والساجي، والسعدي، والرازي، والنسائي، وغيرهم.

وقال: فسرها أحمد بأنّها في المسلمين، فكيف يقبل قول أحدٍ إنّها نزلت في المنافقين؟! فإن قيل: فقد قال النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفورٌ له». ويزيد أول من غزاها؟ قلنا: فقد قال النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم: «لعن الله من أخاف مدينتي». والآخر ينسخ الأول.

وأما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم: «أول جيشٍ يغزو القسطنطينية...». فإتّما يعني أبا أيّوب الأنصاري؛ لأنّه كان فيهم.

ولا خلاف أنّ يزيد أخاف أهل المدينة وسبى أهلها، ونهبها وأباحها، وتُسمى وقعة الحرّة... وقال جدّي في كتاب (الرّدّ على المتعصّب العنيد): ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين، وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشّمْر، وحمل الرّؤوس إليه، وإتّما العجب من خذلان يزيد، وضربه بالقضيب ثنّايه، وحمل آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم سبايا على أقتاب الجمال، وعزّمه على أن يدفع فاطمة بنت الحسين إلى الرجل الذي طلبها، وإنشاد أبيات ابن الرّيعري: ليت أشياخي بيدر شهدوا...

ورده الرأس إلى المدينة وقد تعيّر رجه، وما كان مقصوده إلاّ الفضيحة وإظهار رائحته للنّاس، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟! أليس إجماع المسلمين أنّ الخوارج والبغاة يُكفّنون ويُصلّى عليهم ويُدفنون؟! وكذا قول يزيد: لي أن أسبيكم - لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين -، قول لا يقنع لقائله وفاعله اللّعنة! ولو لم يكن في قلبه أحقاداً جاهليّة، وأضغان بدريّة لاحترام الرأس لما وصل إليه، ولم يضربه بالقضيب، وكفّنه ودفنه، وأحسن إلى آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم.

قلث: والدليل على صحّة هذا؛ إنّه استدعى ابن زياد إليه وأعطاه أموالاً عظيمة وتحفّاً كثيرة، وقرب مجلسه ورفع منزلته، وأدخله على نسائه وجعله نديمه، وسكر ليلة فقال للمُعَيّ: غنّ. ثمّ قال يزيد بديهاً:

اسقني شربةً تُروّي فؤادي ثمّ ملّ فاسقٍ مثلهما ابن زياد
صاحب السّر والأمانة عندي ولتسديد مغنومي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً ومبيد الأعداء والحساد

وقال ابن عقيل: ومّا يدلّ على كفره وزندقته - فضلاً عن جواز سبه ولعنته - أشعاره التي أفصح فيها بالإلحاد، وأبان عن خبث الصّمير وسوء الاعتقاد، فمنها قوله في قصيدته التي أولها:

غليّة هاتي واعلني وترّمي بذلك إني لا أحبّ التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً ممّا بها إلى أحدٍ حتى أقام البواكيا

.....

ألا هاتي فاسقيني على ذاك قهوةً تحزها العنسي كزماً شامياً
إذا ما نظننا في أمورٍ قديمةٍ وجدنا حلالاً شرها متواليها
وإن مئتُ يا أم الأحمير فانكحي ولا تأملي بعد الفراق تلاقياً
فإن الذي حدثت عن يوم بعثنا أحاديث طسم تجعل القلب ساهياً

إلى غير ذلك مما نقلته من ديوانه، ولهذا تطرق إلى هذه الأمة العار بولايته عليها، حتى قال أبو العلاء المعري
يُشير بالشنار إليها:

أرى الأيام تفعّل كلُّ نُكْرٍ فما أنا في العجائب مُستزيدُ
أليس فريشكم قتلت حسيناً وكان على خلافتكم يزيدُ

قلت: ولما لعنه جدّي أبو الفرج على المنبر ببغداد بحضرة الإمام الناصر وأكابر العلماء، قام جماعة من الجفاعة
من مجلسه فذهبوا، فقال جدّي: (ألا بُعداً لمدّين كما بعدت نمود) سورة هود / ٩٥ .
وحكى لي بعضُ أسيّاخنا عن ذلك اليوم: أنّ جماعة سألوا جدّي عن يزيد، فقال: ما تقولون في رجل ولي
ثلاث سنين؛ في السنة الأولى قتل الحسين، وفي السنة الثانية أخاف المدينة وأباحها، وفي السنة الثالثة رمى الكعبة
بالمخانيق وهدمها وحرمها؟
فقالوا: يُلعن. فقال: فالعنوه.

تذكرة الخواص / ٢ - ٢٦٥ - ٢٨٠، وارجع لكلام ابن الجوزي - الجّد - في كتاب الردّ على المتعصّب
العنيد / ١٣ - ١٧ .
(٢) وفيات الأعيان ٣ / ٢٨٧، فوات الوفيات ٢ / ٦٤١، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ عليه السلام /
٣٠٢، السيرة الحليّة ١ / ٣٦٧ .

التفتازاني^(١)، وسبط ابن الجوزي^(٢).

وقال الجاحظ: إنّ المنكرات التي اقترفها يزيد؛ من قتل الحسين عليه السلام، وإخافته أهل المدينة، وهدم الكعبة، وحمل بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا، وقرعه ثنايا الحسين عليه السلام بالعود، هل تدلّ هذه القسوة والعلظة على نصب وسوء رأيي، وحقده و بغضاء، ونفاق ويقين مدخول، أم تدلّ على الإخلاص، وحبّ النبي صلى الله عليه وآله والحفظ له، وصحّة السيرة؟! وعلى هذا فلا يعدو الفسق والضلال، وذلك أدنى مناله. فالفاسق ملعون، ومن نهي عن شتم الملعون فملعون^(٣).

وقال العلامة الآلوسي: لا توقّف في لعن يزيد؛ لكثرة أوصافه الخبيثة، وارتكابه الكبائر في جميع أيّام تكاليفه، ويكفي ما فعله أيام استيلائه بأهل المدينة ومكّة، والطامة الكبرى ما فعله بأهل البيت عليهم السلام، ورضاه بقتل الحسين على جدّه وعليه أفضل الصلاة والسّلام، واستبشاره بذلك وإهانته بأهل بيته ممّا تواتر معناه.

والذي يغلب على ظني أنّ الخبيث لم يكن مُصدّقاً بالرسالة، وأنّ مجموع ما فعله مع أهل حرم الله وأهل نبيّه وعترته الطيّبين

(١) السيرة الحليّة ١ / ٢٦٧.

(٢) تذكرة الخواصّ ٢ / ٢٦٥ - ٢٨٠.

(٣) رسائل الجاحظ / ٢٩٨، الحادية عشر في بني أمية.

الظاهرين في الحياة وبعد الممات، وما ورد منه من المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقائه ورقة من المصحف الشريف في قدر، ولا أظنّ أمره خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين لم يسعهم إلا الصبر، ليقض الله أمراً كان مفعولاً.

ولو سُلم أنّ الخبيث كان مسلماً، فهو مُسلمٌ جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان، وأنا اذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يُتصوّر أنّ يكون له مثلٌ من الفاسقين، والظاهر أنّه لم يُشبّ، واحتمال توبته أضعف من إيمانه. ويُلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة، فلعنة الله عليهم أجمعين، وعلى أنصارهم وشيعتهم ومَن مال ميلهم إلى يوم الدين، ما دمعت عينٌ على أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ويُعجبي قول شاعر العصر عبد الباقي أفندي العمري:

يزيدُ على لعني عريضُ جنايهِ فأغدُو به طولَ المدى ألعنُ اللعنا
ومَن يخشى القيل والقال بلعن ذلك الضليل، فليقل: لعن الله مَن رضي بقتل الحسين عليه السلام، ومَن آذى عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغير حقٍّ، ومَن غصبهم حقهم. فإنه يكون لاعناً له؛ لدخوله تحت العموم دخولاً أولياً في نفس الأمر.

ولا يخالف أحد في جواز اللعن بهذه الألفاظ سوى ابن العربي المالكي وموافقيه؛ فإنهم على ظاهر ما نُقل عنهم لا يُجوزون لعن مَن رضي بقتل الحسين عليه السلام، وذلك لعمري، هو الضلال البعيد الذي كاد

يزيد على ضلال يزيد... إلى آخره^(١).

وبعد هذا فهل يتوقف أحد من لعن يزيد والبراءة منه؟! وإن كان فليس [هذا] إلا الضلال والعناد، أعاذ الله أوليائه من شرّ الحقد.

لما كثرت اللائمة على يزيد خشي الفتنة وانقلاب الأمر، فتداركه بإرجاع السجادة عليه السلام والعيال إلى وطنهم، ومكّنهم مما يريدون برأس الحسين عليه السلام إلى كربلاء ودفنه مع الجسد، ولم يختلف في ذلك اثنان من علماء الإمامية المعروفين بالبحث والتنقيب؛ ومن هنا نسبة المجلسي في البحار إلى المشهور بين العلماء^(٢).

وفي روضة الواعظين صفحة ١٦٥^(٣) قال: ردّ الرأس إلى الجسد.

وقال ابن نما في مثير الأحران صفحة ٥٨: إنه المعول عليه^(٤).

وفي اللهوف لابن طاووس صفحة ١١٢^(٥): عليه عمل الإمامية.

وقال ابن شهر آشوب في المناقب ٢ / ٢٠٠: ذكر المرتضى في بعض رسائله أنّ رأس

الحسين عليه السلام أعيد إلى بدنه في كربلاء^(٦).

وقال الطوسي: ومنه زيارة الأربعين^(٧).

وفي مقتل العوالم صفحة ١٥٤: إنّه المشهور بين علمائنا^(٨).

(١) روح المعاني للآلوسي ٢٦ / ٧٤، في تفسير قوله تعالى (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) الآية.

(٢) بحار الأنوار ٤٥ / ١٤٤.

(٣) روضة الواعظين / ١٩٢.

(٤) مثير الأحران / ٨٥.

(٥) اللهوف في قتلى الطفوف / ١١٤.

(٦) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢٣١.

(٧) تحذيب الأحكام ٦ / ١١٤.

(٨) العوالم / ٣٢٧، والعبارة: وذكر المرتضى في بعض رسائله: أنّ رأس الحسين عليه السلام ردّ إلى بدنه

عليه السلام بكربلاء من الشام، وضّم إليه.

وهو ظاهر الطبرسي في إعلام الوري صفحة ١٥١^(١)، والسيد في رياض المصائب.
وأما باقي الرؤوس فلم يتعرّض لها أرباب المقاتل، ولكن في نفس المهموم صفحة ٢٥٣،
ورياض الأحران صفحة ١٥٥، عن حبيب السير: إن يزيد سلّم جميع الرؤوس إلى علي بن
الحسين عليه السلام، فألقها بالأبدان الطاهرة في العشرين من صفر، ثمّ توجه إلى المدينة^(٢). ولعلّ
الاعتبار يُساعده؛ فإنّ يزيد لما نقم عليه الناس وكثر الاضطراب، لم يرَ بُدّاً من موافقة الإمام
السجاد عليه السلام على كلِّ ما يُريد، وإخراجهم من الثّام عاجلاً.

نعم، ذكر العلامة السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة ٤ / ٢٩٠ القسم الأوّل: أنّه
رأى في سنة ١٣٢١ هـ في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع على بابه
صخرة مكتوب عليها: هذا مدفن رأس العباس بن عليّ، ورأس عليّ الأكبر بن الحسين
عليهما السلام، ورأس حبيب بن مظاهر.

قال: ثمّ إنّّه انهدم بعد ذلك بسنين هذا المشهد، وأعيد بناؤه، وأزيلت هذه الصخرة، وُني
ضريح داخل المشهد، ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء، ولكنّ الحقيقة أنّه منسوب إلى
الرؤوس الشريفّة الثلاثة المتقدّم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مرّ، وهذا المشهد
الظنّ القوي بصحة نسبته؛ لأنّ الرؤوس بعد حملها إلى دمشق والطواف بها، وانتهاء غرض
يزيد من إشهار

(١) إعلام الوري ١ / ٤٧٦.

(٢) معالي السبطين ٢ / ١٩١.

الغلبة والتنكيل بأهلها والتشقي، لا بدّ أن تُدفن في إحدى المقابر، فدُفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير، وحُفظ محلُّ دفنها، والله أعلم... إلى آخره^(١).
هذا ما ذكره السيّد (أيده الله)، ولو اطّلع على حبيب السّير لاعتقد عدم صحة الدفن هناك، على أنّ التغيير الذي ذكره يدلّنا على أنّ الحفظة لذلك المشهد لهم غرضٌ آخر، وليس بالمستبعد أنّ ذلك المشهد محلّ صلب الرؤوس.

وحقيق أنّ يُقال في كلّ منها:

هامةٌ في الحياة طاولت الشّهبَ ومآها هبوبُ الرّيحِ
أنفت بعد موتها التّربِ فاختا رت لها مسكناً زؤوسَ الرّماحِ

(١) أعيان الشيعة ١ / ٦٢٧.

مشهد الكفّين:

لم يفتأ شيعة أهل البيت عليهم السلام، كما أنّهم يقتصّون آثارهم في معارفهم وتعاليمهم، يتبرّكون بتعيين كلّ ما يتعلّق بهم؛ من مشهد أو معبد أو مقام فيتبعونها بالحفاوة والتبجيل، ويرون ذلك من متمّمات الولاء ولوازم الاتّباع والمشايعة، وهو كما يرون؛ لأنّه إنّما مشهد يُزار، أو معبد يُقصد للعبادة، أو محلّ مسرّة فيسرّهم ذلك، أو موقفٌ مأساةٍ فيستاؤون لهم، وهذا هو التشييع المحض، والافتداء الصحيح.

ومن ذلك ما نشاهده في كربلاء المُشرّفة من المقام (لكفّي أبي الفضل) اللذين تناقلتهما الألسن، وأخذ حديثهما الخلف عن السلف، والسيرة المستمرة بين الإمامية كافية في القطع بثبوت (المقامين)، ولولاها لانتقض الأمر في كثير من المشاهد والمعابد والمقامات.

يقع مقام (الكفّ اليمنى) في جهة الشمال الشرقي على حدّ محلّة باب بغداد، ومحلّة باب الخان، قريباً من باب الصحن المُطهر الواقعة في الجهة الشرقية، وعلى جدار المقام شُبّاكٌ صغيرٌ، وعلى جبهته بيتان بالفارسية لم يُكتب اسم ناظمهما، ولا تاريخ البناء، ولا وضع الشبّاك، والبيتان:

افتداد دست راست خدايا زيكرم بر دامن حسين برسان دست ديگرم

دست چیم بجاست اگر نیست دست راست
اما هزار حیف که يك دست بی صداست
ويقع مقام (الكفّ اليسرى) في السّوق الصغير، القريب من الباب الصغير للصحن
الواقعة في الجنوب الشرقي، ويُعرف بسوق باب العباس الصغير، وعلى الجدار شُبّاكٌ، وكتب
بالقاشاني عليه: هذا نظم الشيخ محمّد المعروف بالسراج:

سَلْ إِذَا مَا شَعْتِ وَاسْمَعِ وَأَعْلِمِ ثُمَّ خُذْ مِنِّي جَوَابَ الْمَفْهِمِ
إِنَّ فِي هَذَا الْمَقَامِ انْقِطَعَتْ يَسْرُهُ الْعَبَّاسُ بِحَرِّ الْكَرَمِ
هَاهُنَا يَا صَاحُ طَاحَتْ بَعْدَمَا طَاحَتْ الْيَمْنَى بِجَنْبِ الْعَلْقَمِ
إِحْرَ دَمْعِ الْعَيْنِ وَابْكِيهِ أَسَاءَ حُقُّ أَنْ يُبْكِيَ بَدْمَعٍ مِنْ دَمِ

الزيارة:

ذكرنا فيما تقدّم أنّ الزيارة من المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام، ولكمال فضله وعلمه الجسم، وورعه الموصوف وكراماته الخارجة عن حدّ الإحصاء، كان في المشول حول مرقده الأقدس بداعي الزلفى إلى المولى تعالى مزيداً لرسوخ العقيدة بأمر الدّين، وتعريف للأمة بما وجب من حقّ الله تعالى على خلقه، وإنّ العبد كيف يجب عليه بذل ذاته في مرضاة الله عزّ وجل.

ثمّ إنّ الزيارة وإنّ كانت مجرد الحضور عند المزور، والسّلام عليه بأيّ لفظ جاء به المسلم، كما يؤيّدّه حديث مسلم بن ظبيان عن الصادق عليه السلام: « إذا أتيت القبر - يعني قبر الحسين عليه السلام - فقل: صلّى الله عليك يا أبا عبد الله، فقد تمّت زيارتك »^(١).

ولكنّ الألفاظ الواردة عن أهل البيت عليهم السلام يلزم الاحتفاظ به؛ لأنّها اشتملت على ما يناسب مقام المزور من الخواصّ، وما له من جهاد نافع في سبيل الدّين، مضافاً إلى ما فيها من التأدّب عند أداء السّلام عليه. فالقول المأثور من أهل البيت عليهم السلام في السّلام عليهم، أو على أحد أولادهم أو أصحابهم راجح، ومن هنا أفتى صاحب الرسائل فيها، وخاتمة المُحدّثين التّوري في المستدرك باستحباب زيارة

(١) كامل الزيارات / ٢٤٤، تهذيب الأحكام ٦ / ١١٥.

الحسين عليه السلام بالزيارة الماثورة وآدابها، ولا خصوصية له على غيره من أئمة الهدى عليهم السلام، وبذلك المناط يتسرى إلى غيرهم.

ومن يقرأ ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة أبي الفضل بتدبر وإمعان، يعرف رجحان الأخذ بقوله عليه السلام، وإنّ الزائر مهما يبلغ من المعرفة والكمال لا يحيط خبراً بحقيقة أبي الفضل، وما يليق بجليل قدره وعظيم منزلته.

ومن هنا كان الراجح للزائر عند زيارة العباس أن يقف مواجهاً له، مستديراً القبلة، كما هو الشأن في زيارة المعصومين عليهم السلام، وهو مقتضى التأدب أمام قمر بني هاشم؛ فإنّ زيارته ميتاً كزيارته حياً (والشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون). ولا شك أنه لو كان حياً ودخل عليه الزائر، فلا يُسلم عليه إلاّ مواجهاً له.

ويشهد لذلك ما في مزار البحار ص ١٦٥ عن المفيد وابن المشهدي والشهيد الأول، أنّهم قالوا: إنّ الزائر للعباس يقف أولاً على باب السقيفة ويستأذن للدخول فيقول: سلام الله وسلام ملائكته... إلى آخره، ثمّ يدخل وينكبّ على القبر ويقول: السلام عليك أيها العبد الصالح... إلى آخره، ثمّ ينحرف إلى عند الرأس فيصلي ويدعو، ويعود إلى الضريح ويقف عند الرجلين، ويقول: السلام عليك يا أبا الفضل العباس... إلى آخره^(١).

وقد يُدعى أنّ هذه العبارة، وما رواه ابن قولويه عن أبي حمزة الثمالي، يقتضي الوقوف على قبر العباس من دون تخصيص بجهة من الجهات؛ فإنّ العبارة: ثمّ ادخل وانكبّ على القبر، وقل... إلى آخره^(٢).

(١) المزار للشيخ المفيد / ١٢٠، المزار للمشهدي / ٣٨٩، وعنهما بحار الأنوار ٩٨ / ٢١٧.

(٢) كامل الزيارات / ٤٤٠.

ولم يُبيّن كيفية الانكباب؛ هل أنّه من جهة القبلة، كما هو شأن زيارة الإمام المعصوم عليه السلام، أو من جهة عكسها، أو من جهة الرّجلين أو الرّأس؟ إلّا أنّ المتصرف من الإطلاق إرادة جهة القبلة؛ خصوصاً لو كان الباب التي يدخل منها إلى الروضة المطهّرة في ذلك الزمان كما عليه اليوم، وحينئذ تكون زيارة أبي الفضل على حدّ زيارة المعصوم عليه السلام، مواجهاً له مستدبراً القبلة.

فالتوقّف عن رجحان مواجهته حال الزيارة في غير محلّه، واستظهار المجلسي تخيير الوقوف في زيارته محلّ المناقشة؛ فإنّه لم يرد عن الأئمة عليهم السلام خبرُ التفصيل بين المعصوم عليه السلام وغيره: باستحباب المواجهة له في الأوّل واستقبال القبلة في الثاني.

وغاية ما ورد في زيارة الحسين وأبيه عليه السلام مواجهة القبر وجعل القبلة بين كتفيه، وهناك أخبار مطلقة بالوقوف على قبريهما كإطلاقها على قبري الجوادين والعسكريين والرّضا عليهم السلام، فلا تخصيص للمعصوم على غيره.

وما ورد في صفة زيارة المؤمنين من استقبال القبلة، ووضع اليد على القبر، والتوقيع المروي في الإقبال عن صاحب الزمان عجل الله فرجه: « إذا أردت زيارة الشهداء فقف عند رجلي الحسين عليه السلام، فاستقبل القبلة بوجهك؛ فإنّ هناك حومة الشهداء، وقم وأشر إلى عليّ بن الحسين، وقل: السّلام عليك يا أول قتيل من نسل خير سليل... ». إلى آخره^(١).

(١) المزار للمشهدي / ٤٨٦، إقبال الأعمال لابن طاووس ٣ / ٧٣، وعنه البحار ٤٥ / ٦٤.

أخصّ من المُدّعى، على أنّ الاعتبار يشهد بأنّ السّلام والثناء على المزور يستدعي
مواجهته لا استدباره.

وكيف يكون الحال، فأبو الفضل ممتاز عن سائر المؤمنين بخواصّ لا يأتي البيان على
حصرها، كيف وقد بلغ من الدرجات الرفيعة ما يغطه عليها جميع الشّهداء والصدّيقين، وقد
أعلمنا الإمام الصادق عليه السّلام بالزيارة التي علّمها أبا حمزة الثمالي: بأنّ لأبي الفضل مكانة
سامية ودرجات عالية لا يناها إلا أولوا العزم من الرّسل.

فرحان مواجهته عند السّلام عليه متعيّن كما هو الحال في أئمة الهدى عليهم السّلام، وبذلك
أفتى شيخنا الحجّة الشيخ عبد الحسين مبارك عليه السّلام في بشارة الزائرين، ثمّ قال: ولعمر أبيه
الطّاهر صلوات الله وسلامه عليهما إنّ ذلك لحقيق جدير؛ فإنّه ابن سيّد الوصيّين
عليهما السّلام، والمواسي رحمة خير الخلق أجمعين صلوات الله عليهم.

ومن هنا كان بعض العارفين من العلماء الأعلام يُقدّم زيارة العباس على زيارة الحسين
عليهما السّلام؛ لأنّه باب في الحوائج - وهو في محلّه - وعليه العمل منذ عهد قدم، وفي هذا يقول
الأديب السيّد مهدي الأعرجي رحمه الله:

قصدتُك قبل ابن النّبيّ مُحمّدٍ وأدْمُغُ عيني كالحيا في أنسكاهما
لأنّك في كلّ الحوائج بائنه وهل يقصدون الدّار من غير بائها

صلاة الزيارة:

إنَّ من الراجح المؤكَّد صلاة ركعتين بعد الفراغ من زيارة أبي الفضل عليه السلام ، ويشهد له ما في مزار البحار ص ١٦٥ عن مزار المفيد وابن المشهدي من الرواية عن الأئمة عليهم السلام في كيفية زيارته وبعدها، قال: ثُمَّ انْحَرَفَ إِلَى عِنْدِ الرَّأْسِ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهُمَا مَا بَدَأَ لَكَ ^(١) . وذكر السيّد ابن طاووس في مصباح الزائر الصلاة ركعتين بعد الفراغ من الزيارة، كما أنَّ الشيخ المفيد وابن المشهدي وابن طاووس ذكروا في مزاراتهم عند زيارة العباس يوم عيد الفطر والأضحى، وليلة عرفة ويومها، الأمر بركعتي الزيارة بعد الفراغ منها ^(٢) . وجاء في زيارة الأربعين: إنَّ جابر الأنصاري زار العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَمِنَ الْبَعِيدِ جَدًّا أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ مَمْنُوعًا مِنْهُ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام ، وَلَا يَعْلَمُهُ مِثْلُ جَابِرِ الْمُتَخَرِّجِ مِنْ مَدْرَسَتِهِمُ الْكُبْرَى، أَوْ أَنَّهُ كَانَ يَغْضُ الطَّرْفَ عَنْ هَذَا الْمَنْعِ، بَلْ ظَاهِرُ الْفِعْلِ أَتَّهَمَا رَكَعَتِي الزِّيَارَةِ، وَأَنَّهُ لِمَا عَلِمَهُ مِنْ أَئِمَّتِهِ عليهم السلام فَسَارَ عَلَى نَحْوِهِمْ.

(١) المزار للشيخ المفيد / ١٢٣ ، المزار للمشهدي / ١٧٩ ، المزار للشهيد الأول / ٢٨٠ ، بحار الأنوار ٩٧ /

وإنّ من المستبعد جدّاً أنّ يُثبت هؤلاء الأعظم، وهم عمدة المذهب المُتقبّلون في الآثار، مثل هذه الوظائف من دون تخريج عن أئمتهم؛ بحيث يتورطون في التشريع المُحرّم والبدعة التي لا تُقال عشرتها، (كلا وحاشا)، بل لم يودعوا في كتبهم ومزاراتهم إلّا ما وقفوا عليه عن أئمتهم، وإنّ لم يُخط به خبراً كثيراً ممّا وقفوا عليه.

وقد ذكر السيّد ابن طاووس في آخر مصباح الزائر، أنّ ما وقع اختياره عليه في هذا الكتاب قد وصل على الوجه الذي استحسّنه واعتمد عليه من جهة الرواية. وذكر ابن المشهدي في أوّل مزاره، أنّ ما أودعه في الكتاب ما حصل لديه من الروايات الواردة عن أئمة الهدى عليهم السلام ^(١). إذاً، فكيف يسعنا نسبة ما أودعوه في كتبهم إلى محض آرائهم من دون تخريج عن أهل البيت عليهم السلام؟!

ولقد أفادنا بصيرة في تأكيد هذا شيخُ المُحقّقين الشيخ أسد الله الكاظمي عليه السلام في كشف القناع ص ٢٣٠، وحاصل ما ذكره:

إنّ من الجائز أنّ يحصل لبعض حملة أسرار الأئمة عليهم السلام العلم بقول الإمام الغائب عليه السلام عن الأبصار؛ إمّا بنقل أحد سفرائه سرّاً على وجه يُفيد اليقين، وإمّا بتوقيعه ومكاتبته كذلك، وإمّا بالسماع منه عليه السلام مشافهة على وجه لا يُنافي الرؤية في زمن الغيبة، فلا يسعه التصريح بما حصله من الحكم على هذه الوجوه، ولم يجد في الأدلة ما يدلّ عليه، ولم يكن مخصوصاً بذلك الحكم، وممنوعاً عن إظهاره لسائر الناس، فلا مندوحة حينئذ من إظهار هذا الذي أطلّع عليه بصورة

(١) المزار للمشهدي / ٢٧.

الاتفاق عليه والتسامح، وهذا هو الأصل في كثير من الزيارات والآداب والأعمال المعروفة التي تداولت بين الإمامية، ولا مُستند ظاهر من أخبارهم، ولا من كتب قدمائهم الواقفين على آثار الأئمة عليهم السلام وأسرارهم.

ومن ذلك ما رواه والد العلامة الحلبي والسيد ابن طاووس عن السيد الكبير العابد رضي الدين محمد بن محمد الأزدي الحسيني، المجاور بالمشهد الأقدس الغروي، عن صاحب الزمان (عجل الله فرجه) في طريق الاستخارة بالسبحة، وكما سمعه منه صلوات الله عليه ابن طاووس في السرداب، وكدعاء العلوي المصري المعروف الذي علمه محمد بن علي العلوي الحسيني المصري في حائر الحسين عليه السلام وقد أتاه في خمس ليال حتى تعلمه^(١).

وهذا هو الأصل في كثير من الأقوال المجهولة القائل، فيكون المُطَّلَع على قول الإمام عليه السلام لما وجده مخالفاً لما عليه الإمامية أو معظمهم، ولم يتمكن من إظهاره على وجهه، وخشي أن يضيع الحق جعله قولاً من أقوالهم، واعتمد عليه، وأفتى به من دون تصريح بدليله.

فحصّل من ذلك: إنّ العلماء لم يدعوا في كتبهم حكماً من الأحكام من دون أن يعثروا عليه عن أئمتهم، وقد يكون بطريق المشافهة من إمام العصر أرواحنا له الفداء، فما ذكره المشايخ المُتقدّمون في مزاراتهم من صلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة أبي الفضل لا ينبغي الوقفة في رجحانه عند أهل البيت عليهم السلام؛ إذ لعلّه وصل إليهم بالخصوص وإن جهلنا طريق الوصول إليهم.

(١) بحار الأنوار ٥١ / ٣٠٧، مُعجم أحاديث المهدي / ٤٨٧.

ولو تنازلنا عن ذلك، لدلّنا حديث أبي حمزة الثمالي المروي في كامل الزيارات ص ٢٤٠ عن الإمام الصادق عليه السلام الواردة في زيارة الحسين عليه السلام، المشتملة على المقدمات والمقارنات الكثيرة، وفيه قال الصادق عليه السلام: « فإذا فرغت فصل ما أحببت، إلا أن ركعتي الزيارة لا بدّ منهما عند كل قبر »^(١). فإنّه أثبت بعمومه رجحان ركعتي الزيارة عند كلّ مزور، وليس له مُخصّص يدفع العموم.

وخلو بعض الروايات الواردة في زيارة غير المعصومين عليهم السلام من التعرّض لركعتي الزيارة لا ينهض لمصادمة العموم، فالعامة مُحكم في مواردّه حتّى يجيء المُخصّص المُخرَج. كما أنّ خلو رواية أبي حمزة الثمالي الواردة في زيارة العباس عليه السلام عن ذكر صلاة الزيارة لا يدلّ على عدم المشروعية؛ والتنصيص في زيارة المعصومين عليهم السلام لا يدلّ على عدم المشروعية في غيرهم. فهذا العموم، وما ذُكر في مزارات مَنْ تقدّم ذكرهم من النّص عليها، كافٍ في المشروعية والرجحان.

فما حُكي عن بعض معاصري العلامة المجلسي من منع صلاة الزيارة لغير المعصومين عليهم السلام^(٢)، مستنداًً بخلو الأخبار الواردة في زيارتهم عنها، في غير محلّه؛ لما عرفت من الدليل عليه، مضافاً إلى ما حكاه المجلسي في مزار البحار ص ١٨٠، عن مؤلّف المزار الكبير، عن صفوان الجمال، عن الصادق عليه السلام من

(١) كامل الزيارات / ٤١٧، بحار الأنوار ٩٧ / ١٣٣.

(٢) بحار الأنوار ٩٨ / ٣٧٨.

الأمر بصلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة علي الأكبر^(١)، ويتم في أبي الفضل بعدم القول بالفصل.

وفيه: عن المزار الكبير^(٢) ومزار الشهيد^(٣)، بعد ذكر زيارة مسلم بن عقيل، قال: ثم انحرف إلى عند الرأس فصل ركعتين، ثم صلّ بعدهما ما بدا لك. وظهره أنّ الركعتين للزيارة، ولكنه نقل عن مزار السيّد ابن طاووس التصريح بذلك؛ فإنّه بعد الفراغ من الزيارة قال: ثمّ تُقبّل الضريح وتُصلّي صلاة الزيارة، وتهدى ثوبها له، ثمّ تُودّعه وتنصرف^(٤).

وفي مزار البحار عند ذكره زيارة هاني بن عروة، قال: ثمّ صلّ صلاة الزيارة وأهدها له، وادعُ لنفسك بما شئت، وودّعه وانصرف^(٥).

وعلى ما تقدّم من أنّ هؤلاء الأعلام لم يدعوا في مزاراتهم إلّا ما رووه عن أئمتهم، أو وحدوه مروياً واعتمدوا عليه. ويتضح لنا رجحان ركعتي الزيارة لمسلم وهاني، على أنّ الإطلاق المذكور يشملهم، فإذا في أبي الفضل عليه السلام بطريق أولى.

(١) بحار الأنوار ٩٨ / ٩٨ .

(٢) المزار للمشهدي / ١٧٩ .

(٣) المزار للشهيد الأوّل / ٢٨٠ .

(٤) بحار الأنوار ٩٧ / ٤٢٨ .

(٥) بحار الأنوار ٩٧ / ٤٢٩ .

تقبيلُ القبر:

مما يدلُّ على رجحان تقبيل قبر العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام ما رواه في مزار البحار ص ١٨٠، عن مؤلف المزار الكبير، عن صفوان الجمال، عن الصادق عليه السلام... وساق الزيارة للحسين إلى أن قال:

« ثم تأتي إلى قبر العباس بن عليّ، وتقول: السّلامُ عليك أيُّها الوليُّ... إلى أن قال: ثمّ تنكبُّ على القبرِ وتُقبَلُهُ، وتقول: بأبي وأُمِّي يا ناصر دين الله! السّلامُ عليك يا بن أمير المؤمنين، السّلامُ عليك يا ناصر الحسينِ الصّديق، السّلامُ عليك يا شهيدُ ابنِ الشّهِيد، السّلامُ عليك منِّي أبداً ما بقيتُ، وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ »^(١).

وفيه كفاية لمن يتطلّب النصّ على المشروعية والرجحان، ويضاف إليه ما ذكره المفيد وابن المشهدي وابن طاووس في مزاراتهم؛ فإنهم قالوا بعد الاستئذان: ثمّ ادخل وانكبّ على القبر، وقُل: السّلامُ عليك أيُّها العبد الصّالح... إلى آخره.

ولهذا وأمثاله كان شيخ المحقّقين ونخبة المُرتاضين، مُجدّد المذهب في المئة الثانية عشر محمّد

باقر البهبهاني إذا دخل إلى

(١) المزار للمشهدي / ٤٣٣، بحار الأنوار / ٩٨ / ٢٦١.

حرم أبي الفضل عليه السلام يُقبَل عتبة الباب كما يفعل في حرم سيّد الشهداء عليه السلام ^(١)، وفعل
هذا المتبحر حجة، وعمله أكبر برهان لمن يتبع الحق: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ
(٢) .

(١) أسرار الشهادة / ٦٦ .

(٢) سورة يونس / ٣٥ .

أولاده وأحفاده:

كان للعباس من الأولاد خمسة: عبيد الله^(١)، والفضل^(٢)، والحسن^(٣)، والقاسم^(٤)، وبتان. وعبد ابن شهر آشوب من الشهداء في الطفّ ولد العباس محمد^(٥). فأما عبيد الله والفضل فأتمهما لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وأمها أم حكيم جويرية بنت خالد بن قرظ الكنانية، كانت من أجمل النساء وأوفرهنّ عقلاً، ولما قتل بسر بن أرطأة ولديها عبد الرحمن وقثم، وكانا صبيّين صغيرين، وهي تنظر إليهما، فقدت الصبر وأخذها الوجد، فكانت تدور في البيت ناشرة شعرها، وتقول في رثائهما^(٦):

يا مَنْ أَحَسَّ بِإِبْنَيْ اللَّذِينَ هُمَا كَالدَّرْتَيْنِ تَشْطَى عَنْهُمَا الصَّدْفُ

(١) مستدركات علم الرجال للنمازي ٦ / ٢١٦.

(٢) الجريدة في أنساب العلويين ٤ / ٣١٨.

(٣) الجوهرة في نسب الإمام علي ٥٧ / ٥٧.

(٤) الجريدة في أنساب العلويين ٤ / ٣٥١.

(٥) الجريدة في أنساب العلويين ٥٨٨ / ٥٨٨.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ١٣، تاريخ مدينة دمشق ١٠ / ١٥٣، بلاغات النساء لابن

طيفور ٢٠٢ / ٣، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٨٤.

يا مَنْ أَحَسَّ بِإِبْنِي اللَّذِينَ هُمَا سَمَعِي وَقَلْبِي فَمُخِّجِي الْيَوْمِ مُحْتَطِّفُ
 نُبْتُ بُسْرًا وَمَا صَدَّقْتَ مَا زَعَمُوا مِنْ قَوْلِهِمْ وَمَنْ الْإِفْكَ الَّذِي اقْتَرَفُوا
 أَنَحَى عَلَيَّ وَدَجِي إِبْنِي مُرْهَفَةَ مَشْحُودَةً وَكَذَلِكَ الْإِفْكَ يُقْتَرَفُ
 حَتَّى لَقَيْتُ رِجَالًا مِنْ أُرُومَتِهِ شَمَّ الْأَنْوَفِ هُمْ فِي قَوْمِهِمْ شَرَفُ
 فَالآنَ أَلَعَنْ بُسْرًا حَقًّا لَعْنَتِهِ هَذَا لَعْمَرُ أَبِي بُسْرِ هُوَ السَّرْفُ
 مَنْ دَلَّ وَالْهَمَّةُ حَرَى مُوَلَّهَةَ عَلَى صَبِيَّيْنِ ضَالًّا إِذْ غَدَا السَّلْفُ
 فسمع قولها هذا رجلٌ من أهل اليمن فرقاً لها، واتصل ببسرٍ حتى وثق به، ثم احتال لقتل
 ابني بسرٍ، فخرج بهما إلى وادي أوطاس فقتلهما وهرب، وقال^(١):

يا بُسْرُ بُسْرَ بَنِي أَرْطَاءَ مَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَلَا غَابَتْ عَلَى النَّاسِ
 خَيْرٌ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَيْنُ الْهُدَى وَسِمَامُ الْأَسْوَاقِ الْقَاسِي
 مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى طِفْلِي مُوَلَّهَةَ تَبْكِي وَتُنْشِدُ مَنْ أُنْكَلَتْ فِي النَّاسِ

(١) الأغاني ١٥ / ٤٥.

أَمَا قَتَلْتَهُمَا ظُلْمًا فَقَدْ شَرَقْتَ مِنْ صَاحِبَيْكَ قِنَاقِي يَوْمَ أُوطَاسٍ
فَاشْرَبْتُ بِكَأْسِهِمَا تُكَلِّئِي كَمَا شَرِبْتُ أُمُّ الصَّيْبِيِّينِ أَوْ ذَاقَ ابْنُ عَبَّاسٍ
وَلَمَّا بَلَغَ قَتْلَهُمَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا دَعَا عَلِيٌّ بُسْرَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، اسْلُبْهُ دِينَهُ وَعَقْلَهُ»^(١).
فَحَرَفَ بُسْرٌ حَتَّى كَانَ يَلْعَبُ بِحَرْثِهِ، وَيَقُولُ لِمَنْ حَضَرَ: انظُرُوا كَيْفَ يُطْعِمُنِي هَذَانِ الْغُلَامَانِ
ابْنَا عَبِيدِ اللَّهِ هَذَا الْخَرْءِ. فَشَدَّوْا يَدَيْهِ إِلَى وِرَائِهِ لِيُمنَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَانجَا يَوْمًا فِي مَكَانِهِ وَأَهْوَى
بِفَمِهِ لِيَتَنَاوَلَ مِنْهُ، فَمُنِعَ مِنْهُ، فَقَالَ: أَنْتُمْ تَمْنَعُونِي وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَتْمٌ يُطْعِمَانِي؟! وَبَقِيَ عَلِيٌّ
هَذَا حَتَّى مَاتَ فِي سَنَةِ ٨٦ هَجْرِيَّةً أَيَّامَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٢).
خَلَفَ عَلِيٌّ لِبَابَةِ بَعْدَ أَبِي الْفَضْلِ عَلِيًّا زَيْدَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا، فَأَوْلَدَهَا
نَفِيسَةَ، تَزَوَّجَهَا الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ^(٣)، فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدًا. فَكَانَ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ يَفِدُ
إِلَى الْوَلِيدِ وَيَجْلِسُ مَعَهُ عَلِيٌّ السَّرِيرِ وَيُكْرِمُهُ؛ لِمَكَانِ ابْنَتِهِ عِنْدَهُ، وَوَهَبَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
دَفْعَةً وَاحِدَةً^(٤).

وَخَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ الْوَلِيدُ بْنُ عَتْبَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فَوَلَدَتْ لَهُ الْقَاسِمَ^(٥).

-
- (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ١٨، أنساب الأشراف / ٤٦٠، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٨٥.
(٢) مروج الذهب ٢ / ١٥٥.
(٣) تذكرة الخواص ٢ / ٧١.
(٤) سرّ السلسلة العلوية للبحاري / ٢٩.
(٥) المجدي في أنساب الطالبيين / ٢٣١.

وَأَتَّفَقَ أَرْبَابُ النَّسَبِ عَلَى انْخِصَارِ عَقْبِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَلَدِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَزَادَ الشَّيْخُ الْفَتْوَوِيُّ الْعَقْبَ لِلْحَسَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ، مَوْصُوفًا بِالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَالْمُرُوَّةِ، مَاتَ سَنَةَ ١٥٥ هَجْرِيَّةً^(١).

تَزَوَّجَ مِنْ ثَلَاثِ عَقَائِلَ كَرَامٍ: رَقِيَّةَ بِنْتِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِنْتَ مَعْبُدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَبِنْتَ الْمُتَسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ الزُّبَيْرِيِّ^(٢).

وَلِعُبَيْدِ اللَّهِ هَذَا مَنْزِلَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَ السَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَرَامَةً لِمَوْقِفِ أَبِيهِ (قَمَرِ بْنِ هَاشِمٍ)، وَكَانَ إِذَا رَأَى عُبَيْدَ اللَّهِ رَقًا وَاسْتَعْبَرَ بِأَكْيَافًا، فَيَاذًا سُئِلَ عَنْهُ، قَالَ: «إِنِّي أَذْكَرُ مَوْقِفَ أَبِيهِ يَوْمَ الطُّفِّ، فَمَا أَمْلِكُ نَفْسِي».

وَانْخِصَرَ عَقْبُ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي وَلَدِهِ الْحَسَنِ، وَكَانَ لِأُمِّ وَلَدِهِ، عَاشِ سَبْعًا وَسِتِّينَ سَنَةً، أَوْلَادُ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ خَمْسَةٌ:

١ - الْفَضْلُ.

٢ - حَمْزَةُ.

٣ - إِبْرَاهِيمُ.

٤ - الْعَبَّاسُ.

٥ - عُبَيْدُ اللَّهِ.

وَكُلُّهُمْ أَجْلَاءُ فُضْلَاءَ أَدْبَاءِ^(٣).

(١) الْمُتَّحِدِيُّ فِي أَنْسَابِ الطَّالِبِيِّينَ / ٢٣١.

(٢) سِرُّ السَّلْسَلَةِ الْعُلُوِّيَّةِ / ٩٠ وَذَكَرَ أَنَّهُنَّ أَرْبَعَةٌ بِإِضَافَةِ أُمِّ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ.

(٣) الْمُتَّحِدِيُّ فِي أَنْسَابِ الطَّالِبِيِّينَ / ٢٣١.

فأما الفضل فكان لسناً مُتكلماً فصيحاً، شديد الدين، عظيم الشجاعة، مُحتشماً عند الخلفاء^(١)، ويُقال له: (ابن الهاشمية).

أعقب من ثلاثة: جعفر، والعبّاس الأكبر، ومحمّد، ولكلّ منهم أولادٌ فيهم الأدياء. فمنهم أبو العبّاس الفضل بن محمّد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس، كان خطيباً شاعراً، وقع عقبه إلى قم وطبرستان، وله أبيات في موقف جدّه العبّاس يوم الطّفّ نذكرها في فصل المديح^(٢).

وأما حمزة فيُشبهه جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، خرج توقيع المأمون بخطّه، وفيه: يُعطى لحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس بن أمير المؤمنين مئة ألف درهم؛ لشبهه بجدّه أمير المؤمنين عليه السلام.

تزوَّج^(٣) زينب بنت الحسين بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيّار المعروف بـ (الزيني)، نسبة إلى أمّه زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام. وكان حفيده محمّد بن علي بن حمزة متوجّحاً شاعراً، نزل البصرة، وروى الحديث عن الرضا عليه السلام وغيره، مات سنة ٢٨٦ هـ^(٤). وسيأتي في ترجمة ابن أخيه الحمزة صاحب المشهد بقرب الحلة: إنّ أمّ صاحب الزمان (عجل الله فرجه) التحّات إلى بيته.

وترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ج ٢ ص ٦٣، وقال: كان راوية للأخبار، وهو صدوق، وله الرواية عن جماعة كثير^(٥).

-
- (١) سرّ السلسلة العلوية / ٩٠، المُجدي في أنساب الطالبين / ٢٣٢.
 - (٢) المُجدي في أنساب الطالبين.
 - (٣) سرّ السلسلة العلوية / ٩١.
 - (٤) عمدة الطالب / ٣٥٨.
 - (٥) تاريخ بغداد ٣ / ٣٢٨.

وفي تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٥٢ وصفه بالعلوي البغدادي، ونقل عن ابن أبي حاتم: أنه صدوق ثقة^(١).

وأما إبراهيم ويُعرف بـ (جردقة) كان من الفقهاء الأدياء والزهاد، وابنه عليّ أحد الأجداد، له جاه وشرف، مات سنة ٢٦٤ هـ، أولد تسعة عشر ولدًا. ومن أحفاده: أبو الحسن عليّ بن يحيى بن عليّ بن إبراهيم جردقة، كان خليفة أبي عبد الله بن الداعي على التّقابة ببغداد^(٢).

وعبد الله بن عليّ بن إبراهيم جردقة جاء إلى بغداد، ثمّ سكن مصر، وكان يتمتع من التحدّث بما تمّ حدّث، وعنده كتب تُسمّى (الجعفرية) فيها فقه على مذهب الشيعة، توفيّ في مصر، في رجب سنة ثلاثمئة واثنى عشر^(٣).

وقال أبو نصر البخاري في سرّ السلسلة، في العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس السّقا: ما رُوي هاشميّ أعضب لساناً منه ولا أجراً^(٤).

قدم بغداد في أيام الرشيد وأقام في صحبته، ثمّ صحب المأمون بعده، وكان من رجال بني هاشم فصاحة وشعراً^(٥)؛ وجلالته وفضله وبلاغته وفصاحته يُكفّي عند الرشيد^(٦).

ومن شعره في إحياء أبي طالب لعبد الله والد الرسول الأقدس ﷺ:

(١) تهذيب التهذيب ٩ / ٣١٤.

(٢) عمدة الطالب / ٣٢٤.

(٣) تاريخ بغداد ١٠ / ٣٤٥.

(٤) سرّ السلسلة العلوية / ٩٠، عمدة الطالب / ٣٥٩.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ١٣ / ٢٤٦، الوافي بالوفيات ١٦ / ٣٧٠.

(٦) عمدة الطالب / ٣٥٩.

إِنَّا وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَجْمَعُنَا
 جَاءَتْ بِنَا رَيْتُهُ مِنْ غَيْرِ أُسْرَتِهِ
 حَزناً يَهَادُونَ مَنْ يَسْعَى لِيُدْرِكَهَا
 رِزْقاً مِنَ اللَّهِ أَعْطَانَا فَضِيلَتَهُ
 وَفِي الْمَجْدِيِّ مِمَّا رَثَى بِهِ أَحَاهُ مُحَمَّدًا:
 وَارَى الْبَقِيْعُ مُحَمَّدًا
 مِنْ نَائِلٍ وَنَدَى وَمَع
 وَحِيَاءاً لِأَيْتَامٍ وَأَرْ
 وَلى فـوَلَى الْجـوْدُ وَالْ
 وَقَالَ: وَلَهُ أَيْضاً:
 وَقَالَتْ قُرَيْشٌ لَنَا مَفْخَرٌ
 رَفِيْعٌ عَلَى النَّاسِ لَا يُنْكَرُ
 أَبٌ وَأُمٌّ وَجَدُّ غَيْرُ مَوْصُومٍ
 غُرَاءٌ مِنْ نَسْلِ عُمَرَ بْنِ مَخْرُومٍ
 قَرَابَةٌ مِنْ حَوَاهَا غَيْرُ مَسْهُومٍ
 وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَرْزُوقٍ وَمَحْرُومٍ^(١)
 لِلَّهِ مَا وَارَى الْبَقِيْعُ
 زُوفٍ إِذَا ظَنَّ الْمَنْوُوعُ
 مَلِيَةً إِذَا جَفَّ الرَّيْعُ
 مَعْرُوفٌ وَالْحَسْبُ الرَّفِيْعُ^(٢)
 رَفِيْعٌ عَلَى النَّاسِ لَا يُنْكَرُ

(١) تاريخ بغداد ١٢ / ١٢٦، أعيان الشيعة ٧ / ٤١٣.

(٢) المُجْدِي فِي أَنْسَابِ الطَّالِبِيْنَ / ٢٣٦.

بنا تَفْخَرُونَ عَلَى غَيْرِنَا فَأَمَّا عَلَيْنَا فَلَا تَفْخَرُوا^(١)
أولد العباس عشرة ذكور: منهم عبد الله، وأمه أفطسيّة، كان أديباً شاعراً.
فمن شعره ما في المُجدي:

وإني لأستحبي أحي أن أبرّه قريباً وأن أجفوه وهو بعيد
عليّ لإخواني رقيب من الهوى تبيد الليالي وهو ليس يبيد^(٢)
وفي سرّ السلسلة: قدم على المأمون فتقدّم عنده، ولما سمع بموته، قال: استوى الناس
بعدك يابن عباس. ومشى في جنازته، وكان يُسمّيه: الشيخ ابن الشيخ^(٣).

وفي العمدة: كان من أحفاد العباس السّقا أبو الطيّب محمّد بن حمزة بن عبد الله بن
العبّاس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس السّقا، من أكمل الناس مروءة وسماحة، وصلة
رحم وكثرة معروف، مع فضل كثير وجاه واسع. اتّخذ بمدينة الأردن - وهي طبرية - ضياعاً
وأموالاً، فحسده طعج بن جفّ الفرغاني، فدسّ إليه جُنداً قتلوه في بُستان له بطبرية، في
صفر سنة ٢٩١ هـ.

ورثته الشعراء، فمن ذلك ما في المُجدي:

أيُّ رُزٍ جئى على الإسلام أيُّ خطبٍ من الخطوبِ الجسام^(٤)

(١) المُجدي في أنساب الطالبين / ٢٣٦.

(٢) المُجدي في أنساب الطالبين / ٢٣٧، عمدة الطالب لابن عنبه / ٣٥٩.

(٣) عمدة الطالب / ٣٥٩.

(٤) المُجدي في أنساب الطالبين / ٢٣٧.

ويُقال لعقبه: بنو الشهيد.

وترجمه المُرزباني في مُعجم الشعراء ص ٤٣٥، وقال: شاعر الافتخار بأبائه، وكان في أيام المتوكل وبعده، وهو القائل:

وإني كريمٌ من أكارم سادةٍ أكرمهم تَنَدَى بجزل المواهبِ
هُم خيرٌ من يَحْفَى وأفضلُ ناعِلٍ وذروه هضِبِ العُربِ من آلِ غالبِ
هُم المنُّ والسَّلوى لِإِدانِ بوَدِّهِ وكالسُّمِّ في حَلَقِ العَدُوِّ المُجانِبِ^(١)

وترجم له شيخنا الجليل العلامة ميرزا عبد الحسين الأميني في شعراء الغدير ج ٣ ص ٣، طبع النَّحف.

وأما عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس السَّقَا عليه السلام، ففيه يقول محمد بن يوسف الجعفري: ما رأيتُ أحداً أهيباً ولا أهيأً ولا أمراً من عبيد الله بن الحسن. تولّى إمارة الحرمين مكّة والمدينة والقضاء بهما أيام المأمون سنة ٢٠٤ هجرية^(٢)، وفي سنة ٢٠٤ هـ، وسنة ٢٠٦ هـ ولأه إمارة الحاج^(٣). مات ببغداد في زمن المأمون، وكانت أمه وأُمُّ أخيه العباس أمٌ ولد^(٤).

وقع عقب عليّ بن عبيد الله قاضي الحرمين إلى دمياط، ويُقال لهم: بنو هارون، وإلى فسا ويُقال لهم: بنو الهدهد، وإلى اليمن.

وأما الحسن بن عبيد الله الأمير القاضي، فأولد عبد الله. كان له

(١) الواقي بالوفيات ٢ / ٢٢٠، الغدير ٣ / ٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٠ / ٣١٣.

(٣) تاريخ الطبري ٧ / ١٥٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٠ / ٣١٣.

إحدى عشر ذكراً لهم أعقابٌ، منهم: القاسم بن عبد الله بن الحسن بن عبيد الله، قاضي الحرمين، ابن الحسن بن عبيد الله بن العباس الشهيد السّقا. له خطر بالمدينة، وأحد أصحاب الرأي، لسناً مُتكلّماً، سعى بالصلح بين بني علي وجعفر، وهو صاحب أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام^(١).

فأحفاد العباس كُلهم أجلاء، لهم المكانة العالية بين الناس؛ لأنهم بين فقهاء ومُحدثين، ونسّابين وأمرء وأدباء، ولا بدع بعد أن عرق فيهم (أبو الفضل)، فحووا عنه المزايا الحميدة والصفات الجميلة، فكانت ملامح الشرف والسؤدد تلوح على أسارير جبهاتهم، وملء أهاجهم علم وعمل، وحشو الرّدى هيبة ومنعة. ومنهم السيّد الجليل صاحب الحرم المنيع والقبّة السّامية (الحمزة)، المدفون بالمدحتية قرب الحلّة.

(١) عمدة الطالب / ٣٤٩.

الحمزة:

من أحفاد أبي الفضل السيّد الجليل أبو يعلى الحمزة بن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد كتب الشيخ الجليل العلامة ميرزا محمّد علي الأوردبادي صحائف عُزِّ في حياته، نذكرها بنصّها:

قال: كان أبو يعلى أحد علماء العترة الطاهرة، وفدّاً من أفذاذ بيت الوحي، وأوحدني من سروات المجد من هاشم. روى الحديث فأكثر، واختلف إليه العلماء للأخذ منه، منهم: الشيخ الأجل أبو محمّد هارون بن موسى التلعكبري، وأحد أعظم الشيعة ومن حملة علومهم، توفّي سنة ٣٨٥ هـ.

والحسين بن هاشم المؤدّب، وعلي بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق، وكلاهما من مشايخ الصدوق ابن بابويه القميّ، وعلي بن محمّد القلانسي، من مشايخ الشيخ المبيّجّل أبي عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري، وأبو عبد الله الحسين بن علي الخزاز القميّ^(١).
ويظهر من هذا أنّه كان في طبقة ثقة الإسلام الكليني، قد أدرك القرنين: آخر الثالث وأواخر الرابع؛ ولأجله عقد له الشيخ العلامة الشيخ آقا بزرك الرازي في كتابه (نابعة الرواة في رابعة المئات) ترجمة ضافية، فهو من علماء الغيبة الصغرى.

(١) رجال النجاشي / ١٤٠، نقد الرجال للفرشي ٢ / ١٦٧، رجال العلامة / ١٢١، رجال ابن داود /

وله من الآثار والمآثر: كتاب التوحيد، وكتاب الزيارات والمناسك، وكتاب الرد على محمد بن جعفر الأسدي، وكتاب من روى عن جعفر بن محمد عليه السلام من الرجال، استحسنته النجاشي والعلامة، ولهذا ترجمه شيخنا الرازي في مصنفى المقال في مُصنّفِي علماء الرجال، وأسند النجاشي إلى هذه الكتب عن ابن الغضائري عن القلانسي عن سيدنا المترجم. وإليك كلمات العلماء في الثناء عليه:

قال النجاشي والعلامة: إنّه ثقة جليل القدر من أصحابنا، كثير الحديث^(١).

وقال المجلسي في الوجيزة: ثقة^(٢).

وفي تنقيح المقال للعلامة المامقاني: السيّد [الجليل] حمزة، ثقةٌ جليل القدر، عظيم المنزلة^(٣).

وفي الكنى والألقاب لشيخنا المحدث الشيخ عباس القمّي: إنّه أحد علماء الإجازة وأهل الحديث، وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأثنوا عليه بالعلم والورع^(٤).

إنّ دون مقام سيدنا المترجم أنّ نقول فيه: إنّه من مشايخ الإجازة الذين هم في غنى عن أيّ تركية وتوثيق، كما نصّ به الشهيد الثاني، وتلقاه من بعده بالقبول؛ فإنّ ذلك شأن من لا يُعرف وجُهلّت شخصيته، وإنّ مكانة سيدنا أبي يعلى فوق ذلك كُله على ما عرفته من نصوص علماء الرجال.

(١) رجال النجاشي / ١٤٠، ٣٦٤.

(٢) بحار الأنوار ٥٣ / ٢٨٧.

(٣) تنقيح المقال ١ / ٣٧٦.

(٤) الكنى والألقاب للقمّي ١ / ١٨٧.

ومن كراماته المُرِيبة على حدِّ الإحصاء، المشهودة من مرقدہ المُطَهَّر، فهو من رجالات أهل البيت عليهم السلام، المعدودين من أعيان علمائهم بكُلِّ فضيلة ظاهرة ومأثرة باهرة: والشَّمْسُ معروفةٌ بالعينِ والأثرِ.

فليس هو مِمَّن نتحرى إثبات ثقته حتى نتشبَّث بأمثال ذلك. نعم، كثرة روايته للحديث تنم عن فضل كثار من غزارة علمه؛ ومِن قولهم عليهم السلام: « اعرفوا منازلَ الرِّجالِ مِنَّا بقدرِ روايتهم عنَّا ». فإنَّ ذلك يشفِّ عن التصلُّب في أمرهم، والتضلُّع بعلومهم، والبتُّ لمعارفهم، وبطبع الحال إنَّ كُلاً من هذه يُقرَّب العبد إلى الله تعالى وإليهم عليهم السلام زلفى، فكيف بمن له الحظوة بها جمعاء، كسيدنا المُترجم، على نسبه المُتألِّق المُتَّصل بدوحهم المُقدسيِّ اليانع؟!
أما مشايخه في الرواية فجماعة عرفناهم بعد الفحص في المُعجم وكتب الحديث؛ كرجال الطوسي، وفهرست النَّجاشي، وإكمال الدِّين للصدوق، منهم:

- ١ - الشيخ التِّقَّة الجليل سعد بن عبد الله الأشعري.
- ٢ - محمَّد بن سهل بن ذارويه القُمِّي.
- ٣ - الحسن بن ميثل.
- ٤ - عليُّ بن عبد بن يحيى.
- ٥ - جعفر بن مالك الفزاري الكوفي.
- ٦ - أبو الحسن عليُّ بن الجنيد الرازي.
- ٧ - وأجلُّ مشيخته عمّه مستودع ناموس الإمامة، والمؤتمن على وديعة المهيمن سبحانه، أبو عبد الله - أو عبيد الله - محمَّد بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العبَّاس عليهم السلام.

ومن جلالته، أنّه لما وقعت الفتنة بعد وفاة أبي محمد العسكري عليه السلام، وكثر الفحص والطلب من زبانية الإلحاد وطواغيت الوقت على بيت الإمامة ونسائه، وجواريه وإمائه؛ حذار وجود البقية منه أو وجود حامل منهم تلده، لما بلغ الطاغية أنّ الخلف بعد أبي محمد العسكري عليه السلام يُدمر دولة الباطل، فحسبه في العاجل وهو آجل، فعند ذلك انتقلت الكريمة الطاهرة أم الإمام المنتظر عجل الله فرجه (نرجس) سلام الله عليه وعليها إلى بيت أبي عبد الله هذا، كما نصّ به النجاشي؛ للحفظ من عادية المرجفين^(١).

وإنّ الاعتبار لا يدعنا إلّا أنّ نقول: بأنّ بيتاً يحوي أمّ الإمام عليه السلام لا بُدّ أن يكون مختلف وليّ الدهر وصاحب العصر، الناهض بعبء خلافة الله الكبرى، ومحطّ أسراره ومرتكز أمره، ومجرى علومه ومصبّ معارفه، ليتعاهد الحضرة الطيبة أمّه نرجس، ويكون عليه السلام هو المحتبى في صدر ذلك الدست، والمترّب على منصّة عزه.

ولا شكّ أنّ أبا عبد الله هذا يقتبس من علومه ويستضيء بأنواره، وحينئذٍ فدون مقامه إطاء العلماء له، كقول النجاشي والعلامة: ثقة جليل، وكقول ابن داود: عين في الحديث، صحيح الاعتماد^(٢)، كتوثيقات الوجيزة، والبلغة، والمشتركات، وحاوي الأقوال.

(١) رجال النجاشي / ٣٤٧، ولكنّ في كمال الدّين وتمام التّعمة للصدوق / ٤٥٩، ح ٧، قال: فماتت [

يعني أمّ الإمام الحجة] في حياة أبي محمد عليه السلام.

(٢) رجال النجاشي / ٣٤٧، ٩٣٨، وهذه عبارته وليست عبارة ابن داود، وارجع إلى رجال الحلّي / ٣٦٠،

١٠٦، ونقد الرجال ٤ / ٢٧٤، ٤٩٢٦، ٥٧٠، وغيرها.

وقال ابن عنبه في العمدة: نزل البصرة، وروى الحديث عن علي بن موسى الكاظم عليه السلام وغيره، بها وبغيرها، وكان مُتوجَّهاً عالماً شاعراً. وقال النَّجاشي: له رواية عن أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام، وإنَّ له مكاتبة، وله مقاتل الطالبين^(١). فحسبُ سيِّدنا المترجم أبو يعلى من الشرف أن يكون معماً بمثله، وناهيه من الفضيلة أن يكون خرَّيجاً لمدرسته. ووالد أبي عبد الله هذا فهو علي بن حمزة بن الحسن، نصَّ النَّجاشي والعلامة الحلبي وفي الوجيزة والبلغة على ثقته.

وأبو حمزة الشبيه بجدِّه أمير المؤمنين عليه السلام جليل القدر عظيم المنزلة، خرج توقيع المأمون بخطه: يُعطى لحمزة بن الحسن لشبهه بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب مئة ألف درهم. قاله ابن عنبه في العمدة^(٢).

وأبو حمزة هذا [هو] الحسن بن عبيد الله، فذكر النَّسابة العمري في المجدي: أنه كان لأمِّ ولد، روى الحديث، وعاش سبعاً وستين سنة^(٣). ووافقه على عمره أبو نصر البخاري في سرِّ السلسلة، وذكر أنَّ العدد والثروة في ولده، وأنَّ أمه وأمُّ شقيقه عبد الله بنت عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب^(٤).

قلتُ: والظاهر أنَّ في النَّسخة غلط نسياني؛ فإنَّ أبا نصر نفسه

(١) مُعجم رجال الحديث للخوئي ١٧ / ٣٥١، ١١٣٢١ ت.

(٢) عمدة الطالب لابن عنبه / ٣٥٨.

(٣) المُجدي في أنساب الطالبين / ٢٣١.

(٤) سرِّ السلسلة العلوية للبخاري / ٩٠.

ذكر أنّ التي كانت تحت عبيد الله بن العباس عليه السلام هي أمّ أبيها بنت معبد بن العباس لا ابنة ابنه .

وعبيد الله بن العباس أبو الحسن، ذكر الشيخ العلامة علي بن يوسف بن المطهر - أخو آية الله العلامة الحلّي - في العدد القويّة، عن الزبير بن بكار: أنّه من العلماء .
وقال أبو نصر البخاري: تزوّج أربع عقائل كرام: رقية بنت الإمام الحسن السبط عليه السلام، وأمّ عليّ بنت السّجاد عليه السلام لم تلد منه، وأمّ أبيها بنت معبد بن العباس بن عبد المطلب، وابنة المسور بن مخزوم الرّبيري^(١) .

وأما سيّدنا أبو الفضل العباس قمر بني هاشم، الذي هو بمنقطع الفضل ومنتهى الشرف، وغاية الجلالة وقصارى السّؤدد، فالبيان يتقاعس؛ إنّه جاء ممدوحاً بلسان أئمّة الدّين عليهم السلام كابن أخيه الإمام السّجاد عليه السلام، ثمّ الإمام الصادق عليه السلام .

ولسيّدنا المترجم أبي يعلى في أرض الجزيرة بين الفرات ودجلة من جنوب الحلة السّيفيّة مشهدٌ معروف في قرية تُعرف باسمه (قرية الحمزة)، بالقرب من قرية المزيديّة؛ يُقصد بالزيارة، وتُساق إليه النّدور، ويُتبرّك به، وتُعزى إليه الكرامات، تتناقلها الألسن ويتسالم عليها المشاهدون وتخبّت بها النفوس، وكان في ذي قبل يُعرف بمشهد (حمزة بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام) .

وبما أنّ الثابت في التاريخ والرجال أنّ قبر حمزة المذكور في الرّي، إلى جنب مشهد السيّد الأجلّ عبد العظيم الحسيني سلام الله عليهما،

(١) سرّ السلسلة العلوية للبخاري / ٩٠ .

كان سيّد العلماء والفقهاء المُجاهدين سيّدنا المهدي القزويني، بعد أن هبط الحلّة الفيحاء، وأقام فيها دعامة الدّين وشيّد أركان المذهب، يمرّ بهذا المشهد حين وفوده إلى بني زبيد للإرشاد والهداية، ولا يزوره؛ ولذلك قلّت رغبة النَّاس في زمانه. فصادف أن مرّ به مرّة، فطلب منه أهلُ القرية زيارة المرقد المُطَهَّر، فاعتذر بما قدّمناه، وقال: لا أزور مَنْ لا أعرفه. فبات ليلةً وغادر القرية من غدٍ إلى المزيديّة وبات بها، حتّى إذا قام للتهجّد في آخر الليل وفرغ من عمله، طفق يراقب طلوع الفجر، إذ دخل عليه رجلٌ في زيّ علوي شريف من سادة تلك القرية، يعرفه المهدي بالصلاح والتقوى، فسلمّ وجلس، وقال له: استضفت أهل الحمزة، وما زرت مشهده؟! قال: نعم. قال: ولم ذلك؟ فأجابه بما قدّمناه من جوابه لأهل القرية.

فقال العلوي المذكور: رُبّ مشهورٍ لا أصل له. وليس هذا قبر حمزة بن موسى الكاظم عليه السلام كما اشتهر، وإنّما هو قبر أبي يعلى حمزة بن القاسم العلوي العبّاسي، أحد علماء الإجازة وأهل الحديث، وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأنثوا عليه بالعلم والورع. فحسب سيّدنا الحجّة المهدي أنّه أخذ هذا من أحد العلماء؛ لأنّه كان من عوام السّادة، وأين هو من الاطّلاع على الرجال والحديث؟! فاغفل عنه ونهض لفحص الفجر، وخرج العلوي من عنده.

ثم أَدَّى السَّيِّدَ الفَرِيضَةَ وجلس للتعقيب حتَّى مطلع الشمس، وراجع كُتُب الرجال التي كانت معه، فوجد الأمر كما وصفه الشريف العلوي الداخل عليه قُبيِل الفجر، ثمَّ ازدلف أهلُ القرية إليه مُسلمين عليه، وفيهم العلوي المُشار إليه، فسأله عن دخوله عليه قُبيِل الفجر وإخباره إيَّاه عن المشهد وصاحبه، عمَّن أخذه، ومن أين له ذلك.

فحلف العلوي بالله أنَّه لم يأتِه قبل الفجر، وأنَّه كان بائناً خارج القرية في مكان سمَّاه، وأنَّه سمع بقدوم السيِّد فأتاه زائراً في وقته هذا، وأنَّه لم يره قبل ساعته تلك. فنهض السيِّد المهدي من فوره وركب لزيارة المشهد، وقال: الآن وجب عليَّ زيارته - وإيَّ لا أشكَّ أنَّ الداخل عليه هو الإمام الحجَّة (عجل الله فرجه) - وركب الطريق معه أهل المزيديَّة^(١).

ومن يومئذ اشتهر المرقد الشريف بالاعتبار والثبوت، وازدلفت الشيعة إلى زيارته والتبرك والاستشفاع إلى الله تعالى به. وبعد ذلك نصَّ سيِّدنا المهدي عليه في فلك النَّجاة، وتبعه على ذلك من بعده العلامة النَّوري في تحيَّة الزائر، والعلامة المامقاني في تنقيح المقال، وشيخنا المحدث القمِّي في الكنى والألقاب^(٢).

أخذنا هذا النَّبأ العظيم من جنة المأوى للعلامة النَّوري.

هذا ما كتبه شيخنا العلامة ميرزا محمد علي الأوردبادي أيَّده الله.

(١) الكنى والألقاب ١ / ١٨٦.

(٢) شجرة طوبى للحائري / ١٧٣.

عمارة المشهد:

تمهيد:

لا شكّ في رجحان عمارة قبور الأولياء المقربين، لا سيما من حظي منهم بشرف المنبت النبوي الطاهر الذي هو معدود من أكبر الفضائل؛ لأنّه لا يزال بمجرد مُتواصل العرى، يحدو بصاحبه إلى أوج العظمة، وكُلّ سببٍ ونسبٍ مُنقطع يوم القيامة إلاّ نسبه وسببه ﷺ، فهو مُشرفٌ من تحلّى به في الدُّنيا والآخرة، فكيف به إذا كان مشفوعاً بعلمٍ وتقوى، ومآثر ومفاخر؟!!

- ١ - لأنّه من تعظيم شعائر الله: (وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (١).
- ومن موارد حرمانه المعيّنة بقوله تعالى: (وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ) (٢).
- وإذا كانت البدن من الشعائر له سبحانه: (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) (٣).
- وليست البدن إلاّ بهيمة تُنحر في مرضات الله سبحانه وفي سبيل طاعته، والشعار فيها نحره، فلماذا لا يكون عملُ الوليّ المُقرب، الشَّهيد الصديق المنحور على الدعوة الإلهية، والمراق دمه الطاهر على مجزرة الشهادة، من مستوى القدس، من جملة الشعائر والحُرّمات التي يجب تعظيمها؟

(١) سورة الحج / ٣٢.

(٢) سورة الحج / ٣٠.

(٣) سورة الحج / ٣٦.

بتعاهد مرقده الأطهر، وقصده بالزيارة والعبادة فيه، وعمارته عند الانهدام؛ لياوى إليه الزائر ويتفياً بظله للتعبد، كما أنّ الأمر بطواف البيت يستدعي عمارته كلّما أوشك أن يتضعع بنيانه؟!

٢ - على أنّ رجالات بيت النبوة هم: (فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ)^(١). والمراد من البيت: ما كان مسقوفاً؛ ولذلك أطلقه في الكتاب المجيد على الكعبة المعظمة، حيث يقول: (الْكَعْبَةُ الْبَيْتُ الْحَرَامُ)^(٢). لكونها مسقوفة، ولم يرد من البيوت مطلق المساجد أو المساجد الأربعة، وهي: المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، ومسجد الكوفة، والبصرة.

فالمساجد كلّما ذُكرت في القرآن أطلق عليها المسجد دون البيت، مثل قوله تعالى:

- (لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى)^(٣).
(عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)^(٤).
(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا)^(٥).
(لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)^(٦).
(شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)^(٧).
(وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)^(٨).

(١) سورة التور / ٣٦.

(٢) سورة المائدة / ٩٧.

(٣) سورة التوبة / ١٠٨.

(٤) سورة الأعراف / ٢٩.

(٥) سورة التوبة / ١٠٧.

(٦) سورة الكهف / ٢١.

(٧) سورة البقرة / ١٤٤.

(٨) سورة البقرة / ١٩١.

والمساجد بمقتضى تشريعها مكشوفة، والسقف الموجودة فيها حادثة؛ لقصد أن يأوي إليها الوفود من المرامي السحيفة الذين لا مأوى لهم، لتكنهم من قائض الحرّ وقارص البرد، فلا يُناسب إطلاق البيت عليها؛ لأنّه عبارة عن المحلّ المسقوف، ولا يُطلق على غير المسقوف، ولذلك تجد إطلاق بيوت الأعراب على أحببتهم دون الصحاري التي يسكنونها، ومن ذلك أطلق البيت على الكعبة لكونها مسقوفة.

وكما لا يُراد من تلك البيوت - التي يجب (أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ) - المساجد، لا يُراد منها خصوص الكعبة المشرفة؛ لأنّ لفظ البيوت في الآية جمع، وحينئذ فمن المتعين أن يُراد منها بيوتات تكون مستوى لذكر الله والدعوة إليه؛ إمّا بألسنة ساكنيها أو بأعمالهم وجهادهم، فتكون تلك البيوت منبثق أنوار الله.

وإذا فتشنا بيوت العالم فلا نجد ما هو أولى بصدق هذه البيوت عليهم، إلّا بيوت رسول الله ﷺ، الذين أنفذوا طاقاتهم في رفع كلمة الله العلي وتوحيده، والتذكير بوعدده ووعيده، فكانت مقصوداً على ذلك دعوتهم، منحصرأ به هتأفهم حتّى أثبتوه على جبهة الدهر، وكتبوا بدمائهم الزاكية على صحيفة الزمان، مع ما لهم من الدؤوب على العبادة والتلاوة في آناء الليل وأطراف النهار، وللتاس بهم أسوة حسنة.

وليس من الرأي السديد قصرها على بيوتهم التي يسكنونها أيام حياتهم - بل تعمّها - ومشاهدتهم المقدّسة؛ فإنهم (أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)^(١). وإذا ثبت في الشهداء - وهم دونهم بمراتب - أنّهم

(١) سورة آل عمران / ١٦٩.

أحياء، فإنَّ أهل البيت عليهم السلام أولى بذلك؛ لأنَّهم الدعاة إلى سبيل ربِّهم بالحكمة والموعظة الحسنة، أحياء وأمواتاً، وشهداء في سبيل تلك الدعوة المقدَّسة، وشهداء على أعمال الأُمَّة المرحومة.

وعليه فلا يخلو: إمَّا أن يُراد من الرفع في الآية خصوص العمارة وتشيدها، كما هو الظاهر على حدِّ قوله تعالى: (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ**)^(١). أو يُراد مُطلق التعظيم؛ وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ من أظهر مصاديقه عمارتها وتجديدها عند أولها إلى الخراب، لتتمَّ بقيَّة أقسام التعظيم؛ من تقيُّ المتعبِّدين، وانتجاع المُردلِّفين إليها، واختلاف الزوَّار إليها، وذكر الله سبحانه، والصلاة والترخُّم على أولياء الله المتبويِّئين هاتيك المشاهد المُطهَّرة، وتكون تلك القباب والأبنية الشاهقة كمنارٍ تدلُّ الوافدين على ما هناك من ضالَّتْهم المنشودة.

٣ - ثمَّ إنَّ في الكتاب العزيز شيئاً آخر دلَّنا على مشروعية البناء على مرقد الصالحين، واتخاذ خصوص المساجد عليها، وهو قوله جلَّ شأنه: (**قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّحِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**)^(٢). وذلك أنَّ المؤمنين مع ملكهم (بيدروس)، وكان موخداً، لما وصلوا إلى أصحاب الكهف واطَّلَعُوا على موتهم في مكانهم، أمر الملك أن يُتركوا في مكانهم، ويُنَى على باب الكهف مسجدٌ يتعبَّد فيه النَّاس ويتبرَّكون بمكانهم^(٣).

(١) سورة البقرة / ١٢٧.

(٢) سورة الكهف / ٢١.

(٣) تفسير البغوي ٣ / ١٥٢، الكشاف عن حقائق التنزيل ٢ / ٤٧٨، تفسير النَّسفي ٣ / ٩، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ٢ / ١٨٥، تفسير أبي السَّعود ٥ / ٢١٥، تفسير الآلوسي ١٥ / ٢٣٤، الكامل في التاريخ ١ / ٣٥٩، قصص الأنبياء للرواندي ٢٦١ / ٢٦١، قصص الأنبياء للجزائري ٥٢ / ٥٢.

وهذا منه سبحانه، وإن كان إخباراً عن عمل أمة سابقة على الإسلام، لكنّه مقرون بالتقرير من الله عزّ ذكره، وعدم الإنكار عليهم، وكلّما كان الحكم غير مُنكر من الإسلام فهو مستصحبُ البقاء، والتّسخ وإن وقع في الشريعة لكنّه لمجموع هاتيك الشرائع لا لجمعها، فهو كالعشرة الإبراهيمية^(١) التي لم تُنسخ ولا تُنسخ أبداً كغيرها من الأحكام المُستصحبة.

وإذا أجازت الشريعة الإلهية بناء المسجد على أولئك الصالحين من فية الكهف للعبادة والتبرّك بهم، فالحكم شرع سواء فيهم وفي من هو أفضل منهم؛ ألا وهم الحجج المعصومون، والأولياء المُقرَّبون من هذه الأمة المرحومة.

وعلى هذا التّهجّ اللاحب جاءت سنّة الرسول الأعظم ﷺ، فإنّه ﷺ لما دفن عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه؛ مُعلّلاً بأنّه يُعلم منه قبر أخيه ليُدفن إليه من مات من أهل بيته، وهذا الحجر أخذه مروان بن الحكم ووضعه على قبر عثمان بن عفان، فكلمته بنو أمية، وقالوا: كيف تأخذ حجراً وضعه رسول الله ﷺ؟ فلم يعبا بهم^(٢).

(١) خمسة من هذه العشرة في الرأس، وهي: أخذ الشارب، وإعفاء اللّحي، وطمّ الشعر، والسواك، والخلال، وخمسة في البدن: الختان، وتقليم الأظفار، والغسل من الجنابة، والطهور بالماء، وحلق الشعر من البدن، تفسير القمي ١ / ٥٩، التفسير الصافي للفيض الكاشاني ١ / ١٨٦، مجمع البحرين للطريحي ١ / ٢٤٧.

(٢) وفاء الوفاء للسمهودي ٢ / ٨٥، وبعضها في نيل الأوطار للشوكاني ٤ / ١٣٢، بحار الأنوار ٤٨ / ٢٩٧، السنن الكبرى للبيهقي ٣ / ٤١٢، السيرة الحلبية ٢ / ٢٩٠.

وإذا كان وضع الحجر للتعريف بالقبر، فلا ريب أنّ البناء على القبر أوفى بهذه العلة من وضع الحجر، فيكون راجحاً بالأولوية.

على أنّ اهتمام النبي ﷺ بتعريف قبر عثمان دون غيره من المسلمين يدلنا على امتياز بعضهم عن بعض بالفضل والعلم، والورع والمعرفة، وحينئذ يكون البناء على قبور الأنبياء والأوصياء والأولياء عليهم السلام، والأمثل فالأمثل، امتيازاً عن غيرهم، وإعلاماً لهم بما من شأنٍ ورفعة أولى وأرجح.

وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تزور قبر حمزة وترثه وتصلحه، وقد علمته بحجر^(١)، فدلّ على أنّ إصلاح القبر وتعاهده كي لا تندرس آثاره معروفٌ في زمن الشارع المقدّس، وإلاّ لما فعلت ذلك سيّدة نساء العالمين عليها السلام، والوحي يُنزل في بيتها.

وإصلاح القبر يختلف باختلاف الأوقات والأزمنة، فقد تقتضي الحالة والوقت إصلاح القبر بجمع ترابه ووضع الحجر عليه، وقد تقتضي بناء قبة عليه أو وضع جدار حوله؛ ومن أجل ذلك دفنوا النبي ﷺ في حجرة عائشة، وكانت مُسَقَّفة بجريد النخل، وأول من بناها باللبن عمر بن الخطّاب^(٢).

ثمّ إنّ عبد الله بن الزبير شيّد جدران قبر النبي ﷺ وجعلها مرتفعة، وفي سنة ١٩٣ هـ أمر الرشيد وإليه على المدينة أبا البُخْتري أن يبني سقف الحجر، ثمّ المتوكّل أمر واليه على

(١) السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام للبيومي / ١٣٤.

(٢) وفاء الوفاء للسهمودي ١ / ٣٨٣، السيرة النبوية لابن كثير ٤ / ٥٤١، سُبُل الهدى والرّشاد للصالحى.

الحرمين إسحاق بن سلمة أن يُشيد حجرة النبي ﷺ بحجارة الرخام، ففعل ذلك سنة ٢٤٢ هـ.

وفي الأوراق البغدادية للسيد إبراهيم الراوي: إن المسلمين لما فتحوا بلاد الشام وبيت المقدس، ورأوا على قبور الأنبياء المباني لم يهدموها، ومن أشهرها البناء الذي على قبر إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلم يهدمه ولم يأمر بهدمه. وغير خفي أن تقرير الصحابة - وفيهم الخلفاء - ذلك العمل دليل قوي على تعارف البناء على القبور وجوازه لديهم.

وحدث محمد بن الحنفية الموثق سنة ٨١ هـ: أن رسول الله ﷺ دفن فاطمة بنت أسد في موضع المسجد الذي يُقال له اليوم: (قبر فاطمة)، وفيه دلالة - كما عند السهمودي - على أن قبرها كان عليه مسجد يُعرف به ذلك الزمان^(١)، وهو في المئة الأولى من المحجرة، كما كان على قبر حمزة بن عبد المطلب مسجداً يومئذ^(٢).

وكما بُني على قبر العباس بن عبد المطلب قبة دُفن فيها الحسن والسجاد^(٣)، والباقر^(٤) والصادق عليه السلام^(٥)، ففي المئة الأولى والثانية كانت القبة على قبر العباس موجودة. وإن الخطيب البغدادي المولود سنة ٣٩٢ هـ حكى في ترجمة الإمام الكاظم عليه السلام: أنه دُفن في مقام الشونيزية (مقابر قريش) خارج القبة، وقبره هناك مشهور يُزار... إلى آخره.

(١) تاريخ المدينة لابن شبة النميري ١ / ١٢٣.

(٢) المصدر السابق ١ / ١٢٦.

(٣) وفيات الأعيان ٣ / ٣٦٩.

(٤) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٤، الوابي بالوفيات ٤ / ٧٧.

(٥) وفيات الأعيان ١ / ٣٢٧.

فدَلَّ على أَنَّهُ كان يوم وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قبة في مقابر قريش^(١)؛ وعليه يكون وضع القباب على القبور متعارفٌ بين المسلمين، لم تُنكره علماء تلك العصور مع تبصّرهم بأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله.

ومن هنا لم يمتنع الخلفاء من وضع القباب على قبور أسلافهم؛ فهذا الرشيد بنى قبة على قبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام^(٢)، وبنى المأمون على قبر الرشيد قبة^(٣) مع أنّ عصره كان حافلاً بالعلماء كالشافعي وابن حنبل وسفيان بن عيينة وغيرهم، فلم يُنكر عليه أحدٌ. ولما توفّي المعزّ البويهري سنة ٣٥٦ هـ دُفن في داره، ثمّ نُقل إلى مشهد بُني له في مقابر قريش^(٤)، وابن وكيع الشاعر المثنويّ ٣٩٣ هـ دُفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بُنيت له بها^(٥)، وأبو تمام المثنويّ سنة ٢٧١ هـ بنى على قبره نهشل بن حميد الطوسي قبة^(٦).

(١) في تاريخ بغداد ١٣ / ٢٩، فقدم هارون مُنصرفاً من عمرة شهر رمضان سنة تسع وتسعين، فحمل موسى عليه السلام معه الى بغداد، وحبسه بها إلى أن توفّي في محبسه.
نعم في الإرشاد للمفيد ٢ / ٢٤٣: ثم نُحِل فُدُن في مقابر قريش. وكذلك في غيره، ومقابر قريش معروفة أتمّها في بغداد.

(٢) عمدة الطالب / ٦٢.

(٣) بحار الأنوار ٤٨ / ٣٢٣.

(٤) وفيات الأعيان ١ / ١٧٤.

(٥) وفيات الأعيان ٢ / ١٠٦.

(٦) وفيات الأعيان ٢ / ١٧.

فما قيل من أنّ هذه القباب حدثت منذ القرن الخامس، فهي من البدع غير المعروفة في زمن الشارع المقدّس، وما بعده من الأكاذيب الفاضحة.

فتحصل من جميع ما ذكرناه أنّ البناء على القبور وعمارتهما، وتجديدها وتعاهدها أمرٌ راجح وعليه الأمة الإسلامية من دون نكير بينها، ويتأكد في قبور الأولياء المقربين، والشهداء الصديقين، والعلماء الصالحين، وذوي المآثر والفضائل؛ لأنّ فيه تعريفاً بالميّت وتنويهاً بمقامه، ليزوره الزائر، ويستريح إليه المتعبّد؛ لكونه من الأمكنة المحبوبة لله تعالى، فيها الذكر والطاعة، وتحصيل المصالح الدنيّة.

وبذلك اتّفقت كلمة العلماء الذين هم أعرف الأمة بموارد الأمر والنهي، بل زادوا على البناء والعمارة تزيينها بالمعلّقات والفرش والستائر، وكلّ ما فيه احترامهم وتعظيمهم، مدّعين على ذلك - بعد الإجماع والاتّفاق - أنّه من الشعائر، وعدم إنكار الأئمّة عليهم السلام في عهود كانوا ظاهرين فيها، والأخبار الكثيرة الدالّة على ميلهم ورضاهم به، وقد أمرت بالوقوف على باب الروضة أو القبّة أو التّاحية المقدّسة، والاستئذان، وتقبيّل القبّة والدعاء عند ترائي القبّة الشريفة، وغيرها ممّا يتوقّف على وجود الباب والقبّة والعتبة، المتوقّف كلّ على البناء، فلولا البناء أين تكون القبّة؟ وأين الباب؟ وأين العتبة؟ وأين الاستئذان عنده؟!

مع صراحة خبر أبي عامر - واعظ أهل الحجاز - عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ، وفيه: « إنّ الله سبحانه جعل قلوب نُجباءٍ من خلقه، وصفوةٍ من عباده تحنُّ إليكم، وتحتمل الأذى

والمذلة فيزورون قبوركم، ويكثرون زيارتهم؛ تقرّباً منهم إلى الله تعالى، ومودّة منهم لرسوله، أولئك المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنة.
يا عليّ، من عمّر قبوركم وتعاهدها، فكأنما أعان سليمان على بناء بيت المقدس... إلى أن قال: ولكنّ حثالة من الناس يُعيرون زوّاركم كما تُعيّر الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي، لا نالتهم شفاعتي»^(١).

وحينئذ فلا ريب في تخصيص العمومات المانعة من تخصيص القبر وتجديده، بل ادّعى صاحب الجواهر أعلى الله مقامه: أنّ البناء على قبور الأئمة عليهم السلام والصّلحاء من ضروري المذهب، بل الدّين^(٢).

على أنّ التّهي عن التخصيص معارض بما هو أقوى منه سنداً ودلالة وأكثر عدداً، ومنه حديث صفوان: زار الصادق عليه السلام قبر جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، وذكر فضل زيارته واستثدانه منه أعلام الشيعة بهذا الفضل، إلى أنّ قال: وأعطاني دراهم فأصلحت القبر^(٣).
ويُحدّث يونس بن يعقوب: أنّ الإمام الكاظم عليه السلام عند رجوعه من بغداد ماتت ابنة له ب (فيد)، فدفنها وأمر بعض مواليه أن يجصّص

(١) تهذيب الأحكام ٦ / ٢٢، المزار للشيخ المفيد / ٢٢٨، وغيرهما من المصادر باختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) جواهر الكلام ٤ / ٣٤١، وعبارته بعد الكلام عن القبور كالتالي: وحاصل الكلام أنّ استحباب ذلك كاستحباب المقام عندها، وزيارتها وتعاهدها كاد يكون من ضرورات المذهب إن لم يكن الدّين.

(٣) الغارات للثقفى ٢ / ٨٥٦، فرحة الغري لابن طاووس / ١٣٢، بحار الأنوار ٩٧ / ٢٨٠.

قبرها، ويكتب على لوح اسمها ويجعله في القبر^(١).

وماتت أمّ الإمام الحجّة صاحب الزمان (عجل الله فرجه) في أيام أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام، فدُفنت في الدار، وكُتب على لوح: هذا قبر أمّ محمّد عليه السلام. ووضع في القبر^(٢). وليس هو من خصائص أولادهم، وإنما جرى الأمر على العادة المألوفة من التعريف بالميت والتنويه بذكره، فيكون الفعل في غيرها من الأنبياء عليهم السلام، والعلماء الصالحين أولى وأرجح وأأكد.

والمراد من البناء المكروه - كما نصّ عليه الأردبيلي وكاشف الغطاء^(٣) - هو ما كان فوق القبر، بحيث يصير القبر تحت الحائط؛ فإنّه غير مناسب لحرمة الميت، وأما البناء المتعارف المتداول بحيث يكون القبر تحت القبّة، فلا يشمل النهي، كما لا يشمل عمارة القبّة وتخصيصها وتزيينها، ولا وضع الصناديق المرئية والأقمشة النفيسة على القبور والوقف لها. وإليك أسماء من تعرّض لهذا الحكم من علمائنا عند مسألة تخصيص القبور من أحكام الأموات وغيرها، مرتبين على سنة الوفاة:

١ - السيّد عبد الكريم بن طاووس في الفرحة، المتوفى سنة ٦٩٣ هـ^(٤).

(١) الكافي ٣ / ٢٠٢، ح ٣، التهذيب ١ / ٤٦١، ح ١٤٦، الاستبصار ١ / ٢١٧، ح ٢، وغيرها من المصادر.

(٢) كمال الدّين للصدوق / ٤٣١، وفي الإكمال / ٤٥٩: إنّها ماتت في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقد تقدّم ذكر ذلك في الهامش.

(٣) كشف الغطاء ١ / ٢٠٨.

(٤) فرحة الغري / ٦٠.

- ٢ - الشهيد الأوّل في الذكرى والدروس، المتوفّي سنة ٧٨٦ هـ^(١).
- ٣ - المحقّق الكرّكي في جامع المقاصد، المتوفّي سنة ٩٣٣ هـ^(٢).
- ٤ - الشهيد الثاني في روض الجنان، المتوفّي سنة ٩٦٦ هـ^(٣).
- ٥ - الأردبيلي في شرح الإرشاد، المتوفّي سنة ٩٩٣ هـ^(٤).
- ٦ - السبزواري في الذخيرة، المتوفّي سنة ١٠٩٠ هـ^(٥).
- ٧ - الحزّ العاملي في الوسائل، المتوفّي سنة ١١٠٤ هـ^(٦).
- ٨ - المجلسي في مزار البحار ومرآة العقول، المتوفّي سنة ١١١٠ هـ^(٧).
- ٩ - السيّد جواد العاملي في مفتاح الكرامة، المتوفّي سنة ١٢٢٦ هـ^(٨).
- ١٠ - كاشف الغطاء في نهج الرشاد ص ٧١، المتوفّي سنة ١٢٢٨ هـ^(٩).
- ١١ - السيّد علي في الرياض، المتوفّي سنة ١٢٣١ هـ^(١٠).

(١) الذكرى ٢ / ٣٧، الدروس الشرعية ١ / ٣١٨.

(٢) جامع المقاصد ١ / ٤٤٩، علماً بأنّ وفاة المحقّق الكرّكي كانت سنة ٩٤٠ هـ.

(٣) روض الجنان / ٣١٧.

(٤) مجمع الفائدة والبرهان ٢ / ٤٩٩.

(٥) ذخيرة المعاد ١ / القسم الثاني / ٣٤٣.

(٦) وسائل الشيعة ٣ / ٢١١.

(٧) بحار الأنوار ٩٩ / ٣٠٠.

(٨) مفتاح الكرامة ٤ / ٤٨٠.

(٩) كشف الغطاء ١ / ١٥٧.

(١٠) رياض المسائل ٢ / ٢٢١.

- ١٢ - الميرزا القمّي في الغنائم، المئوفى سنة ١٢٣١ هـ^(١).
- ١٣ - التراقي في المستند، المئوفى سنة ١٢٤٤ هـ^(٢).
- ١٤ - الكرياسي في منهاج الهداية، المئوفى سنة ١٢٦٢ هـ.
- ١٥ - صاحب الجواهر فيها، المئوفى سنة ١٢٦٦ هـ^(٣).
- ١٦ - النوري في المستدرك، المئوفى سنة ١٣٣٠ هـ^(٤).

(١) غنائم الأيام ٣ / ٥٣٥.

(٢) مستند الشيعة ٣ / ٣٧٣.

(٣) جواهر الكلام ٤ / ٣٣٢.

(٤) مُستدرك الوسائل ٢ / ٣٧٩.

عمارة مرقد العباس:

إذا تمهد ما ذكرناه، فمشهد سيدنا أبي الفضل عليه السلام من أظهر مصاديق تلك البيوت التي أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، كما أنه في الرعيل الأول من أولئك الصديقين والشهداء الصالحين، وفي تشييد قبته السامية إبقاء لما أوعزنا إليه من السرّ في انخياز قبره عن مجتمع الشهداء.

وإذا أعلّمنا الإمام الصادق عليه السلام في زيارته بما له من المقام الرفيع في مالأ القدس، وعند مجتمع الأنبياء والرسل عليهم السلام، وقد حاز بذلك إكباراً منهم وتبجيراً حتى غبطه - على ما حباه الله - جميع الشهداء والصديقين. [و] لتفرّده بتلك المنعة والخطر كان الاحتفاء بمشجده القدسي، من العمارة والتعاهد، من أوليات فرائض عالم الشهود.

ثمّ إنّه سبحانه قيّض لعمارة هذا المشهد الكريم أناساً قدّر لهم الخير والسعادة، وأجرى على أيديهم المبرّات ففازوا بالباقيات الصالحات، وكانت لهم الذكرى الخالدة في الدارين، والسعادة في النشأتين؛ من ملوك وأمراء، وعلماء ووجهاء، فتعاقب عليه العمران، وفي كلّ يوم يزداد بهجة وبهاءً حتى تجلّى - كما هو اليوم - في أبهج المناظر بقبته التي تحاكي السماء رفعة، وإن شئت النجوم بهجة، وذلك الحرم المنيع المضاهي للعرش عظمة، وأروقته المغشّاة بالقوارير التي تفوق الأفلاك بذخاً، وذلك الصحن

الذي هو ساحة القدس وباحة الجلال، والبهو الكبير الذهبي الذي دونه عرش الملك ومناط الأئمة، فحاكى عُرف الجنان وصروحها.

ويتحدّث المؤرخون: أنّ الشاه طهماسب في سنة ١٠٣٢ هجرية زيّن القبّة السامية بالكاشاني، وبني شبّاكاً على الصندوق، ونظّم الرواق والصحن، وبني البهو أمام الباب الأوّل للحرم، وأرسل الفرش الثمينة من صنع إيران، وفي سنة ١١٥٥ هـ أهدى نادر شاه إلى الحرم المُطَهَّر تُحفاً كثيرة، وزيّن بعض تلك المباني بالقوارير، وفي سنة ١١١٧ هـ^(١) زار الحسين عليه السلام وزيره الشّهم، فجدّد صندوق القبر، وعمّر الرواق، وأهدى ثرياً يوضع فيها الشمع لإنارة الحرم الشريف.

وبعد حادثة الوهابيّة بكريلاء سنة ١٢١٦ هـ، ونهب ما في الحرم من الأعلاق النّقيسة والدخائر المثمّنة، نهض الشاه فتح علي وجدّد ما نُهب من الحسين وأخيه أبي الفضل عليه السلام، وعمّر قبّة العباس بالكاشاني، كما أنّه ذهب قبّة سيّد الشهداء عليه السلام وصدّر الإيوان الذي أمام الباب الأوّل للحرم من جهة القبلة، وأنشأ صندوق ساج على قبر أبيّ الضيم أبي عبد الله عليه السلام، وفضّض الشباك المُطَهَّر.

وفي كتاب طاقة ریحان صفحة ٩١ للعلامة الحاج ميرزا عبد الكريم المقدّس الأرومي: إنّ خال جدّته لأمه الحاج شكر الله بن بدل بك الأفشاري ذهب الإيوان الذي هو أمام حرم أبي الفضل، وأنفق على ذلك كُُلّ ماله، وذلك بإيعاز زين الفقهاء والمُتّجهدين الشيخ زين العابدين المازندراني، المتوفّي ١٢ ذي العقدة سنة ١٣٠٩ هـ، وكتب اسمه في الجانب الغربي من جدار الإيوان على

(١) لعل هناك خطأ وقع من النّسخ في كتابة هذا التاريخ؛ حيث يظهر بشكل واضح في سياق سرد الحوادث، وهو ما يتجلى في عبارة الماتن: إنّ الشاه طهماسب في سنة ١٠٣٢ هجرية زيّن القبّة السامية بالكاشاني... وفي سنة ١١٥٥ هـ أهدى نادر شاه إلى الحرم المُطَهَّر تُحفاً كثيرة... وفي سنة ١١١٧ هـ زار الحسين عليه السلام وزيره الشّهم، فجدّد صندوق القبر...!! (موقع معهد الإمامين الحسين)

صفائح الذهب بخطّ ذهبي موجود إلى الآن، وتاريخ الكتابة سنّة ١٣٠٩ هـ.
وفي الكتاب المذكور: إنّ نصير الدولة ذهب منارة أبي الفضل، وكان الصائغ يغشّ في
تطليّة الطاقات الصفريّة بالذهب، فعُرف منه ذلك، وجيء به من بغداد إلى كربلاء، فلمّا
دخل الصحن اضطرب وأسودّ وجهه سواداً شديداً، ومات من الغد.
وحدّثني العلامة الحجّة السيّد حسن مؤلّف كتاب (فذك) وغيره من المؤلّفات القيّمة:
أنّ الإيوان الصغير الذهبي الذي هو أمام الباب الأولى أنشأه ملك لكتهو محمّد شاه الهندي،
وأما الطارمة المُسَقَّفة بالخشب فبأمر السُلطان عبد الحميد خان، وجدّد بناء القبّة بالكاشاني
محمّد صادق الأصفهاني، الشيرازي الأصل، وهو الذي اشترى الدور الملاصقة للصحن
الشريف وزادها في الصحن وبناه بما هو المشاهد، وكانت الزيادة من جهة القبلة أكثر من
سائر الجهات قدر إيوانين أو ثلاث، ودُفن في حجرة عند باب القبلة تُعرف باسمه، وبنى
الصحن بالكاشاني رحمته الله، وجزاه لخدمته لأبي الفضل أفضل جزاء المُحسنين.
وجدّد السيّد المُبجّل، سادن الروضة المقدّسة، السيّد مرتضى الباب الفضيّ التي هي في
الإيوان الذهبي أمام حضرة العباس عليه السلام سنة ١٣٥٥ هـ، وكتب على المصراعين قصيدة
الخطيب الأستاذ الشيخ محمّد علي اليعقوبي، وتفضّل حفظه الله بها، ولطروس الإنشاء الذي
ذكرناه فيما تقدّم، وهذه القصيدة:
لُذْ بِأَعْتَابِ مَرْقَدٍ قَدْ تَمَنَّنَتْ أَنْ تَكُونَ التُّجُومُ مِنْ حَصْبَاهُ

وَأَتَشَقُّ مِنْ تَرَى أَبِي الْفَضْلِ نَشْرًا
غَابَ فِيهِ مِنْ هَاشِمٍ أَيُّ بَدْرِ
هُوَ يَوْمُ الطُّفُوفِ سَاقِي الْعِطَاشَى
وَأَطْلَنَ عِنْدَهُ الْبُكَاءَ فَفِيهِ
لَا يُضَاهِيهِ ذُو الْجَنَاحِينَ لَمَّا
هُوَ بَابُ الْحُسَيْنِ مَا خَابَ يَوْمًا
قَامَ دُونَ الْهُدَى يُنَاضِلُ عَنْهُ
فَادِيًا سَبَطَ أَحْمَدٌ كَأَيْبِهِ
جَدَّدَ الْمُرْتَضَى لَهُ بَابَ قُدْسٍ
إِنَّهُ بَابُ حِطَّةٍ لَيْسَ يَخْشَى
قَفَّ بِهِ دَاعِيًا وَفِيهِ تَوَسَّلَ
لَيْسَ يَحْكِي الْعَبِيرُ نَفْحَ شَذَاهُ
فِيهِ لَيْلُ الضَّلَالِ يَمْحِي دُجَاهُ
فَاسْقِ مِنْ فَيْضِ مُقَلَّتَيْكَ تَرَاهُ
قَدْ أَطَالَ الْحُسَيْنُ شَجْوًا بُكَاهُ
قُطِعَتْ فِي شَبَابِ الْحُسَامِ يَدَاهُ
وَافِدٌ جَاءَ لَائِذًا فِي جِمَاهُ
وَكَفَاهُ ذَاكَ الْمَقَامَ كَفَاهُ
حَيْدِرٍ مُذْ فَدَى النَّبِيِّ أَحَاهُ
مِنْ جُحَيْنٍ يَغْشَى الْعَيْوْنَ سَنَاهُ
كُلَّ هَوْلٍ مُسْتَمْسِكٌ فِي عُرَاهُ
فِيهِ الْمِرَّةُ يُسْتَجَابُ دُعَاهُ

السّدانة:

السّدانة: هي خدمة المعبد والقيام بشؤونه ولوازمه، وتحرّي كلاءته عن أي عادية، وقد اتّخذت العرب بيوتاً تُعظّمها كتعظيم الكعبة، وجعلوا لها حُجّاباً وسدنة، وكانوا يهدون إليها كما يهدون إلى الكعبة، ويطوفون كما يطوفون بالكعبة، وينحرون بها مثلها. كلّ ذلك مع معرفتهم فضل البيت الحرام والكعبة المشرفة؛ لأنّها بناء الخليل^(١).

فالبيت المُعظّم الذي يُتخذ معبداً ومأوى للوفود والزائرين، ومحلاً للدعاء والابتهاال، لا بدّ وأن يُجعل له حُجبة وسدنة يرعون حرّمته، فنصبُ السّادن من لوازم جلاله المحلّ ووجود المثلّمات فيه، فلنْ تجد محلاً له شأنٌ إلاّ ورأيت له خدمة.

وبمناسبة منعة المحلّ لا يُقيّض له من سوقة النّاس ومن لا كفاءة له بالقيام بالخدمة؛ لأنّ فيه حظاً من كرامته، وتحطيماً لمكانته، فمن حقّ المقام أن يكون السّادن شريفَ قومه وكريم بيته، لا يُسبق بمجدٍ ولا يُلحق بشرف؛ ومن هنا نشاهد السّدانة في حرم أبي الفضل عابلاً يتولّاها شريفٌ بعد شريف، حتّى انتهى الأمر إلى الهاشمي المُبجل السيّد

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢ / ٢٤٣، السّيرة النبوية لابن هشام ١ / ٥٤، تفسير ابن كثير ٤ / ٢٧١.

مصطفى، ومنه إلى خلفه الشهم الهمام السيّد مرتضى الذي لا تُعدُّ مآثره ولا آثاره،
وأيديه الجميلة ومساعدته المشكورة حول خدمة الحرم وعمارتها، وتنويره وتزيينه، وكان كما
يهواه السُّودد والخطر، وتختاره طهارة العنصر ونزاهة الأعراق، ويرثيه المجد الهاشمي والمولد
العلوي.

وقام بحله الزكي السيّد محمّد حسن بكُلِّ ما يستطيعه من خدمة الحرم.

حامي الجوار:

لقد عرف العلماء مكانة أبي الفضل عند الله سبحانه وتعالى، وما حباه به وأعدّه له من جزيل الفضل؛ تقديراً لأعماله وما قاساه من فوادم وآلام، فكان ملجأ الخائف، ولهف اللاجئ، وغوث الصريخ وحمى المستجير، فلاذوا بجنابه عند الممات، وجاوروا مرقده الأطهر، والتجأوا إلى كهفه المنيع ليمنحهم الشفاعة فيفوزوا بالخلد، ويتقلّبوا على أسرة النعيم الدائم، وحاشا أبو الفضل أن يخفر الجوار ويتباعد عمّن عقل ناقته بفنائه.

ومن هؤلاء الأعلام، ما في الذريعة إلى مصتفات الشيعة ٣ / ١٩٩: إنّ الحاج السيّد محمّد بن محسن الزنجاني توفّي بزنجان سنة ١٣٥٥ هـ، وحُمل إلى جوار أبي الفضل العباس بوصيّة منه.

وفيه ص ٣٢٣: إنّ الشيخ علي بن زين العابدين البارحيتي اليزيدي الحائري، صاحب كتاب (إلزام الناصب في أحوال الحجّة الغائب)، دُفن في صحن العباس عليه السلام.

والعلامة الشيخ علي اليزيدي البقروئي، من أجلاء تلامذة الأردكاني، دُفن في البهو أمام حضرة العباس.

والسيّد كاظم البهبهاني، من تلامذة المرحوم آية الله السيّد هاشم القزويني، دُفن في الرواق.

والعلامة السيّد عبد الله الكشميري، من تلامذة الأردكاني، دُفن في الحجرة الرابعة من الشرق الجنوبي.

الشيخ ملاّ عباس المعروف باليزدي، المشهور بسيبويه، وأخوه ملاّ علي المعروف بالأخفش، لهما مكانة عالية في التدريس، دُفنا في الحجرة المختصّة بهم، الملاصقة للباب المعروفة بباب صاحب الزمان (عجلّ الله فرجه).

والشيخ كاظم الهرّ، له فضل في العلم والأدب، تلمذ على الشيخ صادق ابن العلامة الشيخ خلف عسكر، دُفن في الحجرة الأخيرة من الشرق الشمالي.

المديح والثناء:

من الواضح الذي لا يرتاب فيه أنّ نظم الشعر في أيّ رجل [هو] تعريفٌ به وإحياءٌ لذكره وإقامةٌ لأمره؛ فإنّ آثار الرجال مهما كبرت في النفوس وعظم أمرها قد يُهمَل ذكرها بمرور الزمن وتباعد العهد، فيُغفل عن تلك المآثر ويتناسى ما لها من أهميّة كبرى.

ولمّا كان القول المنظوم أسرع تأثيراً من الإصاحبة؛ لرغبة الطباع إليه، فتسير به الركبان، وتلوّكه الأشداق، وتتحفّظ به القلوب، وتتلقّاه جيلاً بعد جيل، وتأخذ أمة بعد أمة حتّى يرث الله الأرض ومن عليها، فتلتفت إلى ذلك الفضل المتقدّم. وقد حفظ لنا الأدب العربي كثيراً من قضايا الأمم وسيرها وحروبها في الجاهليّة والإسلام.

وبما أنّ ذكرى أهل البيت عليهم السلام قوام الدّين وروح الإصلاح، وبما تُدرس تعاليمهم وتُتقنى آثارهم؛ طفق أدباء هذه الأمة يذكرون ما لهم من فضل كثار، وما جرى عليهم من المصائب ولاقوا في سبيل إحياء الدّين من كوارث ومحن؛ لأنّ في ذلك إحياء أمرهم، ورحم الله من أحيا أمرهم ودعا إلى ذكرهم، وقد تواتر الحثُّ من الأئمّة المعصومين عليهم السلام على نظم الشعر فيهم، مدحاً وثناءً؛ بحيث عدّ من أفضل الطاعات.

ولم يعهد من الأئمّة الطاهرين عليهم السلام - مع تحمّظهم على النقيّة وإلزام شيعتهم بها - تشييط الشعراء عن المكاشفة في حقّهم، وإظهار باطل

المنافقين، مع أنّ في الشعراء مَنْ لا يقرّ له قرار ولا يأويه مكان؛ فرقاً من أعداء أهل البيت
عليهم السلام لمحض مجاهرتهم بالولاء، والدعوة إلى طريقة أبناء الرسول ﷺ، كالكفيت ودعبل
الخزاعي ونظرائهم.

بل كان الأئمة عليهم السلام يؤكّدون ذلك بالتحديد وإدراج المال عليهم، وإجزال الهبات لهم،
وذكر المثوبات، وليس ذلك إلاّ لأنّ المكاشفة أدخلت في توطيد أسس الولاية، وعامل قويّ
لنشر الخلافة الحقّة، حتّى لا يبقى سمع إلاّ وقد طرقة الحقّ الصراح، ثمّ تتلقاه الأجيال الآتية،
كلّ ذلك حفظاً للدين عن الاندساس، ولئلاّ تذهب تضحية آل الله في سبيله أدراج
التمويهات.

ولولا نفضة أولئك الأفياذ من رجالات الشيعة للذبّ عن قُدس الشريعة بتعريض أنفسهم
للقتل؛ كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق، ورشيد وميثم التمار وأمثالهم، ومجاهرة الشعراء بما
قدم به الأبطال من أهل البيت النبويّ عليهم السلام، كما عرفت الأجيال المتعاقبة صراح الحقّ.
ومما ورد من الحثّ على نظم الشعر مدحاً ورتاءً، قولهم عليهم السلام: «مَنْ قَالَ فِيْنَا بَيْتاً مِنْ
الشَّعْرِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ». وفي آخر: «حَتَّى يُؤَيَّدَ بِرُوحِ الْقُدُسِ»^(١). وفي ثالث: «مَا
قَالَ فِيْنَا مُؤْمِنٌ شِعْراً يَمْدَحُنَا إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مَدِينَةً أَوْسَعُ مِنَ الدُّنْيَا سَبْعَ مَرَّاتٍ، يَزُورُهُ فِيهَا
كُلُّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَنَبِيٍّ مُرْسَلٍ»^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ٢ / ١٥، وسائل الشيعة ١ / ٤٦٧، بحار الأنوار ٢٦ / ٢٣١، وورد
بلفظ: «مَا قَالَ فِيْنَا قَائِلٌ بَيْتاً مِنْ الشَّعْرِ حَتَّى يُؤَيَّدَ بِرُوحِ الْقُدُسِ».
(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٥، وسائل الشيعة ١٤ / ٥٩٧.

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام للكفيت - لما أنشده:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَمِيمٍ مُسْتَهَامٍ

القصيدة - : « لا تزالُ مُؤَيِّدًا بروح القدس ما دُمتَ تقولُ فينا »^(١).

وأذن الإمام الجواد عليه السلام لعبد الله بن الصلت أن يندبه ويندب أباه الرضا عليه السلام.

وكتب إليه أبو طالب أبياتا يستأذنه فيها في رثاء أبيه الرضا عليه السلام، فقطع أبو جعفر عليه السلام

الآيات، وكتب إليه: « أحسنتَ وجزاك الله خيراً »^(٢).

وتقدم في صفحة ١٧٢ مدح الصادق عليه السلام لمن يرثي لهم ويمدحهم عليهم السلام.

وحسبُ الشاعر أن يترتب على عمله البار هاتيك المثوبات الجزيلة التي تشف عن أن ما يصفه بعين الله سبحانه حتى يُبوّئه الجليل عز شأنه من الخلد حيث يشاء، وتزدان به غرف الجنان؛ ولا بدع فإنه بمتافه ذلك معدود من أهل الدعوة الإلهية، المعلنين لكلمة الحق وتأييد الدين، فهو بقوله الحق يرفع دعامة الإصلاح وتشديد مبانيه، ويطأ نزع الباطل بأخص الهدى، ويقم أشواكه المتكدسة أمام سير المذهب، ويلحظ طريقه الواضح، فحيّاهم الله من دعاة إلى مرضيه.

وبما أن أبا الفضل العباس من أولئك الأطهار الذين بهم تمت الدعوة الإلهية، وعلت كلمة الله العليا بإزهاق نفوسهم المقدسة حتى قضوا كراماً طيبين، مضافاً إلى ما حواه من صفات الجلال والجمال مما أوجب أن يغطه الصديقون على ما منحه الباري

(١) وسائل الشيعة ١٤ / ٥٩٨، بحار الأنوار ٤٧ / ٣٢٤.

(٢) وسائل الشيعة ١٤ / ٥٩٨، بحار الأنوار ٢٦ / ٢٣٢.

سبحانه عوض شهادته؛ بادر من كهره الولاء الخالص طلباً لذلك الأجر الجزيل بنظم
مديحه وراثه، وأول من رثاه أمه أم البنين كما في مقاتل الطالبين؛ فإنها كانت تخرج إلى البقيع
تندب أولادها أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس لسماع نديتها، وكان مروان يجيء لذلك
فلا يزال يبكي^(١).

فمن رثائها فيهم:

لا تَدْعُوِيَّ وَوَيْكَ أُمِّ الْبَنِيْنَ تُذَكِّرُونِي بِلِيُوْثِ الْعَرِيْنَ
كَانَتْ بَنُوْنَ لِيْ أَدْعَى بِهَمْ وَالْيَوْمُ أَصْبَحْتُ وَلَا مِنْ بَنِيْنَ
أَرْبَعَةٌ مِثْلُ نُسُورِ الرُّيِّ قَدْ وَاصَلُوا الْمَوْتَ بِقَطْعِ الْوَتِيْنَ
تَنَازَعَ الْخِرْصَانُ أَشْلَاءَهُمْ فَكَلُّهُمْ أَمْسَى صَرِيحاً طَعِيْنَ
يَا لَيْتَ شِعْرِيْ أَمَا أَخْبَرُوا بَأَنَّ عَبَّاساً قَطِيعُ الْوَتِيْنَ
وقولها الآخر:

يَا مَنْ رَأَى الْعَبَّاسَ كَرَّ رَ عَلَى جَمَاهِيْرِ النَّقْدِ
وَوَرَاهُ مِنْ أَبْنَاءِ حَيِّ دَرِ كُلِّ لَيْثٍ ذِي لُبْدِ

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني / ٥٦، وعنه بحار الأنوار ٤٥ / ٤٠، والعوالم للبحراني / ٢٨١.

تُبَيِّتُ أَنَّ ابْنِي أُصَيِّبُ بَ بِرَأْسِهِ مَقْطُوعٌ يَدٌ
وَيَلِي عَلِيَّ شِيبَلِي أَمَا لَ بِرَأْسِهِ ضَرْبُ الْعَمْدِ
لَوْ كَانَ سَيْفُكَ فِي يَدِي كَلَّمَا دَنَا مِنْهُ أَحَدٌ^(١)

ورثاه حفيده الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ما في المجلدي.

إِنِّي لِأَذْكَرُ لِلْعَبَّاسِ مَوْقِفَهُ بَكَرِبِلَاءٍ وَهَامَ الْقَوْمِ يَحْتَطِفُ
يَحْمِي الْحُسَيْنَ وَيَحْمِيهِ عَلِيٌّ ظَمًا وَلَا يُؤْوِي وَلَا يَثْنِي فَيَخْتَلِفُ
وَلَا أَرَى مَشْهَدًا يَوْمًا كَمَشْهَدِهِ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ الْفَضْلُ وَالشَّرْفُ
أَكْرَمَ بِهِ مَشْهَدًا بَانَتْ فَضِيلَتُهُ وَمَا أَضَاعَ لَهُ أفعالُهُ خَلْفُ

وحكى الشيخ الجليل العلامة ميرزا عبد الحسين الأميني في كتاب (الغدير) ٣ / ٥ عن
روض الجنان في نيل مشتهى الجنان، المطبوع للمؤرخ الهندي أشرف علي: أن الفضل بن
الحسن المذكور قال في جدّه العباس عليه السلام:

أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُكْفَى عَلَيْهِ فَتَى أَبْكَى الْحُسَيْنَ بِكَرِبِلَاءِ

(١) هكذا ورد البيت، ولعله إلى ضمائر الغائب أقرب منه إلى ضمائر المخاطب؛ تساوقاً مع وحدة الأبيات المتقدمة. (موقع معهد الإمامين الحسين)

أحوه وابنُ والدهِ عليّ أبو الفضلِ المُضَرَّجُ بالدِّمَاءِ
ومَنُ واسأهُ لا يشيهُ شيءٌ وجادٌ لَهُ على عطشٍ بماءٍ
وهذه الأبيات نسبها أبو الفرج في المقاتل إلى الشاعر، ونسبها السيّد الحجّة المتبّع السيّد
عبد الله شبر رحمته الله في جلاء العيون إلى الحسين عليه السلام.

وقد رثى أبا الفضل العباس جماعة كثيرة من الفضلاء الأدباء والعلماء البارعين، لو جمعت
لكانت مجلداً ضخماً، ولعلّ فيض أبي الفضل يشملنا فنخرجها إلى القرّاء بالقرب العاجل،
وفي هذا الكتاب نذكر ما يتحمّله منها.

ومن جيّد ما رثي به قصيدة الشاعر الشهير الحاج هاشم بن حردان الكعبي الدروقي،
المثوّق سنة ١٢٣١ هـ، وهي مثبتة في ديوانه المطبوع في النجف، وفي كشكول الشيخ يوسف
البحراني صاحب الحدائق في الفقه ٢ / ٣٩٢، وفي الدرّ النّضيد للعلامة السيّد محسن
الأمين، ومطلعها:

هل أمّ طوقٍ كذاتِ الطّوقِ في السّلمِ تحنُّ شوقاً إلى أيّامنا القَدَمِ
إلى أن يقول:

يومٌ أبو الفضلِ تدعوا الظّامياتُ بهِ والماءُ تحتَ شِبا الهنديةِ الخُدَمِ
والخيلُ تصطكُ والرّعفُ الدّلاصُ على فُرسانها قد غدتُ ناراً على عَلمِ

وأقبلَ اللَّيْثُ لا يَلُوبِهِ خَوْفُ رَدَى بادِي البِشاشَةِ كالمَدْعُوِّ لِلنَّعَمِ
يَبْدُو فَيَعْدُو صَمِيمِ الجَمْعِ مُنْصَدِعاً نَصْفَيْنِ ما بَيْنَ مَطْرُوحٍ وَمُنْهَزِمِ
ورثاه العلامة الشيخ محسن آل الشيخ حضر، المتوفى حوالي سنة ١٣٠٣ هـ:

فلله زينبُ إذ تستغيثُ أبا الفضلِ يا كهفَ عَزِّي المُهاجِبَا
ويا ليثَ قومي إذا الخطبُ نابَ وكشَّرتِ الحربُ سنناً وناجِبَا
أتركني نُصبَ عينِ العدوِّ تنتهبُ القومُ رحلي انتهاجِبا
وللهُ مقولُها إذ تقولُ ينشعبُ القلبُ منه انشعابِبا
عذرُك يا ابنَ أبي فالحَميمِ بكفِّيه يحمي إذا الخطبُ ناجِبا
فشلتُ أكفُّ علوجِ برتِ يمينك إذ يسلبوني النَّقابِبا
وذابَ عمودُ حديدِ رماكُ وأخطأ سهمُ حشاكُ أصابِبا

ورثاه شاعر أهل البيت عليه السلام في عصره السيد حيدر الحلبي، المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ، وهي
مُثَبِّتة في ديوانه، مطلعها:

حلولُك في محلِّ الصَّميمِ داما وحُدُّ السَّيفِ يَأبِي أنْ يُضامَا

ورثاه العلامة السيّد جعفر الحلّي، المثوّق سنة ١٣١٥ هـ، وقد أبدع فيها، وهي مُثبّنة في ديوانه المطبوع في صيدا، وفي منير الأحزان والدرّ النّضيد، مطلعها:

وَجْهُ الصَّبَاحِ عَلَيَّ لَيْلٌ مُظْلَمٌ وَرَيْعُ أَيَّامِي عَلَيَّ مُحَرَّمٌ
وفي صفحات ٩٩ و ١٥٣ و ١٦٠ ذكرنا أبياتاً منها^(١).

ورثاه الحاجّ محمّد رضا الأزري، ومطلعها:

أَوْ مَا أَتَاكَ حَدِيثٌ وَقَعَةَ كَرِيلاً أُنِّي وَقَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ قَتَامُهَا
طُبعت في مثير الأحزان للعلامة الشيخ شريف الجواهري، وفي الدرّ النّضيد.

ورثاه الإمام الحجّة الشيخ محمّد حسن كاشف الغطاء (آدام الله ظلّه)^(٢):

أَبَا صَالِحٍ إِنَّ الْعِزَّاءَ لَمُحَرَّمٌ وَمِنْكُمْ بَنُو الزَّهْرَاءِ اسْتُجِلَّ بِهِ الدَّمُ
لَكُمْ بَيْنَ أَضْلَاعِي مَوَاقِدُ لَوْعَةٍ بِذِكْرِ رِزَايَاكُمْ تَشَبُّ وَتُضَرَّمُ
تَزَاحُمٌ فِي فِكْرِي إِذَا رَمَتْ عَدَّهَا رِزَايَاكُمْ الْجَلَّى فَأَبْكِي وَأَوْجَمُ
وَمَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ فَلَا أَنَسَ وَقَعَةً تُهْدُ لَهَا السَّبْعُ الطَّبَاقُ وَتُهْدَمُ

(١) هذه الأرقام هي على صفحات الأصل، أمّا في هذه الطبعة فتكون في الصفحات ١٦٥، ٢٤٠، ٢٥٠.

(موقع معهد الإمامين الحسينين)

(٢) نقلتها من كتاب سوانح الأفكار في منتخب الأشعار، تأليف الفاضل المهذب الخطيب السيّد محمّد

جواد شير.

وقد جدّدت حُزني ولم يكُ مخلقاً
أصابَ بها من كربلا قلبَ أحمدٍ
غداة بنوهُ العُرُ في نصرِ دينهِ
بفتيانِ صدقٍ في الحفيظةِ يَمَّتْ
تُطالعُ أقماراً بهمٍ وأهلَّلةً
وإن صرّت الهيجاءُ ناباً تراهمُ
وإن فُلَّ حدُّ السيفِ أمضاهُ عزمهمُ
وتَهوي المنايا للهوانِ كأتما الـ
ميامينَ يومَ السّلمِ لكنَّ يومهمُ
قد اذرعُوا درعاً جديداً وأخروا
وما راعَ جيشَ الكُفْرِ إلا عصابةً
غداة استهلَّت أدْمعي والمُحرّمُ
وقلبِ عليٍّ والبتولةِ أسهمُ
سرتُ وهمازِ العدلِ بالجورِ مُظلمُ
ركابِ العُلا في ظعنهمُ حيثُ يَمّموا
إذا أسفروا في موكبٍ وتلّموا
أسوداً فأفياءَ الطُّبا تتأجّم
بأمضى شبا منهمُ فلا يَتكتمُ
منايا لها دونَ الدنيّةِ مَعنمُ
على من دنا بالشُّومِ منهمُ لأشأمُ
من الصِّرِّ أقوى منه نَسجاً وأحكمُ
حداها من الإيمانِ جيشُ عرمرمُ

حجازيّة نَحْو العراقِ ومُنجد
بأجسامِها في عَرِصَةِ الطَّفِّ عَرَّسَتْ
تُضاحِكُ بشراً بالمنونِ كأما أَلْ
وترقصُ شوقاً للقاءِ قلوبِها
وإنْ بَرَزَ النُّورُ الإلهيُّ بينها
لقد تَبَيَّنوا للذَّبِّ عنه بموقفٍ
وتذهلُ أملاكُ السَّماءِ لوقعِهِ
ولما قَصَّوا في حلبةِ المجدِ حقَّها
تَهاوَّوا فُتُلَ زُهْرُ النُّجومِ تَهافَّتْ
بحربٍ على أعوانِ حَرْبٍ قَدْ انكَفَى
تَعَثَّرَ فيهِ بالجماحِمِ حيلُهُمْ
تَناها بأجوازِ الفيافي ومُنتَهُمْ
وأرواحِها في عالمِ المُقدِّسِ عُمُومُ
حياءُ عذابِ والمنونِ تَنعَّمُ
إذا أَحَذَتْ في ذِكْرِها تَتَرْتَمُ
ترى البدرَ حَقَّتْ فيهِ بالسَّعدِ أُنْجُمُ
يشيبُ بهِ طفُلُ القُضائِ ويهرُمُ
ويذبلُ منه يذبلُ وَيَلْمَأُكُمْ
وحقُّ لها نحو الجنانِ التَّقَدُّمُ
وأهْوُوا فُتُلَ شُمُ الرِّوايِ هُدْمُ
صواعقُ مِنْ قَرَعِ الأَسِنَّةِ تُضْرَمُ
وأجسامُهُمُ للطَّيرِ والوحشِ مَطْعَمُ

وتعبس من خوفٍ وجوه أمية
أبو الفضل تآبى غيره الفضل والإبا
عليه بتأويل المنيّة سيفه
ومضى إلى الهيجاء مُستقبل العدى
وإن عادَ ليلُ الحربِ بالنّفع أليلاً
وإن سمعَ الأطفالَ تصرخُ للظّما
وصالَ عليهم صولة اللّيث مُغضبا
وراحَ لوردِ المُستقى حاملَ السّقا
ومذْ خاضَ نهرَ العلقميّ تذكّر ال
وأضحى ابنُ ساقِي الحوضِ سقا ابنَ أحمد
ولمّا أبى منك الإباءُ تأخراً
إذا كَرَّ (عبّاس) الوغى يتبسّم
أباً فهو إمّا عنه أو فيه يُرسم
نزولٌ على من بالكريهة معلّم
بماضٍ به أمرُ المنيّة مُبرّم
فيومٍ عداه منه بالشّرّ أيوم
تصارخُ منه الجحفلُ المُضمّم
يُجمجمُ من طولِ الطوى ويُدمدمُ
وأصدرَ عنه وهو بالماءِ مُفعمُ
حُسينَ فولى عنه والرّيْقُ علّمُ
يُروي عطاشى المُصطفى الطُّهرِ إنْ ظموا
وأنّ أبا الفضلِ الذي يتقدّمُ

بِهِمْ حَسَمْتُ يَمْنَاكَ ظُلْمًا وَلَمْ أَحِلْ
وَإِنَّ عَمُودَ الْفَضْلِ يَخْسِفُ هَامَهُ
وَحِينَ هَوَى أَهْوَى إِلَيْهِ شَقِيقُهُ
فَأَلْفَاهُ مَقْطُوعَ الْيَدَيْنِ مُعَقَّرًا
فَقَالَ أَحْيِي قَدْ كُنْتَ كَبِشَ كَتَيْبَتِي
فَمَنْ نَاقَعَ حَرَّ الْقُلُوبِ مِنَ الظَّمَا
وَمَنْ يَكْشِفُ الْبَلْوَى وَمَنْ يَحْمِلُ اللَّوَا
رَحَلْتَ وَقَدْ خَلَفْتَنِي يَا بِنَ وَالرِّدِي
أَحَاطَتْ بِي الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَمَا زَالَ يَنْعَاهُ وَيَنْدُبُ عَنْدَهُ
وَأَقْبَلَ مَحْنِي الضُّلُوعَ إِلَى النَّسَا
يَمِينَ الْقَضَا فِي صَارِمِ الشُّرْكِ تُحْسِمُ
عَمُودُ حَدِيدٍ لِلضَّلَالَةِ يَدْعُمُ
يَشُقُّ صَفُوفَ الْمُخْلَدِيِّ وَيُحَطِّمُ
يُفَوِّزُ مِنْ مَخْسُوفِ هَامَتِهِ الدَّمُ
وَجَنَّةَ بَأْسٍ حِينَ أَدَهَى وَأَدَهَمُ
وَمَنْ دَافَعُ شَرِّ الْعِدَى يَوْمَ تَهْجُمُ
وَمَنْ يَدْفَعُ الْأَوْيَ وَمَنْ يَتَّقَحُمُ
أَغَاضُ بِأَيْدِي الظَّالِمِينَ وَأَهْضَمُ
وَلَا نَاصِرٌ إِلَّا سِنَانٌ وَلِهَذَا
إِلَى أَنْ أَفَاضَ الْبُقْعَةَ الدَّمْعُ وَالِدَمُّ
يُكْفِكِفُ عَنْهَا الدَّمْعُ وَالِدَمُّ يَسْجُمُ

ولاحث عليه للزاياء دلائل
وأقدم فرداً للكريهة ليئها
فتحسب عزرائيل صاح بسيفه
وقل غضب الجبار دمدم صاعقاً
ولما أعاد البر بجرأ جوادة ال
نمت عزمة البقيا عليه فما اثنوا
وقام لسان الله يخطب واعظاً
وقال انسبوني من أنا اليوم وانظروا
فما وجدوا إلا السهام بنحيره
ومذ أيقن السبط انمحي دين جده
فدى نفسه في نصرة الدين خائضاً

تبين لها لكنه يتكتم
وسبعون ألفاً عنه في الكر أحجموا
عليهم ففروا من يديه وأهزموا
بمنحوس ذيك الوجود وأعدموا
سفين به لکنما الموج عندم
ورق على من لا يرق ويرحم
فضموا لىما عن قُدس أنواره عموا
حالاً لكم مئى دمي أم محرم
تراش جواباً والعمالي ثقوم
ولم يبق بين الناس في الأرض مسلم
عن المسلمين الغامرات ليسلموا

وقال خُذيني يا حتوفُ وهاكِ يا
وهيهاتُ أنْ أغدو على الضَّيِّمِ حائماً
وكرُّ وقد ضاقَ الفضاَ وجرى القضا
ومذْ خَرَّ بالتَّعظيمِ لله ساجداً
وجاءَ إليه الشَّمْرُ يرفعُ رأسه
وزعزعَ عرشَ اللّهِ وانحطَّ نُورُه
ومذْ مالَ قطبُ الكونِ مالاً وأو
وحينَ ثوى في الأرضِ قرأها
فلهفي له فَرداً عليه تراحمتْ
ولهفي له ضامٍ يجودُ وحولهُ ال
ولهفي له مُلقىً وللخيلِ حافرُ

سيوفُ فأوصالي لكِ اليومَ مَغْنَمُ
ولو لي على جمرِ الأسنَةِ بَحْنَمُ
وسالَ بوادي الكُفْرِ سيلاً عَمرمُ
له كَبَرُوا بينَ السُّيوفِ وعظّموا
فقامَ بهِ عنه السَّنَانُ المَقُومُ
فأشرقَ وجهَ الأرضِ والكونُ مُظلمُ
شكَّ انقلاباً يميلُ الكائناتِ ويعدمُ
وعادتْ ومنَ أوجِ السَّما وهي أعظمُ
جموعُ العِدَى تزدادُ جهلاً فيحلُمُ
فُراتُ جرى طامٍ وعنه يُجرمُ
يجولُ على تلكِ الضَّلُوعِ وينسمُ

ولهفي على أعضاك يابن محمد
 فجسمك ما بين السيف موزع
 فلهفي على رجانة الطهر جسمه
 لكل رجيم بالحجارة يرجم
 وللعلامة الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمته الله، المتوفى سنة ١٣٦١ هـ ذي الحجة:
 أبو الإباء وابن بجدة اللقا
 ذاك أبو الفضل أخو المعالي
 شبل علي ليث غابة القدم
 صنو الكريمين سليلي الهدى
 وهو الركي في مدارج الكرم
 وارث من حاز مواريت الرسل
 وكيف لا وذاته القدسيه
 توزع في أسياهم وتسههم
 ورحلك ما بين الأعادي مقسم
 لكل رجيم بالحجارة يرجم
 رقى من العلياء خير مرتقى
 سلاله الجلال والجمال
 ومن يشابه أبه فما ظلم
 علماً وحلماً شرفاً وسؤدا
 هو الشهيدي في معارج الهمم
 أبو العقول والتفوس والمثل
 مجموعته الفضائل النفسية

عليه أفلاك المعالي دائره
له من العلياء والمآثر
وكيف وهو في علو المنزلة
وهو قوام مصحف الشهادة
وهو لكل شدة ملمة
وهو حليف الحق والحقيقة
وقد تجلّى بالجمال الباهر
غرته الغراء في الظهور
رقى سماء المجد والفخار
بل في سماء عالم الأسماء
بل عالم التكوين من شعاعه

فإنه قطب محيط الدائرة
ما جل أن يخطر في الخواطر
كالروح من نقطة باء البسملة
تمت به دائره السعادة
فإنه عنقاء قاف الهمة
والفردي في الخلق والخلق
حتى بدا سر الوجود الزاهر
تكاد أن تغلب نور الطور
بالحق يدعى قمر الأعمار
كالقمر البازغ في السماء
جل جلال الله في إبداعه

سُرُّ أَبِيهِ وَهُوَ سُرُّ الْبَارِي مَلِيكَ عَرْشِ عَالَمِ الْأَسْرَارِ
أَبُوهُ عَيْنُ اللَّهِ وَهُوَ نَوْزُهَا بِهِ الْهَدَايَةُ اسْتِنَاءَ طَوْزِهَا
فَإِنَّهُ إِنْسَانٌ عَيْنِ الْمَعْرِفَةِ مَرَاتِمُهَا لِكُلِّ اسْمٍ وَصِفَةٍ
لَيْسَ يَدُ اللَّهِ سِوَى أَبِيهِ وَقُدْرَةُ اللَّهِ تَجَلَّتْ فِيهِ
فَهُوَ يَدُ اللَّهِ وَهَذَا سَاعِدُهُ تُغْنِيكَ عَنْ إِثْبَاتِهِ مَشَاهِدُهُ
فَلَا سِوَى أَبِيهِ لِلَّهِ يَدُ وَلَا سِوَاهُ لِأَبِيهِ عَضُدُ
لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي الْكِفَاحِ وَكَيْفَ وَهُوَ مَالِكُ الْأَرْوَاحِ
يُمْتَلِكُ الْكَرَّارَ فِي كَرَاتِهِ بَلْ فِي الْمَعَانِي الْعُرِّ مَنْ صِفَاتِهِ
صَوْلَتُهُ عِنْدَ النَّزَالِ صَوْلَتُهُ لَوْلَا الْغَلُوقُ قَلَّتْ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ
هُوَ الْمُحِيطُ فِي تَجْوَلَاتِهِ وَنَقَطَةُ الْمَرْكَزِ فِي ثَبَاتِهِ
سَطْوَتُهُ لَوْلَا الْقَضَاءُ الْجَارِي تَقْضِي عَلَى الْعَالَمِ بِالْبَوَارِ

وواسمَ المنونَ حادُّ مفردُهُ
بارقةٌ صاعقةُ العذابِ
بارقةٌ تَحْصِدُ في الرُّؤوسِ
واسى أخاهُ حينَ لا مواسي
بعزيمةٍ تكادُ تسبقُ القضا
دافعَ عن سبطِ نبيِّ الرِّحمةِ
بهمّةٍ من فوقِ هامةِ الفلكِ
واستعرضَ الصُّفوفَ واستطالا
لفَّ جيوشَ البغي والفسادِ
كترَ عليهم كَرَّةَ الكرارِ
آثرَ بالماءِ أخاهُ الظَّامي
والفرقُ بينَ الجمعِ من ضربِ يدهُ
بارقةٌ تُذهبُ باللُّبابِ
تُزهقُ بالأرواحِ والنَّفوسِ
في موقفٍ يُزلزلُ الرِّواسي
وسطوةٍ تملأُ بالرُّعبِ الفضا
بهمّةٍ ما فوقَها من همّةِ
ولا يئالها نبيُّ أو ملكِ
على العدا ونكسَ الأبطالالا
بنشرِ رُوحِ العدلِ والرِّشادِ
أوردَهُم بالسَّيفِ ورَدَ النَّارِ
حتَّى غدا مُعترَضَ السَّهامِ

ولا يهْمُهُ السَّهَامُ حَاشَا
فجَادَ بِالْيَمِينِ وَالشَّامِ
قَامَ بِجَمَلِ رَايَةِ التَّوْحِيدِ
والدِّينِ لَمَّا قُطِعَتْ يَدَاهُ
وَانطَمَسَتْ مِنْ بَعْدِهِ أَعْلَامُهُ
وَانصَدَعَتْ مُهَجَّةُ سَيِّدِ البَشَرِ
وَبَانَ الانكسَارُ فِي جَبِينِهِ
وَكَيْفَ لَا وَهُوَ جَمَالُ بَهْجَتِهِ
كَأَفْلِ أَهْلِهِ وَسَاقِي صَبِيئَتِهِ
وَاحِدَةٌ لَكِنَّهُ كُفْلُ القَوَى
نَاحَ عَلَى أُخِيهِ نَوْحَ الثَّكْلِ
مِنْ هَمِّهِ سَقَايُهُ العِطَاشِ
لِئْصَرَةِ الدِّينِ وَحَفْظِ الآلِ
حَتَّى هَوَى مِنْ عَمَدِ الحَدِيدِ
تَقَطَّعَتْ مِنْ بَعْدِهِ عُورَاهُ
مُنْذُ فَقَدَتْ عَمِيدَهَا قِوَامُهُ
لِقَتْلِهِ وَظَهَرَ سَبْطُهُ انكسَارُ
فَاندَكَتِ الجِبَالُ مِنْ حَنِينِهِ
وَفِي مُخَيَّأَتِهِ سُرُورُ مُهَجَّتِهِ
وَحَامِلُ اللُّوَا بَعَالِي هَمِّتِهِ
وَلَيْتُ غَابَةً بِطَفِّ نَيْنَوَى
بَلِ النَّبِيِّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى

وانشَقَّتْ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ دَمًا
بَكَاهُ كَالهَطَّالِ حُزْنًا وَالِدُهُ
بَكَاهُ صَنُوهُ الرَّكِّيِّ الْمُحْتَجِّي
نَاحَتْ بِنَاتُ الوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ
نَاحَتْ عَلَيْهِ الحُورُ فِي قُصُورِهَا
نَاحَتْ عَلَيْهِ زُمُرُ الأَمَلَاكِ
فَمَنْ لَتَلِكِ الحَفَرَاتِ الطَّاهِرَةِ
أَيْنَ رَبِيبِ المَجْدِ أُمًّا وَأَبَا
وَأَيْنَ عَنِّ وَدَائِعِ التُّبُوءَةِ
وَأَيْنَ عَنهَا رَبُّ أَرْبَابِ الإِبَا
فَأَصْبَحَتْ هَبَاءً لِكُلِّ مَارِقِ
فَمَا أَجَلٌ رِزْأُهُ وَأَعْظَمًا
وَكَيْفَ لَا وَبَانَ مِنْهُ سَاعِدُهُ
وَكَيْفَ لَا وَنُورُ عَيْنِهِ خَبَا
عَلَيْهِ مُذْ أَمَسَتْ بِلا كَفِيلِ
لِنُوحِ آلِ البَيْتِ فِي خَدُورِهَا
مُذْ نَاحَتْ العُقَائِلُ الرِّوَاكِي
مُذْ سُبِيتِ حَسْرَى القِنَاعِ سَافِرُهُ
عَنْ أَحْوَاتِهِ وَهُنَّ فِي السَّبَا
مُتَّيِّلُ الغَمِيرَةِ وَالفُتُوءَةِ
إِذْ هَجَمَ الخَيْلُ عَلَيهِنَّ الخِيَا
مُسُودَّةَ المُتُونِ وَالعَوَاتِقِ

فيها اشتَفَضَى العَدُوَّ مِنْ ضِعَائِنِهِ فَأَيْنَ حَامِي الطَّعْنِ عَنِ طُعَائِنِهِ
 أَيْنَ فَنَى الفَتِيانِ يَوْمَ المَلْحَمَةِ عَنِ فَتِيَاتِهِ بِأَيْدِي الظُّلْمَةِ
 فليَتَهُ يَرَى بعَيْنِ البَارِي عزَائِرَ اللّهِ على الأَكْوَارِ
 يُهْدَى بِهَا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَهُنَّ فِي أعْظَمِ كَرْبٍ وَكَمْدٍ
 وللعلامة الشيخ حسن ابن الشيخ محسن مصبِّح الحلِّي (١) من قصيدة في الحسين
 عليهما السلام:

فهناكَ هَبَّ ابنُ الوصِيِّ إلى الوَعَى بهِمَّةٍ لِيَثِّ لَمْ يَرَعُهُ قَتَامُهَا
 أبو الفَضْلِ حَامِي ثَغْرَةِ الدِّينِ جَامِعٌ فرائدُهُ إِنْ سُلِّ مِنْهَا نِظَامُهَا
 نَضَى لِقِرَاعِ الشُّوسِ عَضْباً بِجَدِّهِ ليَوْمِ التَّنَادِي يَسْتَكُنُّ جِئَامُهَا

(١) آل مُصَبِّح: أسرة في الحلة اشتهرت بالعلم والأدب، منهم: شيخ حسين جد المترجم، وابنه الشيخ محسن
 والد المترجم، كان من العلماء الأفاضل، رثاه السيد حيدر في قصيدة مثبته في ديوانه، ومنهم المترجم: وُلد في الحلة
 وهاجر إلى النجف لطلب العلم ولما يبلغ العشرين من عمره، ورجع بعد استكمال الفضيلة، وحج مكة المكرمة
 خمساً وعشرين مرة تطوعاً تارة، ونائباً ومُعلماً أخرى، جمع ديوانه في حياته وهو حسن جداً يناهز العشرة آلاف
 بيتاً، وجل شعره في أهل البيت (عليهم السلام) مدحاً ورتاءً، تُوفي عن عمر تجاوز السبعين سنة ١٣١٧ هـ، ومُحمل إلى
 النجف (البابليات للخطيب الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي).

عليه انطوت في حلبة الطعن فانطوى
وحاض بها بجرأ يرف عبائه
فحلاها عن جانب النهر عنوة
ودمدم ليث الغاب يعطو بسالة
ثنى رجليه عن صهوة المهر وامتطى
وهب إلى نحو الخيام مشمراً
ألمت به سوداء يخطف برقها ال
جلاها بمشحوذ الغرارين أبلج
فلولا قضاء الله لم يبق منهم
بماضية الأقدار جددت يساره
وفي عمد حتم القضا شح رأسه
عليه الفضا منه وضاق مقامها
ضبا ويد الأقدار جالت سهامها
وولت عواديهما يصل لجامها
إلى الماء لم يكبر عليه ازدحامها
فُرى النهر واحتل السقاء همامها
لري عطاشى قد طواها أوامها
بصائر من رعب ويعلو قتامها
يدب به للدارين جمامها
حسيس وم يكبر عليه اعتصامها
وثنت يمنى منه طاب الثامها
ترجل وانثالت عليه لئامها

به انتظمتُ سُمُرُ القنا وتشاكلتُ
 دعا يا جمى الإسلامِ يابنَ الذي به
 جرى نافذُ الأقدارِ في مَنْ تُجْبُهُ
 فشدَّ مجيباً دعوةَ الليثِ طالباً
 طواها ضراباً سلَّ فيه نفوسَها
 وأحى عليه قاتلاً هتكَ العدى
 أحي بمن أسطو وإنك ساعدي
 أحي فمن يُعطي المكارمَ حمَّها
 أحي فمن للمُحصناتِ إذا عَدتْ
 أحي لمن أُعطي اللّواءَ ومَن به
 أحي فمن يحمي الدِّمارَ حفيظَةً
 وكَم فيه يومُ الرِّوعِ حُلَّ نظامِها
 دعائمُ دينِ اللّهِ شُدَّ قوامُها
 سراعاً فإنَّ النَّفسَ حانَ حمائمُها
 تراب^(١) به الأعداءُ طالَ اجترامُها
 وحلَّقَ فيها للبوارِ اجترامُها
 حجابَ المعالي واستُحِلَّ حرامُها
 وعَضِي إذا ما ضاقَ يوماً مقامُها
 ومَن فيه إعرزازٌ تطاولَ هامُها
 بملساءٍ يُذكي الحائماتِ رغائمُها
 يشقُّ عُبابَ الحربِ إن جاشَ سامُها
 إذا ما كبا بالضارباتِ اعترامُها

(١) هكذا وردت المفردة في الأصل، ولعلها (تيرات). (موقع معهد الإمامين الحسنين)

كفى أسفاً أبّي فقدتُ حشاشتي بفقدك والأرزاءُ جدّاً احتدامها
فوا لهفتا والدَّهرُ غدرٌ صُروفُهُ عليك وعفواً ناضلني سهامها
إلى الله أشكو لوعةً لو أبثها على شامخات الأرضِ ساحَ شمامها
على أنني والحكمُ لله لاحقُّ بأنركَ والدُّنيا قليلٌ دوامها
فقام وقد أحنى الضلوعَ على جوى يئنُّ كما في الدَّوحِ أنَّ حمامها
حسبتُك للأيتامِ بَبقى ولمْ أخلن تجرُّ عليّ الدهاياتِ طغامها
للعلامة الحجة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي^(١):

بكرَ الرّدى فاجتاحَ في نكبائه نورَ الهدى ومحا سنا سيمائه
ودهى الرّشادَ بناسفٍ لأشمه وبخاسفٍ آواه بدرُ سمائه
ورمى فأصمى الدّينَ في نفاذه وارحمتهاه لميتههى أحشائه

(١) وُلد في النّجف الأشرف في شهر صفر سنة ١٢٧٩ هـ، وتوفي [في يوم] ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦١ هـ، ودفن في مقبرة بجنب الحسينية التي أسسها في (النبطية).

يوماً به قمرُ الغطارفِ هاشمٌ
سيمُ الهوانِ بكربلاءَ فطارَ لن
أنى يلينُ إلى الدتية مَلَمَساً
هو ذلكَ البسّامُ في الهيجاءِ وأل
من حيدرٍ هو بضعةٌ وصفيحةٌ
واسى أخاهُ بموقفِ العزِّ الذي
ملكَ الفراتَ على ظمأه وأسوّه
لم أنسه مُذ كَرَّ مُنعطفاً وقد
ولوى عنانَ جوادهِ سُرعانَ نَح
فاعتاقهُ السدانَ من بيضٍ ومن
فانصاعَ يخترقُ الصّوارمَ والقنا

صكّت يدُ الجلىّ جبينَ بهائه
عزّ الرفيعِ به جناحِ إباهه
أو تنحّثُ الأقدارُ من مُسائه
(عبّاسُ) نازلةً على أعدائه
من عزمه مشحودةً بمضائه
وقفت سوارى الشُّهبِ دونَ علائه
بأخيه ماتَ ولم يذقْ من مائه
عطفَ الوكاءِ على معينِ سقائه
و مُخيمٍ يطفسي أوارَ ظمائه
شمرٍ وكلُّ سدِّ رحبِ فضائه
لا يرعوي كالسهمِ في غلوائه

يفري الطلى ويخيط أفلاذ الكلى
ويجول جولة حيدر بكتائب
حتى إذا ما حان حين شهادة
حسمت مذربة الحسام مقلّة
أمن العدى فتكاته فدنا له
وعلاه في عمد فخر لوجهه
نادى أخاه فكان عند ندائه
واقى عليه مفترقا عنه العدى
وهوى يقبله وما من موضع
ويط عن حرّ المحيا حمره
يا مبكيا عين الإمام عليك فلن
بشباة أبيضه وفي سمائه
مأ الفضل كالليل في ظلمائه
رقت له في لوح فضل فضائه
لسقائه ومجيلة للوائه
من كان هيباً مهيب لقاؤه
ويمينه ويساره بإزائه
كالكوكب المنقض في جوزائه
ومجماً ما انبت من أشلايه
للثم إلا غارق بدمائه
علقية صبغت لجين صفائه
تبك الأنام تأسياً ببكائه

وَمُقَوَّسًا مِنْهُ الْقَوَامَ وَحَانِيًا مِنْهُ الصُّلُوعَ عَلَى جَوَىٰ بَرَحَائِهِ
فَلَننَحِّيَ حُزْنَكَ تَأْسِيًا بِالسَّبْطِ فِي تَقْوِيْسِهِ وَحَنَائِهِ
أَنْتَ الْحَرِيُّ بِأَنْ تُقِيمَ بَنُو الْوَرَىٰ طُرًّا لِيَوْمِ الْحَشْرِ سَوْقَ عَزَائِهِ
هَذَا آخِرُ مَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ حَيَاةِ قَمَرِ الْهَاشِمِيِّينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْهُدَاةِ الْمِيَامِينَ ، وَنَسَّأَلُهُ سُبْحَانَهُ الْهُدَايَةَ لِمَا يُرْضِيهِ وَالرُّلْفَى
لَدَيْهِ تَعَالَتْ آلَاؤُهُ .

فهرس المصادر:

القرآن الكرم:

كتاب الله سبحانه وتعالى المنزل.

١ - الردُّ على المتعصّب العنيد:

الحافظ أبل الفرآ عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ، تحقيق الشيخ محمد كاظم المحمودي، طبع سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٢ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب:

يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله القرطبي ت ٤٦٣ هـ، تحقيق علي محمد موعوض، وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، دار الكتب العلميّة - بيروت.

٣ - الجامع لأحكام القرآن:

محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧ هـ، تحقيق إبراهيم أصفيش، طبع سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤ - الخرائج والخراج:

قطب الدين الراوندي، ت ٥٧٣ هـ، تحقيق محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) - قم.

٥ - الاحتجاج:

أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق محمد باقر الخرساني، سنة الطبع ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، دار النعمان - النجف الأشرف.

٦ - إحقاق الحق وإزهاق الباطل:

نور الله الحسيني التستري،

ت ١٠١٩ هـ، تعليق السيّد شهاب الدّين المرعشي، منشورات مكتبة آية الله العظمى
المرعشي النجفي - قم - إيران.

٧ - الأخبار الطوال:

أحمد بن داود الدينوري، ت ٢٨٢ هـ، تحقيق عبد المنعم عامر، الطبعة الأولى ١٩٦٠ م،
دار إحياء الكتاب العربي - القاهرة.

٨ - الاختصاص:

الشيخ المفيد، تحقيق علي أكبر الغفاري ومحمود الزرندي، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ -
١٩٩٣ م، دار المفيد - بيروت.

٩ - الإرشاد:

محمّد بن التّعمان العكبري البغدادي، المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت
عليه السلام - الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، دار المفيد - بيروت - لبنان.

١٠ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب:

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد البر، ت ٤٦٣ هـ، تحقيق علي محمّد الجاوي، الطبعة
الأولى ١٤١٢ هـ - دار الجبل - بيروت.

١١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة:

عزّ الدّين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي -
بيروت.

١٢ - الإصابة في تمييز الصحابة:

أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد عوض، الطبعة
الأولى ١٤١٥ هـ - دار الكتب العلميّة - بيروت.

١٣ - الإصابة في تمييز الصحابة:

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي

- محمد مُعَوِّض، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ١٤ - الأصول الستّة عشر من الأصول الأوّليّة:
تحقيق ضياء الدّين الحمودي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ١٣٨١ هـ ش، دار الحديث - قم.
- ١٥ - الأغاني:
علي بن الحسين، أبو الفرج الأصفهاني، ت ٣٥٦ هـ، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٦ - الأمالي:
علي بن الطاهر المعروف بالمرتضى، تحقيق محمّد بدر الدّين الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م، منشورات مكتبة آية الله المرعشي.
- ١٧ - الأمالي:
محمّد علي بن الحسن بن بابويه القمّي، تحقيق قسم الدراسات السلاميّة، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - مركز الطباعة والنّشر في مؤسّسة البعثة.
- ١٨ - إمتاع الأسماع:
تقيّ الدّين أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئزي، ت ٨٤٥ هـ - تحقيق محمّد عبد الحميد التّميسي، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ١٩ - أوائل المقالات:
محمّد العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، ت ٤١٣ هـ، تحقيق إبراهيم الأنصاري، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، دار المفيد - بيروت.
- ٢٠ - إيمان أبي طالب:
محمّد بن محمّد بن النّعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق مؤسّسة البعثة، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، دار المفيد - بيروت - لبنان.

- ٢١ - بحار الأنوار:
محمد باقر المجلسي، تحقيق محمد باقر البهبودي، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م،
دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٢ - البداية والنهاية:
إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م،
دار التراث العربي - بيروت.
- ٢٣ - بشارة المصطفى:
محمد بن علي الطبري، ت ٥٢٥ هـ، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.
- ٢٤ - بصائر الدرجات:
محمد بن الحسن الصفار، ت ٢٩٠ هـ، تحقيق ميرزا حسن باغي، طبع سنة ١٤٠٤ هـ -
الأحمدي - طهران.
- ٢٥ - تاريخ الإسلام:
محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام الترمذي، الطبعة
الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢٦ - تاريخ الأمم والملوك:
محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠ هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان،
مقابلة على النسخة المطبوعة في لندن ١٨٧٩ م.
- ٢٧ - تاريخ الأمم والملوك:
محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ، تحقيق نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٢٨ - تاريخ بغداد:
أحمد بن علي البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ -
دار الكتب

العلمية - بيروت.

٢٩ - تاريخ مدينة دمشق:

علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق علي شيري، سنة الطبع ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٠ - تاريخ اليعقوبي:

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي، ت ٢٨٤ هـ، نشر مؤسسة نشر فرهنگ أهل بيت عليه السلام - قم - إيران.

٣١ - تخريج الأحاديث والآثار:

جمال الدين الزيلعي، ت ٧٦٢ هـ، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، الرياض - دار ابن خزيمة.

٣٢ - تذكرة الخواص:

يوسف بن قزغلي، سبط ابن الجوزي، ت ٦٥٤ هـ، تحقيق حسن تقوي زاده، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ، مجمع أهل بيت عليه السلام.

٣٣ - تذكرة الموضوعات:

محمد طاهر بن علي الهندي الفتني، ت ٩٨٦ هـ.

٣٤ - تفسير ابن أبي حاتم:

ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية - صيدا.

٣٥ - تفسير ابن كثير:

إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، طبع سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٣٦ - تفسير الألوسي:

الألوسي، ت ١٢٧٠ هـ.

٣٧ - تفسير البغوي:

خالد عبد الرحمن الملك، ت ٥١٠ هـ، دار

- المعرفة - بيروت.
- ٣٨ - تفسير الثعلبي:
ت ٤٣٧ هـ، تحقيق الإمام علي عاشور، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م، بيروت - لبنان.
- ٣٩ - التفسير الكبير:
الفخر الرازي، تحقيق دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٤٠ - تاريخ يعقوبي:
أحمد بن أبي يعقوب بن وهب، طبعة دار صادر - بيروت، نشر مؤسسة ونشر فوهنگ أهل بيت عليه السلام - قم.
- ٤١ - تهذيب الأحكام في شرح المقنعة:
محمد بن الحسن الطوسي، ت ٤٦٠ هـ، تحقيق السيّد حسن الخرساني، الطبعة الرابعة ١٣٥٦ هـ ش، دار الكتب الإسلاميّة - طهران.
- ٤٢ - تهذيب الكمال:
جمال الدّين أبي الحجاج يوسف المزي، ت ٦٥٤ - ٧٤٢، تحقيق الدكتور بشّار عوّاد معروف، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٤٣ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن:
محمد بن جرير الطبري، تحقيق الشيخ خليل الميس، طبع سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، دار الفكر - بيروت.
- ٤٤ - جمال الأسبوع:
السيّد ابن طاووس، ت ٦٦٤ هـ، تحقيق جواد فيومي الجنائي الأصفهاني، الطبعة الأولى، ١٣٧١ هـ ش.
- ٤٥ - حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار عليهم السلام:
السيّد هاشم البحراني، تحقيق غلام رضا مولانا البروجردي، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - مؤسسة المعارف الإسلاميّة - قم.

- ٤٦ - الدرجات الرفيعة:
 السيّد علي خان المدني، ت ١١٢٠ هـ، طبع سنة ١٣٩٧ هـ ش، بصيرتي - قم.
- ٤٧ - الدرر في اختصار المغازي:
 أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد البر، ت ٤٦٣ هـ.
- ٤٨ - الدرّ التّظيم:
 جمال الدّين يوسف بن حاتم بن فوز العاملي، ت ٦٦٤ هـ، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المُدرّسين - قم.
- ٤٩ - الدرّ المنشور في التفسير بالمأثور:
 جلال الدّين السيّوطي، ت ٩١١ هـ، دار المعرفة للطباعة والنّشر بيروت - لبنان.
- ٥٠ - الدّعة السّاكبة في أحوال النّبي ﷺ والعترة الطاهرة:
 محمّد باقر البهبهاني، ت ٢٨٥ هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، مؤسّسة الأعلمي - بيروت.
- ٥١ - الدرّيّة الطاهرة:
 محمّد بن أحمد بن حمّاد الدولابي، ت ٣١٠ هـ، تحقيق السيّد محمود الجلاّلي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ - قم.
- ٥٢ - رياض الصالحين:
 يحيى بن شرف النّوويّ الدمشقي، ت ٦٧٦ هـ، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان.
- ٥٣ - روضة الواعظين:
 محمّد بن الفّتال النّيسابوري، ت ٥٠٨ هـ، تحقيق السيّد محمّد مهدي الخرساني، منشورات الشريف - قم.
- ٥٤ - زاد المسير:
 عبد الرحمن بن علي بن محمّد الجوزي، تحقيق محمّد بن عبد الرحمن، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م،

دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

٥٥ - سنن ابن ماجة:

محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.

٥٦ - سر السلسلة العلوية:

أبي نصر البخاري، ت ٣٤١ هـ، تقديم محمد صادق بحر العلوم، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، انتشارات الشريف الرضي.

٥٧ - سنن الترمذي:

محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م دار الفكر - بيروت.

٥٨ - السياسة الشرعية:

محمد بن عبد الحليم الحراني، سي دي مؤلفات الشيخ والتلميذ.

٥٩ - السنن الكبرى:

أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البندادي، وسيد كسروي حسن، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٠ - السيرة الحلبية:

برهان الدين الحلبي الشافعي، ت ١٠٤٤ هـ، طبع سنة ١٤٠٠ هـ - دار المعرفة - بيروت.

٦١ - سبل الهدى والرّشاد:

محمد بن يوسف الصالح الشامي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٢ - السنّة:

عمرو بن أبي عاصم الضحّاك الشيباني، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م،

المكتب الإسلامي - بيروت.

٦٣ - سيرة ابن إسحاق:

محمد بن إسحاق بن يسار، ت ١٥١ هـ، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث.

٦٤ - السيرة النبوية:

عبد الملك بن هشام بن أيوب، ت ٢٨٨ هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبع سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، القاهرة.

٦٥ - السيرة النبوية:

تأليف محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى، ت ١٥١ هـ، وهذبها عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ت ٢١٨ هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبع سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، المدني - القاهرة.

٦٦ - السيرة النبوية:

إسماعيل بن كثير، ت ٧٧٤ هـ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، طبع سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م، دار المعرفة - بيروت.

٦٧ - شواهد التنزيل:

عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق الشيخ محمد باقر الخمودي، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٦٨ - شرح نهج البلاغة:

ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت - لبنان.

٦٩ - شرح نهج البلاغة:

ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر - قم.

٧٠ - شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت (صلوات الله وسلامه

عليهم):

- عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم.
- ٧١ - صحيح مسلم:
مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر - بيروت.
- ٧٢ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن يليان:
علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، طبع سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، مؤسسه الرسالة.
- ٧٣ - صحيح البخاري:
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، طبع سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، دار الفكر - بيروت.
- ٧٤ - الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف:
علي بن موسى بن طاووس الحلبي، ت ٦٦٤ هـ، طبع سنة ١٣٩٩ هـ - خيَّام - قم.
- ٧٥ - الطبقات الكبرى:
محمد بن سعد، ت ٢٣٠ هـ، دار صادر - بيروت.
- ٧٦ - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب:
أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه، ت ٨٢٨ هـ، تصحيح محمد حسن آل الطالقاني، الطبعة الثانية، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م، المطبعة الحيدريّة - النجف الأشرف.
- ٧٧ - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب:
أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه، ت ٨٢٨ هـ، طبع سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، الصدر - قم.

- ٧٨ - عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري:
العينى ت ٨٥٥ هـ، طبع دار إحياء التراث العربى - بيروت.
- ٧٩ - عقيدة أبى طالب:
السيد طالب الرفاعى، نشر مركز الأبحاث العقائدية.
- ٨٠ - عوالي اللآلى العزيزة فى الأحاديث الدينية:
محمد بن على بن إبراهيم الأحسائى، ت ٨٨٠ هـ، تحقيق مجتبى العراقى، الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٥ م، سيد الشهداء - قم.
- ٨١ - الغدير:
الشيخ الأميى، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، دار الكتاب العربى بيروت -
لبنان.
- ٨٢ - فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير:
محمد بن على بن محمد الشوكانى، ت ١٢٥٥ هـ، مطبعة عالم الكتب.
- ٨٣ - فقه الرضا عليه السلام:
على بن بابويه، ت ٣٢٩ هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- ٨٤ - فتوح البلدان:
أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذرى، ت ٢٧٩ هـ، تحقيق صلاح الدين المنجد،
طبع سنة ١٩٥٦ م، مكتبة النهضة - مصر.
- ٨٥ - فتح البارى شرح صحيح البخاري:
شهاب الدين بن حجر العسقلانى، ت ٨٥٢ هـ، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة
والنشر، بيروت - لبنان.
- ٨٦ - الفتوح:
أحمد بن أعثم الكوفى، ت ٣١٤ هـ - ٩٢٦ م، تحقيق على شيرى، الطبعة الأولى
١٤١١ هـ، دار الأضواء.

- ٨٧ - فيض القدير في شرح الجامع الصغير:
محمد بن عبد الرؤوف المناوي، تحقيق أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، دار
الكتب العلميّة - بيروت.
- ٨٨ - القاموس المحيط:
الفيروزآبادي، ت ٨١٧ هـ.
- ٨٩ - قرب الإسناد:
عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق مؤسسة آل البيت ﷺ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ،
مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث - قم.
- ٩٠ - كامل الزيارات:
جعفر بن محمد بن قولويه القمي، ت ٣٦٨ هـ، تحقيق الشيخ جواد القيومي، الطبعة
الأولى ١٤١٧ هـ - مؤسسة النشر الإسلامي - قم.
- ٩١ - الكامل في التاريخ:
علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، ت ٦٣٠ هـ، طبع
سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، دار صادر - بيروت.
- ٩٢ - كتاب الولاية:
أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي، جمع وترتيب عبد الرزاق محمد حسين حرز
الدّين، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - انتشارات دليل.
- ٩٣ - الكامل:
المُبَرَّد، طبع سنة ١٣٥٥ هـ ش.
- ٩٤ - كنز الفوائد:
محمد بن علي بن عثمان الكراچكي، ت ٤٤٩ هـ، تحقيق عبد الله نعمة، طبع سنة
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، دار الأضواء - بيروت.
- ٩٥ - الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل:
جار الله الزمخشري، ت ٥٣٨ هـ، طبع سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م، شركة مكتبة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر.

٩٦ - كنز الفوائد:

محمد بن علي الكراجكي، ت ٤٤٩ هـ، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ ش، مطبعة الغدير، مكتبة المصطفوي - قم.

٩٧ - كشف الغمة في معرفة الأئمة:

علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، دار الأضواء، بيروت - لبنان.

٩٨ - الكافي:

محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، تحقيق علي أكبر غفاري، الطبعة الثالثة ١٢٦٧ هـ ش، دار الكتب الإسلامية - طهران.

٩٩ - مُستدرَك الوسائل:

حسين النوري الطبري، ت ١٣٢٠ هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٩ م، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث الإسلامي - بيروت - لبنان.

١٠٠ - المُجدي في أنساب الطالبين:

علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي العمري، تحقيق الدكتور أحمد المهدي الدامغاني، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، سيد الشهداء - قم.

١٠١ - المُجدي في أنساب الطالبين:

علي بن محمد العلوي، ت ٧٠٩ هـ، تحقيق أحمد الدامغاني، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، مكتبة آية الله المرعشي.

١٠٢ - المناقب:

الموفق بن أحمد بن محمد المكي، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

١٠٣ - مصباح الفقاهة:

تقرير بحث السيد أبو القاسم الخوئي،

- بقلم محمد علي التوحيدى التبريزى، الطبعة الأولى، المطبعة العلمیة - قم، نشر مكتبة
الداورى - قم.
- ١٠٤ - مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن فيه:
أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني، ت ٤١٠ هـ، عبد الرزاق محمد حسين حرز
الدّين، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ١٣٨٣ هـ ش، دار الحديث - قم.
- ١٠٥ - مسند أحمد بن حنبل:
أحمد بن حنبل، ت ٢٤١ هـ، دار صادر - بيروت.
- ١٠٦ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:
نور الدّين الهيتمي، طبع سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، دار الكتب العلمیة - بيروت.
- ١٠٧ - المصنّف:
عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق سعيد اللحام، طبع سنة ١٤٠٩ هـ -
١٩٨٩ م، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١٠٨ - ميزان الاعتدال:
شمس الدّين الذهبي، تحقيق علي محمد البحايي، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م،
دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٠٩ - مسند ابن راهويه:
إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي، تحقيق الدكتور عبد الغفور عبد الحقّ حسين برد
البلوسي، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، مكتب الإيمان - المدينة المنورة.
- ١١٠ - مقاتل الطالبیین:
أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق كاظم المظفر - الطبعة الثانية، مؤسسة دار الكتاب - قم.
- ١١١ - مُستدرک الوسائل:
الميرزا التّوري، ت ١٣٢٠ هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ
- ١٩٨٨ م، مؤسسة

آل البيت عليهم السلام.

١١٢ - من لا يحضره الفقيه:

محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، ت ٣٨١ هـ، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم.

١١٣ - معجم البلدان:

ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ت ٦٣٦ هـ، طبع سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١١٤ - منهج الرشاد لمن أراد السداد:

جعفر كاشف الغطاء، ت ١٢٢٨ هـ، تحقيق جودت القزويني، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، مطبوع ضمن الطبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية لمحمد حسين كاشف الغطاء.

١١٥ - المسترشد:

محمد بن جرير الطبري (الشيوعي)، القرن الرابع، تحقيق أحمد المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، مؤسسة الثقافة الإسلامية.

١١٦ - المحتضر:

حسن بن سليمان الحلبي، القرن الثامن، تحقيق علي أشرف، طبع سنة ١٤٢٤ هـ - انتشارات المكتبة الحيدرية.

١١٧ - المزار:

محمد بن مكّي العاملي المعروف بالشهيد الأول، ت ٧٨٦ هـ، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم.

١١٨ - المزار:

محمد بن المشهدي، ت ٦١٠ هـ، تحقيق جواد القمي الأصفهاني، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

١١٩ - المزار:

محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، ت ٤١٣ هـ، تحقيق محمد باقر الأبطحي، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، دار المفيد، بيروت - لبنان.

١٢٠ - مقتل الإمام الحسين عليه السلام المُسمّى بـ (اللُهوْف):

علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، ت ٦٦٤ هـ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، أنوار الهدى - قم.

١٢١ - مُعجم ما استعجم:

عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، ت ٤٨٧ هـ، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٢٢ - لسان الميزان:

ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.

١٢٣ - المحاسن:

أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق السيّد جلال الدّين الحسيني، طبع سنة ١٣٧٠ هـ - ١٣٣٠ هـ ش، دار الكتب العلميّة - طهران.

١٢٤ - المُستدرَك على الصحيحين:

الحاكم التّيسابوري، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

١٢٥ - المُعجم الكبير:

سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حميدي عبد المجيد سلفي، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، دار إحياء التراث العربي.

١٢٦ - المُعجم الأوسط:

سليمان بن أحمد الطبري، تحقيق دار الحرمين، طبع سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، دار الحرمين للطباعة والنّشر.

١٢٧ - المُعجم الصغير:

سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٩٠ هـ،

- دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان.
- ١٢٨ - مسند أبي داود الطيالسي:
- سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الشهير بأبي داود الطيالسي، ت ٤٠٤ هـ،
دار المعرفة - بيروت.
- ١٢٩ - مُعجم البلدان:
- ياقوت بن عبد الله الحموي، ت ٦٢٦ هـ، طُبع سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، دار إحياء
التراث العربي - بيروت.
- ١٣٠ - مسند سعد بن أبي وقاص:
- أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي البغدادي، تحقيق حسن صبري، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ،
دار البشائر الإسلاميّة - بيروت.
- ١٣١ - المُصنّف:
- عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس
العلمي.
- ١٣٢ - مناقب آل أبي طالب:
- مشير الدّين أبي عبد الله محمّد بن علي ابن شهر آشوب، تحقيق لجنة من أساتذة النّجف
الأشرف، طُبع سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م، المكتبة الحيدريّة - النّجف الأشرف.
- ١٣٣ - مُثير الأحران:
- محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الدّين بن نما الحلّي، ت ٦٤٥ هـ، طبع سنة ١٣٦٩ هـ
- ١٩٥٠ م، المطبعة الحيدريّة - النّجف الأشرف.
- ١٣٤ - مسند أبي داود الطيالسي:
- سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الشهير بأبي داود الطيالسي، ت ٢٠٤ هـ، دار
المعرفة - بيروت.
- ١٣٥ - مدينة المعاجز:
- السيد هاشم البحراني، ت ١١٠٧ هـ، دار الكتب العلميّة - قم.

- ١٣٦ - معرفة الثقات: أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، ت ٢٦١ هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ، مكتبة الدار - المدينة المنورة.
- ١٣٧ - التوادر: فضل الله الراوندي، ت ٥٧١ هـ، تحقيق سعيد رضا علي عسكري، الطبعة الأولى، مؤسّسة دار الحديث - قم.
- ١٣٨ - نظم المتناثر من الحديث المتواتر: محمّد بن جعفر الكناي، ت ١٣٤٥ هـ، الطبعة الثانية، دار الكتب السلفيّة - مصر.
- ١٣٩ - نهج السعادة: الشيخ محمّد باقر المحمودي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ١٤٠ - نهج البلاغة: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق وتعليق الشيخ محمّد عبده، دار المعرفة - بيروت.
- ١٤١ - نوادر المعجزات: محمّد بن جرير الطبري (الشيوعي)، تحقيق مؤسّسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - مؤسّسة الإمام المهدي - قم.
- ١٤٢ - وفيات الأعيان: ابن خلكان، ت ٦٨١ هـ، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة - بيروت.
- ١٤٣ - وسائل الشيعة: محمّد بن الحسن بن الحرّ العاملي، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة الخامسة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٤٤ - ينابيع المودّة لذوي القربى: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق علي جمال أشرف الحسني، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - دار أسوة.

الفهرس

٥	مقدمة التحقيق:
١٥	المقدمة:
٢٥	سلسلة الآباء:
٥٨	الأعمام:
٦٦	طالب:
٧٠	عقيل:
٧٦	السفر إلى الشام:
٨٤	الحديدة:
٨٥	افتراء:
٨٧	الخلف عن عقيل:
٨٩	الطيّار:
٩٤	إخوته:
٩٧	ابن الحنفيّة:
١٠٥	الأطرف:
١٠٩	أخواته:
١١١	العقيلة:

١٢٠	أُمّ البنين:
١٢٥	الزواج:
١٢٧	الولادة:
١٣١	صفاته:
١٣٨	كُنْيَتُهُ:
١٤٠	اللقب:
١٤٥	السَّقَا:
١٥٥	نشأته:
١٦٤	اليقين:
١٦٧	الأصحاب:
١٧٦	الأمان:
١٧٩	المواساة:
١٨٣	عشره التاريخ:
١٨٨	حديث الصادق عليه السلام:
٢٠٠	العبّاس في نظر الأئمة عليهم السلام:
٢٠٩	العصمة:
٢١٤	الكرامات:
٢٣٢	اللواء:
٢٤٣	موقفه قبل الطّف:
٢٤٨	موقفه في الطّف:
٢٥٤	الشهادة:
٢٥٨	المشهد المُطَهَّر:
٢٦٢	ملاحظة:

٢٦٤.....	الحائر:
٢٧٢.....	نهر العلقمي:
٢٧٦.....	مشهد الرأس:
٢٩٥.....	مشهد الكفّين:
٢٩٧.....	الزيارة:
٣٠١.....	صلاة الزيارة:
٣٠٦.....	تقبيل القبر:
٣٠٨.....	أولاده وأحفاده:
٣١٨.....	الحمزة:
٣٢٦.....	عمارة المشهد:
٣٣٩.....	عمارة مرقد العباس:
٣٤٣.....	السّدانة:
٣٤٥.....	حامي الجوار:
٣٤٧.....	المديح والرثاء:
٣٧٤.....	فهرس المصادر: